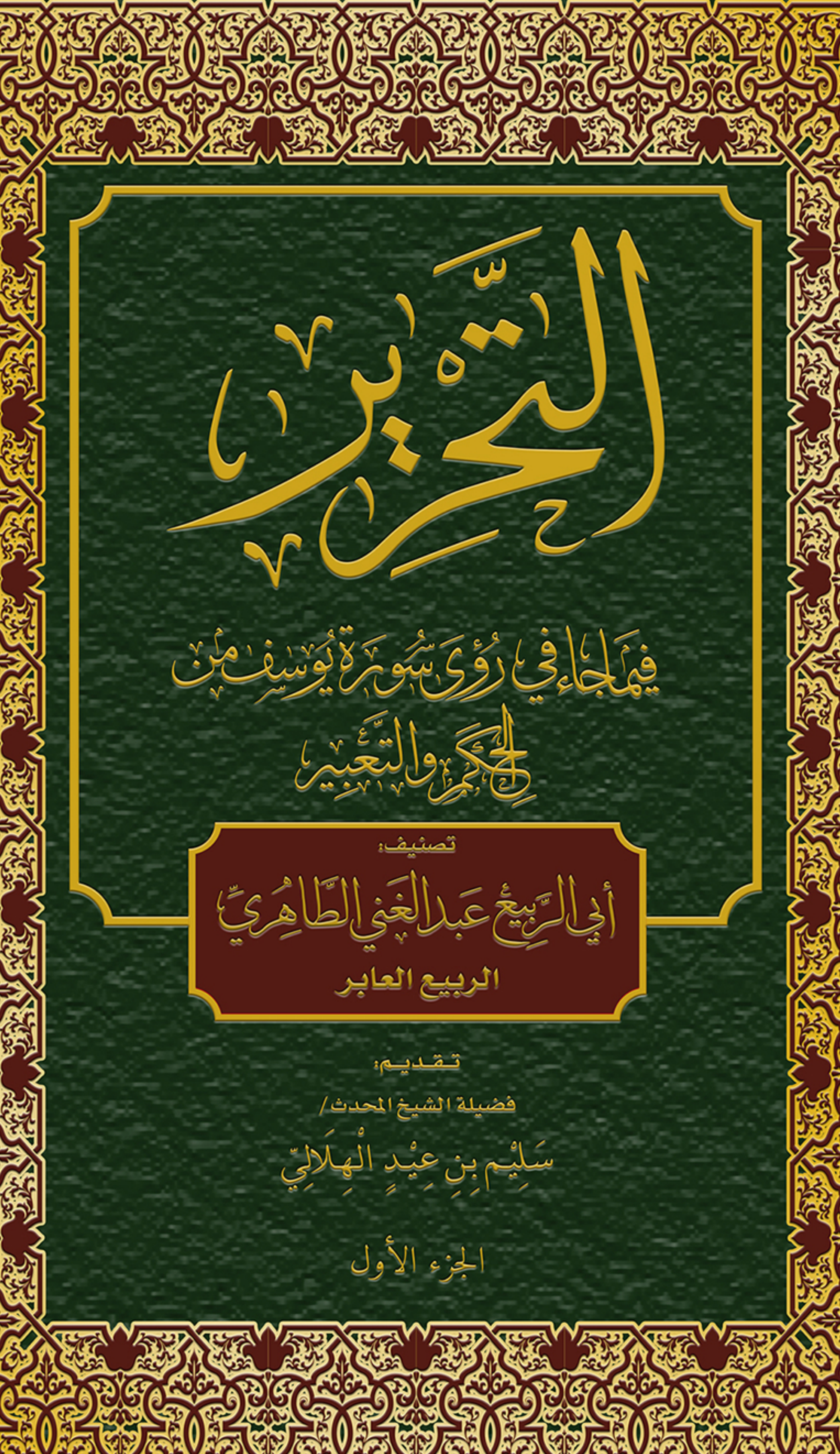
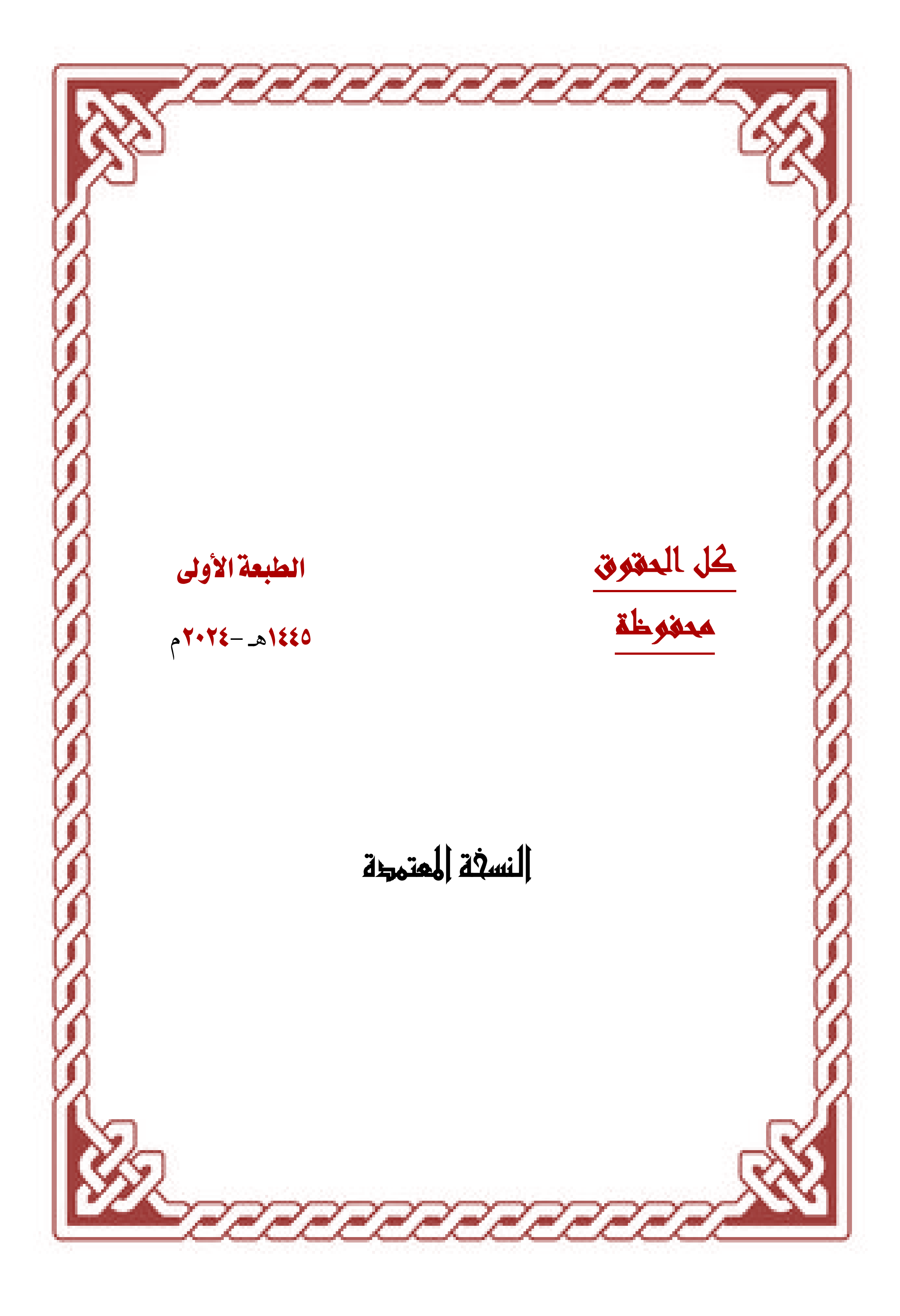


التحرير
فيما جاء في رؤى سورة يوسف من
الحكم والتعبير
تصنيف:
أبي الربيع عبد الغني الطاهري
الربيع العابر
تقديم:
فضيلة الشيخ المحدث/
سليم بن عيد الهلالي
الجزء الأول


التَّحْرِيرُ
فِيمَا جَاءَ فِي
رُؤَى سُورَةِ يُوسُفَ مِنَ الحِكَمِ وَالتَّعْبِيرِ



الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ -٢٠٢٤م

النسخة المعتمدة



التَّحْرِيرُ فِيمَا جَاءَ فِي

رُؤَى سُورَةِ يُوسُفَ مِنَ الْحِكَمِ وَالتَّعْبِيرِ

تَصْنِيف

أَبِي الرَّبِيع

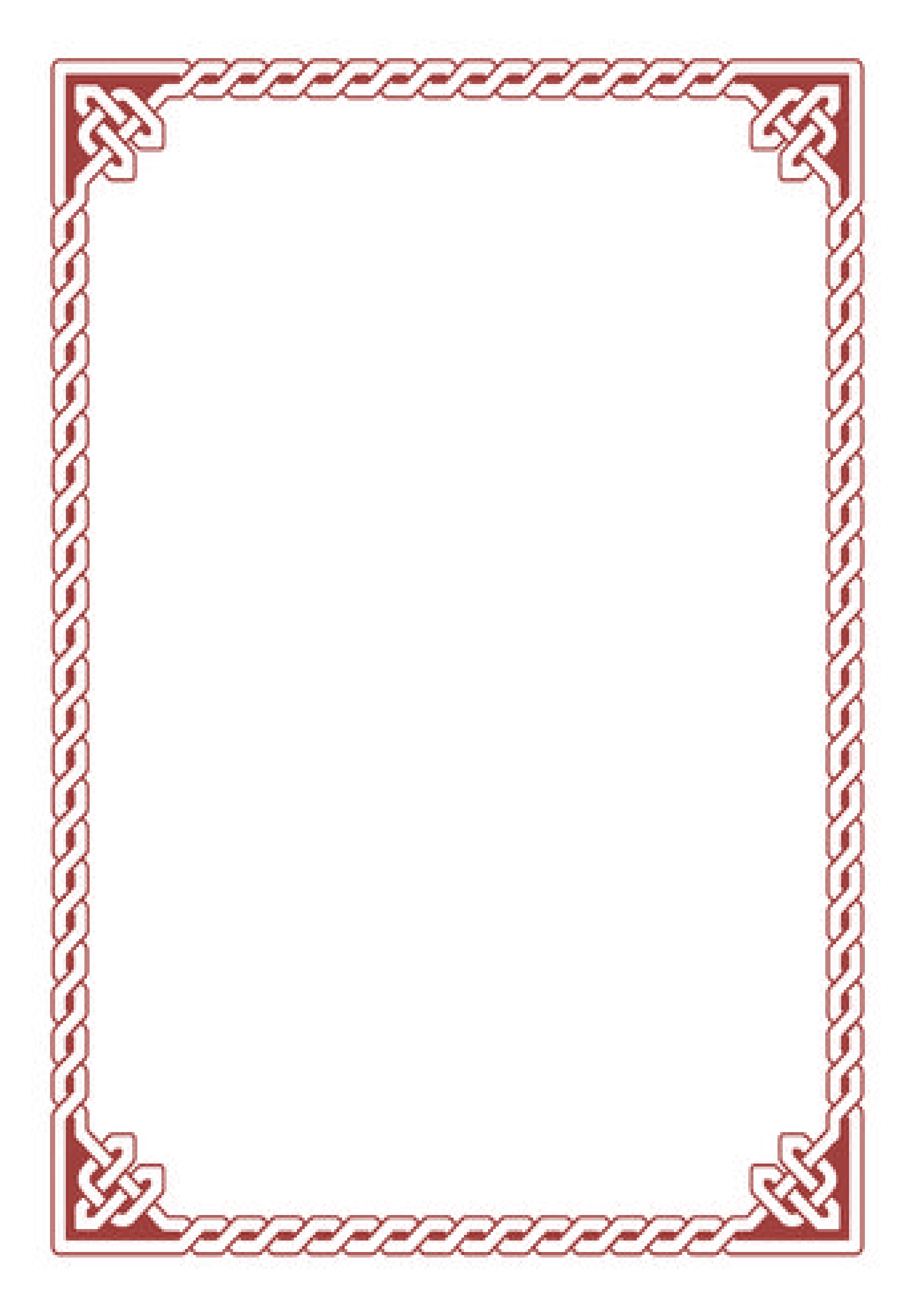
عَبْدِ الغَنِيِّ بْنِ صَالِحٍ الطَّاهِرِيّ

تَقْدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ المحَدِّثِ

أَبِي أُسَامَةَ

سَلِيمِ بْنِ عِيدٍ الْهِلَالِيِّ

الجزء الأول



مقدمة الشيخ سليم بن عيد الهلالي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا يرضيه، والصلاة والسلام على من اجتمعت المحاسن واكتملت الفضائل فيه، وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن الأمور الْمُهمة والحقائق الشائعة: عِلْمُ تعبير الرُّؤيا؛ هذا العلم الذي خاض الناسُ فيه قديمًا وحديثًا واختلفتْ آراؤهم حول حقائق الرّؤيا وكيفية تعبيرِها فجاءت شريعتُنا العظيمةُ الخالدة ببيناتها التي قطعتْ بَهَا تأويلَ الْمتأوِّلِين وتذبذبَ الْمُتذبذبين.

فنجدُ القرآن الكريم تحدّث عن الرؤىٰ في مواضعَ عدّة وخاصة سورة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن ثم جاءتِ السُّنَّةُ بالتفاصيل فأوضحتْ الْحُجّة؛ بل عقد المحدثون من أصحاب الصحاح والمسانيدِ والسنن كتبًا جميع أبوابها متعلقة بفقه تأويل الرّؤيا، ومع وضوح النصوص الشرعيّة وصحّتها إلا أنك ترى الأقوال الشاذة يتلَقّفُها مثقفو الناس وعوامهم، وترى الآراء الخاطئة مُنتشرةً وسائدةً، وما ذاك إلا لبعدهم عن تأمُّلِ الكتاب والسنّة وتهافُتِهم على أدعياء هذا العلم المنتشرين على الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي ممّن ظنّ أنْ الشهرة هي المعيارُ في الرسوخ والحق، ولكن بحمد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا زال أناس يحملون هذا العلم العزيز بأمانة وحرص وصدق وثبات، ومن هؤلاء الإخوة النجباء: **عبد الغني الطاهري (الربيع العابر)** وفقه الله؛ فسوف تجد في رسالته التي بين يديك: تأصيلًا

لعلم التعبير على ضوء منهج السلف وتحليلًا لآحاد مسائله.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وغفر لنا، ورزقنا حسن الخاتمة، والفردوس الأعلى، ولذة النظر إلى وجهه الكريم، والله الموعد.

وكتبه:

سليم بن عيد الهلالي

تلميذ الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

عمان الأردن في ١٢/ ١٠/ ١٤٤٤هجري



وطرقت باب مشايخي أرجوهم … خيرًا رجوت فلم أجد ما أرقبه

لا سامح الله الوشاة فإنهم … بكلامهم قطعوا سبيلًا أطلبه

قد شوهوني عندهم لم يأتني … رد على ما كنت يوما أكتبه

فرأيت بدرًا في السماء مشعشعًا … مسقاه وحي الله.. إني أحسبه

أعني سليمًا كاسمه سلم الأذى … وانقاد للمولى وطيب مذهبه

رجل تسامى بالجميل وإنه … دين النبي محمد هو مأربه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة لا يتحدث عن علم الرؤيا وتأويلها فحسب، بل جعلنا ثلثيه يصب في علم التفسير لكلام الله تعالى بدلالات مستنبطة فريدة ومليحة، وجعلنا الثلث الآخر في علم تأويل الرؤيا، وهذا من فضل الله عليّ.

وقد احتوى هذا الكتاب على مقدمة واثني عشر بابًا،

وفهرس للموضوعات،

وهي كما يلي:



الباب الأول: التبصير والتعبير، وفيه ثلاثة مباحث.

الباب الثاني: سورة يوسف، وفيه: تمهيد، ومبحث.

الباب الثالث: دلو يوسف للعبور، وفيه عشرة مباحث.

الباب الرابع: الرؤيا، وفيه مباحث.

الباب الخامس: العدد، وفيه مباحث.

الباب السادس: علامات للسيّارة، وفيه مباحث.

الباب السابع: وهِيجُ الشمس، وفيه مباحث.

الباب الثامن: طَلَع البَدر، وفيه مباحث.

الباب التاسع: محجّة بيضاء، وفيه مباحث.

الباب العاشر: الزّمن، وفيه مباحث.

الباب الحادي عشر: تُـحـف، وفيه مباحث.

الباب الثاني عشر: الرفعة والإجلال، وفيه مباحث.

الفهرس.



مقدمة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الشمس والقمر مسيرات بأمره، وجعل الليل والنهار يتعاقبان ليُعلم عدد السنين والحساب بإذنه، وخلق من الزروع ما شاء لخلقه، وفضل بعضها على بعض في الأكل فذلك آية لأولي العقول المعتبرة، وألهم الطير ببسط جناحيه في جو السماء ما يمسكهن إلَّا الله بقدرته، وسخر الأنعام للناس وذلك من فضله، وجعل من النبوة بشرى ليطمئن قلب العبد وتقر عينه، ففي ذلك كله دلالة على أنه المستحق للعبادة وحده.

وأُصلِّي وأُسلِّم على السِّرَاج المنير عدد الحصى، وما نطق ناطق بين الورى، وعدد ما خلق من كواكب وشجر وطير وحيوان، وعدد ما تعاقب الليل والنهار، فهو عند الملأ يزكو ذكره.

أمّا بعد:

فقد تأملت في الرؤىٰ التي في سورة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فلم أجد من قام بتحرير ما فيها من حِكم مليحة، فبدأت في أول الأمر في إحدى الرؤىٰ وقمت بنشرها بين طلبة العلم، فمررت عليها مرور الكرام، ثم وجدت نفسي أنني غصت في أعماق بحر علم لا تنتهي كنوزه، **وقلت:** لا بد أن أُكمل ما بقي من الرؤىٰ التي في سورة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما وجدت فيها من غزارة في علوم شتّى نافعة على الروح والبدن، وقد وجدت أغلب الكتب تتحدث عن فوائدها عمومًا، وتمر على الرؤىٰ بحديث عام، فوجدت الساحة خالية من قبل وفي عصرنا -حسب علمي-.

والتعمق في رؤى سورة يوسف تتطلب عابرًا ينهج منهج السلف؛ وزد على ذلك إن أتته رؤيا نحو رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه يسهل له ذلك فاستعنت بالله تعالى، ولم أفرده بعلم التعبير، بل المَكَنة في التدبر في كلام الله تعالى، والتأمل في آياته، واستدلال ذلك من القرآن والسنة النبوية، ووجدت أسرارًا وخفايا مستنبطة من الرؤىٰ وما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مما يجعل الروح تتقوى وتسعد، وتجعل من الرؤيا استئناسًا وإنارةً وقيادةً للمرء في حياته حتى مماته من دون مخالفة، وهذا من نعم الله علينا، فسردت فوائد لتعبير الرؤيا بحيث يعلم الرائي أنه ليس هناك شيء مستحيلًا، مع ملاح بعد التدبر في كلام الله تعالى، ولما كانت رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هي أول رؤيا ذكرها الله في هذه السورة كان على طالب العلم أن يُمعن النظر فيها، ويستنبط منها دررًا لا تنقطع، فوجدتها جامعة لعلم التعبير كله مع باقي رؤى السورة، وإن كانت هي في المرتبة الأولى؛ وذلك لعلو معالمها فافهم ذلك.

واعلم أن تعبير الرؤيا يحتاج إلى فكر، وصاحب روح مرهفة شفافة، وعند التاويل يجري عليه من التعب والنصب؛ لأن هذا العلم يتطلب من صاحبه التفكر والتدبر، ويحكم وفق كلام الله تعالى وسنة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ، فالرؤيا ليست مسألة علمية لها مدلولها من الأحكام الشرعية كالمسائل الفقهية- ويحكم عليها على وجه المباشرة فحسب، وإن كانت فتوى إلا أنها أثقل على عابرها؛ لما تحتاج من إعمال لحواس الروح من التأمل والتدبر، والترتيب وغير ذلك، فكيف بسرد بحث جديد؟ فإن ذلك أمر شاق وليس بالهين؛ لأنه يحتاج إلى استدلال من الكتاب والسنة، ولم أُسبق لمثل هذا التصنيف، فلم أجد للمتقدمين ولم أجد حتى للمعاصرين من فعل هذا، حسب علمي.

وهذا الكتاب يحمل مفاهيم نفيسة ومليحة، وطريقة فريدة ذات حُسن وجمال، ويحمل في طيّاته تُحَفًا ماتعة لمفهوم مغاير في الإمعان في كلام الله تعالى، من غير مخالفة ولا خروج عن الاعتدال، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص]، فإن هذا القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ [ص: ٢٩] كثير الخير والنفع؛ ليتدبر الناس آياته ويتفكروا في معانيها؛ وليتعظ به أصحاب العقول الراجحة النيرة.

وقد قسّمت هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الجزء الثاني: رؤيا السجينين.

الجزء الثالث: رؤيا الملك.

وقد جعلت كل جزء في كتاب منفرد، وجعلت في كل جزء أبوابًا، وكل باب يحمل كمًّا من الفوائد المتصلة بعنوان الباب، ومرتَّبة بالعدد، -إن شاء الله تعالى-.

قـــال الربيـــع مبينـــا للحـــال ... يـــا مـــن يريـــد مـــن الحيـــاة معـــالي
ولســان حالــك كيــف لــي بطريقهــا ... في هـــذه الـــدنيا وثـــم مـــآلي
فـــأكون كالبـــدر المنيـــر برفعـــة ... أبغـــي جوابـــا شـــافيا لســـؤالي
فطريقنـــا مـــر ودائـــم قولنـــا ... يـــا رب يســـر بـــالطريق التـــالي
حـــاف وأحمـــل صـــرة في ليلـــة ... قـــر وريـــح الصـــر بالأرطـــال
فأجاب فـامضِ واصـطبر يـا سـائلي ... فطـــريقكم كنـــز وصـــعب منـــالِ
هـــذا مـــن التحريـــر مطلعـــه بـــه ... يـــا مـــن يريـــد مـــن الحيـــاة معـــالي

- تشبيه: أبي الربيع، نظمها الشاعر: عبد الوارث عباس.

الباب الأول:
التبصير والتعبير



المبحث الأول: عِلْمٌ وعَلَمٌ قائم.

المبحث الثاني: جزءًا من النبوة.

المبحث الثالث: جُبَّةُ الاصطفاء.

تمهيد

اعلم أن القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي غرائبه وأسراره في كل زمان ومكان، وهذه التفاسير على كثرتها، والكتب التي أُلفت في مختلف علومه لا يدركها الحد، ولا يصل إليها الحصر، مع هذا لم تنته عجائب القرآن، ولا عَجَبَ أن يستمر البحث والاستنباط من كتاب الله تعالى بفوائد نفيسة؛ فإن كلام الله تعالى لا يمل القارئ منه مع كثرة الترداد، وقد يهيئ الله لعبده ويجري على قلبه ويستنبط منه اللطائف البيانية، والأسرار البلاغية، وتوجيه الآيات توجيهًا تظهر فيه البراعة، وحسن الابتكار، ليس فيها ما يخدش في العقيدة، ولا مخالف لمنهج من قد سلف، وإنما استنباطٌ بحِكَمٍ مليحةٍ بل تُحَف لها مزيتها، تحمل القارئ أو السامع على تقديره، وهذا مما اختص به كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكل فائدة جديدة فالسلف لهم الأجر فيه، وهذا إنما على إثرهم، ونحو هذا، فعندما يستدل الفقيه في زماننا بأدلة غير ما استدل به الفقيه الفلاني من القدامى وليس في الاستدلال مخالفة وتشير إلى المعنى المفهوم فهذه تُعتبر فائدة جديدة لطالب العلم، والمنهج السلفي هو المنهج الأسْلَم والأعْلَم والأحْكَم، فهو ملتزم بظاهر القرآن من غير تأويله، أو تحميله من المعاني ما لا يتحمله اللفظ، أو يُبعد عن غرض الهداية، وقد كان ترجمان القرآن له عدّة وقفات في بعض الآيات، وإذا تأملت إلى القرن السابع لوجدت في كتب ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله لهم تفاسير في بعض الآيات حسب الفائدة التي يبحث عنها، وقد تجد له قولًا يقرب أو يبعد عن المعنى السابق عندما يتعرض لتفسير هذه الآية في موضع آخر، وبحث جديد يختلف عن السابق.

وأهل العلم في هذا على درجات متفاوتة على ما يلهمه الله ويوفقه لذلك، وبقدر ما تحمل الأرض من ذلك الغيث بقدر ما ينتفع العباد منه قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف:٥٨] فالأرض الطيبة لا تقبل إلا طيبًا، ولا تخرج إلا طيبًا، وقلوب عباده متفاوتة في ذلك، وقس على ذلك في الخبث.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد يكون الرجل من أذكياء الناس وأحَدِّهِم نظرًا ويعميه الله عن أظهر الأشياء، وقد يكون من أبلد الناس وأضعفهم نظرًا ويهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فلا حول ولا قوة إلا به. [درء التعارض (٩/ ٣٤)].

فمن اتكل على نظره واستدلاله أو عقله ومعرفته خُذل، ولهذا كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ كما جاء في أحاديث كثيرة صحيحة يدعو ربه: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**». [رواه الترمذي، برقم: (٢١٤٠)، وقال الألباني: صحيح].

قلت: لم تخطئ فراسة ابن دقيق عندما قال لك: لا أظن أنه سيخلق مثلك.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلام له نفيس يُكتب بماء الذهب الحميري: والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكمًا أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته وتنبيهه واعتباره. [إعلام الموقعين (١/ ٢٦٧)].

قلت: فمن كلامه أي: في كل زمان، والله أعلم.

فالناس يتفاوتون في فهم المعاني، واستنباط الحقائق المحتجبة، واستكشاف الأسرار المرموزة، فينبغي ألا ينكر من قصر فهمه عن إدراك حقائق الآيات ودقائق

الأحاديث على من رُزق فهمًا وأُلهم تحقيقًا. [تحفة الأحوذي].

واعلم أن **علم البيان**: هو علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة، في وضوح الدلالة على المقصود بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض.

وموضوعه: اللفظ العربي من حيث وضوح الدلالة على المعنى المراد.

وغرضه: تحصيل ملكة الإفادة بالدلالة العقلية، وفهم مدلولاتها.

وغايته: الاحتراز عن الخطأ في تعيين المعنى المراد.

ومبادئه: بعضها عقلية؛ كأقسام الدلالات، والتشبيهات، والعلاقات. وبعضها وجدانية ذوقية؛ كوجوه التشبيهات، وأقسام الاستعارات، وكيفية حسنها.

وعلم التدبر هو التفكر الشامل في كلام الله تعالى الموصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة.

يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أُوْدِعَت فيه؛ بحيث كلما ازداد المتدبر تدبّرًا انكشف له معانٍ لم تكن له بادئ النظر. [التحرير (٢٣/ ٢٥٢)].

فسلكت هذا الطريق واستنبطت فوائد وزوائد فريدة من الحِكَم والدلالات النفيسة من رؤى هذه السورة، وعَضَّدت ذلك بإيضاح تلكم الدلالات من أحداث قصته، وأيضًا من مواضع أخرى من القرآن والسنة النبوية، وزدت في ذلك بعض الرؤىٰ التي حكمتُ عليها وجرى ذلك الحكم، وكذلك عند الاطلاع على الفائدة تجدها تُنَمِّي القلب والروح في كيفية التدبر في كلام رب العالمين.

وزِدْتُّ في ذلك من الطب وغيره من العلوم الشرعية مما فتح الله عليَّ من دُرٍّ نفيس

وهي من نُذُر النُّدر -إن شاء الله تعالى-، وهذا من فضل الله عليَّ نسأله بها الإخلاص، وأن يسدّدنا ويوفقنا لمرضاته فإن العُجب هدّام.

وقصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تَحدَّثَ عنها أكثر من مفسر وأديب وباحث، ولكن تجد كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ له ملاحة في استنباطه؛ فتجده في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٠﴾ [يوسف].

فقال: هذا الكلام متضمن لوجوه من المكر:

أحدها: قولهن: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ [يوسف:٣٠]، ولم يسموها باسمها، بل ذكروها بالوصف الذي ينادى عليها بقبيح فعلها بكونها ذات بعل، فصدور الفاحشة من ذات الزوج أقبح من صدورها ممن لا زوج لها.

الثاني: أن زوجها عزيز مصر ورئيسها، وكبيرها، وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

الثالث: أن الذي تراوده مملوكًا لا حرًّا، وذلك أبلغ في القبح.

الرابع: أنه فتاها الذي هو في بيتها، وتحت كنفها، فحكمه حكم أهل البيت، بخلاف من تطلب ذلك من الأجنبي البعيد.

الخامس: أنها هي المراوِدة الطالبة.

السادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ حتى وصل حبها له إلى شغاف قلبها.

السابع: أن في ضمن هذا أنه أعف منها، وأبر وأوفى، حيث كانت هي المراوِدة الطالبة، وهو الممتنع، عفافًا وكرمًا وحياء، وهذا غاية الذم لها.

الثامن: أنهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار، والوقوع حالًا واستقبالًا، وأن هذا شأنها، ولم يقلن: (راودت فتاها). [إغاثة اللهفان (٢/ ١١٥)].

وفرق بين قولك: فلان أضاف ضيفًا، وفلان يقري الضيف، ويطعم الطعام، ويحمل الكل، فإن هذا يدل على أن هذا شأنه وعادته .... وله بقية.

قال أبو الربيع الطاهري: وما جرى من نسوة المدينة من تقطيع أيديهن دلالة على أن امرأة العزيز كانت أرجحهن عقلًا، وذلك لم يحصل منها كما حصل منهن بصورة مباغته، وإن كانت قد راودته عن نفسها لكن هذا بطلب منها، والله أعلم.

وإذا تأملت "تفسير" ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رؤيا الملك وغيره من المفسرين لوجدت لهم وقفات على من سبق من أهل العلم.

والمقصود: أنه ينبغي علينا أن نسلك هذا الطريق؛ بل قد أمرنا الله به، وهو التدبر في آياته وفهمها ودراستها واستنباط حِكَمه ولطائفه إن وُفقت لذلك، وبقدر نيّة المرء يكن له ذلك، ومن حكمته سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن هناك من الحِكَم ما ظهر لنا وخفي على غيرنا، وهناك ما خفي علينا وظهر لغيرنا، وهناك حِكَم تظهر في وقت آخر، وهناك أمور يخفيها الله لحكمة نحن لا نعلمها، فإن الله قد يُلهم طالب العلم ويفتح الله عليه مالم يفتح على شيخه، فتجد إخوانه في السهول وهو في الصحاري أينما حفر بحثًا عن الماء نبع، فتجده من النُّدُر، وقلمه مصداقًا لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**». [رواه البخاري، برقم: (٥١٤٦)]، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، فعلينا أن نشمر عن ساعد الجد، ونمعن النظر والتفكر في كلام رب العباد، وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، ونسأل الله الإخلاص في ذلك.

المبحث الأول: عِلم وعَلّم قائم

لنتحدث وباختصار عن مكانة علم التعبير:

اعلم أن كلام الله تعالى منه أمر، ومنه نهي، ومنه عبرة وعظة، -ولابد من الإخلاص قبل ذلك عند دراسته وفهمه وتعلّمه والعمل به، فإنه صلاح الدنيا والآخرة-، وما كان منه عبرة وعظة هو ترغيب وترهيب للنفوس بالأمر والنهي، ولما كانت العلوم الشرعية كالعقيدة وعلم الحديث والفقه وغير ذلك يعود مصدرها من الوحيين كان علم الرؤيا له نصيب في تلك العلوم، فإذا فتشت في العقيدة تجد قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة].

فالرؤيا من علم الغيب، فمن يؤمن بها كان مؤمنًا صادقًا على منهج أهل السنة، وذلك من صُلب العقيدة، ولا ينكر ذلك إلا جاهلٌ أو صاحبُ هوى، وإذا فتشت في الحديث تجد قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**رُؤْيَا الْمُسْلِمِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ**». [رواه الترمذي، برقم: (٢٢٧٢)، وقال الألباني: صحيح]، وغير ذلك من الأحاديث،

وإذا فتشت في الفقه تجد أقسامها، فمنها حق، وهي صحيحة، ومنها حديث نفس، ومنها من عبث الشيطان، ولا يعتبران لفسادهما، كما جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: حَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفُ الشَّيْطَانِ، وَبُشْرَى مِنَ اللهِ**». [رواه البخاري، برقم: (٧٠١٧)]، وإذا فتشت في السيرة تجد بدء نبوة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كانت بالرؤيا، فكان لا يرى رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح، ثم بدأ نزول الوحي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: **أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا**

يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. [رواه البخاري، برقم: (٤٩٥٣)]، وفي رواية مسلم: **الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ**.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا ظاهر في أن الرؤيا الصادقة كانت قبل أن يُحَبّب إليه الخلاء، ويحتمل: أن تكون لترتيب الأخبار، فيكون تحبيب الخلوة سابقا على الرؤيا الصادقة، والأول أظهر. [الفتح (٨/ ٧١٧)].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من العلماء: إنّما ابْتُدِئ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها.. فبُدئ بأوّل خصال النّبوّة وتباشير الكرامة من صدق الرّؤيا. [شرح مسلم (٢/ ١٩٨)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "فتح الباري" (١/ ٢٣)-: بدئ بالرؤيا الصادقة ليكون تمهيدا وتوطئة لليقظة. اهـ

وفي حال مرض موته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كشف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه، فقال: «**اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، «**إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا يَرَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ**»، [رواه مسلم، برقم: (٤٧٩)]، وهنا بثّ فيهم الخير لأمر سيظل حتى قيام الساعة، وهو جزء من خيرات النبوة، وحديثه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في مرض موته وكذلك قوله لعائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا-: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**». [رواه البخاري، برقم: (٦٦٤)، ومسلم، برقم: (٤١٨)]، وإن كان تفسيره على وجه آخر لكن توافق في الوقت الحرج وهو عند اقتراب أجله وذلك لقدر علم الرؤيا ومكانته، وبثّ الفأل لكيلا يحزنوا بفقدانه، والله أعلم.

ومن السيرة أيضًا سورة يوسف ففيها من الجامع لعلومٍ وحِكمٍ تطيب بها الروح

والبدن وحب للقلم، وعلى هذا فقس في سائر العلوم الشرعية مما يستأنس بها العبد.

قال ابن واصل الظبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أحب الله عبدًا عاتبه في المنام، أي: زاجرة للمذنب، ومحفزة لليائس. اهـ

واعلم أن العلماء كالنجوم لهداية الناس، وهذا التشبيه جاء في الكتاب والسنة، وسيأتي بيان ذلك.

يقول أبو سعيد الواعظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما رأيت العلوم تتنوع أنواعًا: منها ما ينفع في الدنيا دون الدين، ومنها ما ينفع فيهما جميعًا، وكان علم الرؤيا من العلوم النافعة دينًا ودنيا استخرت الله تعالى في جمع صدرٍ منه. اهـ

وهذا إنما يدل على أهميته وشرفه، ولأصالة هذا العلم وأهميته اهتم به علماء الحديث بإفراده في مصنفاتهم، فالإمام البخاري عقد في كتابه "الصحيح" كتابًا كاملًا بعنوان: **كتاب التعبير**. ضمَّنه ثمانية وأربعين بابًا، وتحديده لهذا العدد دال على ذكائه وجعل فيها تسعة وتسعين حديثًا، والإمام مسلم سماه: **كتاب الرؤيا**، ذكر فيه خمسة أبواب، وتسعة وثلاثين حديثًا مع المكرر، والأئمة كأبي داود والترمذي وابن ماجه والنسائي ومالك والدارمي وابن أبي شيبة وعبدالرزاق، وكذلك الإمام البغوي في شرح السنة، وهذا الإمام لو أمعنت في أبواب كتابه التي أمام باب الرؤيا والتي من بعده مع شرحه لأدركت غزارة علمه وحدَّة ذكائه، فتفطن لذلك، وفي تأريخ ابن كثير عندما وصف بغداد في زمن رفعتها مما نقله عن المؤرخين القدامى وكلامهم أو نحوه: فقد كانت تقام فيه علوم العقيدة وتعلم تعبير الرؤيا. اهـ

وقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا عن بعض السلف في القرن الثاني أو الثالث وهو يترجم عنه أنه حفظه في ليلة، أعني علم التعبير!

قلت: همم كالقمم.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن ذكر مراتب قلم الوحي الذي أقسم الله به ومنها-:

القلم التاسع: قلم التعبير: وهو كاتب وحي المنام، وتفسيره وتعبيره، وما أُريد منه، وهو قلم شريف جليل، مترجم للوحي المنامي، كاشف له، وهو من الأقلام التي تصلح للدنيا والدين، وهو يعتمد طهارة صاحبه ونزاهته وأمانته، وتحرّيه للصدق والطرائق الحميدة، والمناهج السديدة مع علم راسخ، وصفاء باطن، وحسّ مؤيد بالنور الإلهيِّ، ومعرفةٍ بأحوال الخلق، وهيئاتهم وسيرهم، وهو من ألطف الأقلام، وأعمّها جولانًا، وأوسعها تصرفًا، وأشدها تشبثًا بسائر الموجودات، علويّها وسُفليِّها، وبالماضي والحال والمستقبل، فتصرُّف هذا القلم في المنام هو محلُّ ولايته، وكرسيُّ مملكته وسلطانه. انتهى كلامه البديع النفيس. [التبيان (١/ ٣٠٨)].

قال أبو الربيع الطاهري- سدّده الله-: ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتطلب منا شرحًا واسعًا لما يحمل من معانٍ وفوائد نفيسة إن شاء الله تعالى، والله أسأل أن ييسر لي جمع كلامه في علم الرؤيا من جميع مصنفاته في كتاب مفرد مع تعليقي عليه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله لمن يشاء من عباده. [التفسير (٤٠٧)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول لأصحابه: «**هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا**». الحديث. [رواه أبو داود، برقم: (٥٠١٧)].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الحديث يدل على شرف علم الرؤيا وفضلها؛ لأنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ إنما كان يسأل عنها لتقص عليه، ويعبرها وليعلم أصحابه كيف الكلام في تأويلها، وقد أثنى الله جَلَّجَلَالُهُ على يوسف بن يعقوب عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وعدّد عليه فيما عدّد من النعم التي آتاه: التمكين في الأرض، وتعليم تأويل الأحاديث، وأجمعوا على أن ذلك تأويل الرؤيا، وكان يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أعلم الناس بتأويلها، وكان نبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ نحو ذلك، وكان أبو بكر الصديق من أعبر الناس لها، وحصل لابن سيرين فيها التقدم العظيم، والطبع، والإحسان، وكذلك كان سعيد بن المسيب. [الاستذكار (٨/ ٤٥٦)].

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الرؤيا وتأويلها فباب لا ينضبط له حدٌّ، وقد يكون تأويلها لا يشبهها إلا بوجه بعيد، لا يُهتدى له إلا حذاق المعبّرين. اهـ [بغية المراد (٣٢٠)].

ولدقة هذا العلم وخفيِّ مدركه، أُتُّهِم من فاق فيه بأن له رئيًا من الجن، وليس بذلك.

قلت: وجرى الدفاع من ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شيخه الشهاب العابر ممن انتقده بأن له رئيًا من الجن، وقد كان إمام من الأئمة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعنده كتاب في الأحكام كتاب نفيس أو كلام نحوه، وقد تخرّج على يديه أئمة مشهورين. اهـ

وقال القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن تفسير المنامات قد اتسعت تقييداته، وتشعبت تخصيصاته، وتنوعت تعريفاته. اهـ[الفروق (٤/ ٢٤٩)].

قلت: وعلم التعبير منذ عهد أبينا آدم حتى قيام الساعة لم يُنسَ أو تُنسخ أصوله

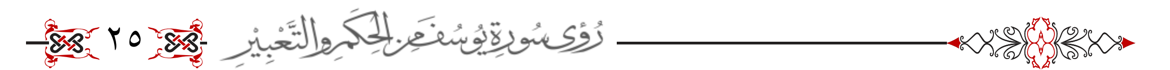
كليةً أو جزئيةً، بل يتوافق وينمو في كل زمان ومكان، وهذا دال على أهميته وشرفه وعلو مكانته منذ ذلك الوقت، بل كان الناس يقولون: إن أصل الطب من المنامات...، وجاء في السُنَّة ما يُعضّد هذا الأمر، واعلم أنه لا يخضع لأقيسةٍ مطردةٍ يمكن تقعيدها وتقييدها وضبطها على وجه العموم.

يقول ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل علم يطلب فأصوله لا تختلف ومقاييسه لا تتغير والطريق إليه قاصد، والسبب الدال عليه واحد، عدا التأويل فإن الرؤيا تتغير عن أصولها. اهـ

وقال القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلم المنامات منتشرٌ انتشارًا شديدًا، لا يدخل تحت ضبط، فلا جَرَمَ إذا احتاج الناظر فيه مع ضوابطه وقرائنه إلى قوة من قوى النفوس المعينة على الفراسة والاطلاع على المغيبات، بحيث إذا توجه الحرز إلى شيءٍ لا يكاد يخطئ بسبب ما يخلقه الله تعالى في تلك النفوس من القوة المعينة على تقريب الغيب، أو تحققه كما قيل في ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إنه كان ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق. اهـ[الفروق (٤/ ٢٤٩)].

قلت: ويعضد ذلك دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ له بأن يفقهه في الدين ويعلّمه التأويل، وينبغي لطالب العلم ألَّا يُهمل هذا الدعاء.

والمقصود: أن هذا العلم من جملة العلوم الدقيقة، التي لا تتحملها ولا تستوعب دقائق مسائلها بعض القلوب بسبب جهلهم أو بسبب مرضهم من طبعهم ومزاجهم الغليظ الرديء، وقد اتهموا ابن تيمية بل بعضهم كفّره، وهذا لتحجر عقولهم وتيبس طبائعهم، ولذا احرص على ما ينفعك واستعن بالله تعالى ولا تعجز، ولا يجرمنك شنآن قوم على ألَّا تعدل، فاصبر وتصبّر وتوكل على الحي القيوم العلي العظيم.



وكتبت محاولة شعرية ولست بشاعرٍ عندما بدأت بتعلم هذا العلم.

قلت:

كن للرؤى يا صاح ذا إحساس   يسهل عليك صياغه بقياس



المبحث الثاني: جزءًا من النبوة

والفرق بين تعبير الرؤيا والكهانة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عبارة الرؤيا، فإن العبد إذا نفذ فيها، وكمل اطلاعه جاء بالعجائب، وقد شاهدنا نحن وغيرنا من ذلك أمورًا عجيبة، يحكم فيها المعبر بأحكام متلازمة صادقة سريعة وبطيئة، ويقول سامعها: هذه علم غيب.

وإنما هي معرفة ما غاب عن غيره بأسباب انفرد هو بعلمها، وخفيت على غيره والشارع صلوات الله عليه حرم من تعاطي ذلك ما مضرته راجحة على منفعته، أو ما لا منفعة فيه، أو ما يخشى على صاحبه أن يجره إلى الشرك، وحرم بذل المال في ذلك، وحرم أخذه به؛ صيانة للأمة عما يفسد عليها الإيمان أو يخدشه، بخلاف علم عبارة الرؤيا، فإنه حق لا باطل؛ لأن الرؤيا مستندة إلى الوحي المنامي، وهي جزء من أجزاء النبوة؛ ولهذا كلما كان الرائي أصدق كانت رؤياه أصدق، وكلما كان المعبر أصدق، وأبر وأعلم كان تعبيره أصح، بخلاف الكاهن والمنجم، وأضرابهما ممن لهم مدد من إخوانهم من الشياطين؛ فإن صناعتهم لا تصح من صادق ولا بار، ولا متقيد بالشريعة، بل هم أشبه بالسحرة الذين كلما كان أحدهم أكذب وأفجر وأبعد عن الله ورسوله ودينه كان السحر معه أقوى وأشد تأثيرًا، بخلاف علم الشرع والحق، فإن صاحبه كلما كان أبر وأصدق وأدين كان علمه به ونفوذه فيه أقوى، وبالله التوفيق. [زاد المعاد (٥/ ٧٠١-٧٠٠)].

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ، مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**». [رواه البخاري، برقم: (٦٩٨٣)].

ومعلوم أن من رأى رؤيا لا يكون نبيًا بذلك.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا ريب أن الشيء يكون جزءًا من النبوة أو الإيمان، ويكون من أصغر الشعب والأجزاء، كإماطة الأذى في الإيمان، أو كالرؤيا في النبوة... وإذا كان بعض أجزاء النبوة يحصل لآحاد المؤمنين وليس هو نبيًا. [الصفدية (١/ ٢٣٥-٢٣٦)].

فإن قيل: من رُزق علم التعبير وفتح الله عليه بذلك، واطلع على بعض الغيب، من خلال تفسيره للرؤيا، هل يكون لديه جزءٌ من النبوة بهذا الاعتبار؟ وليس بنبي لأن النبوة لا تكتسب، وقد ضلّ في هذه المسألة الفلاسفة، كابن سينا وغيره، وصار كثير منهم يطلب أن يكون نبيًا.



المبحث الثالث: جُبة الاصطفاء

وكما أن الله ميّز الشمس والقمر عن سائر الكواكب كان كذلك في أحوال المعبرين فهم في مضمار التعبير على مراتب، وسيأتي تفصيل ذلك، والقابلية والصفات للمعبر جاءت مختصرة من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُقَصُّ الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ**». [رواه الترمذي، برقم: (٢٢٨٠)]، وفي حديث آخر «**وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا لَبِيبًا أَوْ حَبِيبًا**». [رواه، الترمذي، برقم: (٢٢٧٨)]، فاللبيب هو الذي يتفطن لها، وهو العالم كما في الحديث الأول، والحبيب هو الذي يحب لك الخير وهو الناصح، فالأمر خطير لمن يتصدر للتعبير؛ لأنه فتوى، وأحوال المعبرين مختلفة وهم:

هناك من يعبر الرؤيا على ما تيسر له فهمه، ويغض الطرف عما يجهل، فلم يزد ولم ينقص بما هو عليه في فك الرموز بقواعد مخصوصة في ذهنه، وطريقته خطأ، وهذا يسمى: **مقتصد**، وهو في آخر المضمار.

ومنهم يكتسب من القراءة لكتب التعبير وحفظه لتعبير بعض الرؤىٰ وحكم عليها بالعموم، وهذا خطأ، وهذا يسمى: **مستند**، وهو في آخر المضمار.

ومنهم من يكون ملهمًا لكنه مجردا عن العلم، فتجده تارة يُلهم، وتارة يوسوس له، فيخلط بين الإلهام والوسوسة، ولا يملك آلية التمييز، وهذا خطأ، وهو في آخر المضمار، ويسمى: **مستمد**.

وهناك صنف يعتبر أن كل الرؤىٰ حديث نفس، وأن التعبير خُرافات وتُراهات، ولا يقبل الدليل من الكتاب والسنة، وهذا يسمى: **مبتعد**؛ لأنه بعيد عن الحق، وهو

خارج المضمار، وهؤلاء الأربعة لا يدخلون في رتبة الكواكب؛ لأنهم بلا هداية من أدلة شرعية لكي يُهتدى على أيديهم.

وأما الحال الخامس: **المجتهد** وهو في مقدمة المضمار بذل فحصَّل بذل في طلب العلم الغالي والنفيس، فحصل على العلم بأحوال الرؤىٰ وأقسامها وفقه تنزيلها، فكان هو العالم الناصح الذي أخبرنا به نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في الحديث المتقدم ذكره، وقد يقتصد أحيانًا المجتهد فيهمل بعض الرموز ليس لجهله وإنما لعلمه أن الخير للرائي هو التغافل عنها، كما جرى من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في قصة عبارة أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للرؤيا، وكونه مجتهدًا فالساحة ساحته، فإن اقتصد إنما اقتصد بعلم، وإن استمد فبعلم، وإن استند فبعلم، ولن يبتعد بإذن الله تعالى، ويزيد المجتهد جمالًا إن رزقه الله فراسةً وإلهامًا وحبًا لتعلم التعبير مع روحٍ مرهفةٍ ونظرٍ وتقوى وحدّة ذكاء وسعة في الحفظ، وربما يعينه الله بمَلَك يقذف التعبير في روعه، فتجده يعبر الرؤيا من أول وهلة، وإن تأخر فإنه يصيب أو يأتي بأمور عجيبة وغريبة من تعبير المنام؛ ومثل هذا من النُّدُر، وهذه هبة الله يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده.

والمجتهد على درجات مختلفة كما هو حاصل من تفضيل الكواكب، وخلاصة هذه الدرجات: عُمْر الخبرة، كثرة بذل الجهد، تأثير الوظيفة على سلوكيات المعبر.

ويخرج من هذه الأحوال المعبر الكافر والفاسق والكاهن.

قال الشيخ سليم الهلالي -لأبي الربيع الطاهري-: يا بني إن علم التعبير قلَّ علماؤه وقلَّ أهله المختصون به الذين هم على منهج السلف الصالح، وكثر الأدعياء والتجّار في هذا الأمر. اهـ

وإذا نظرنا إلى حال ابن سيرين وهو يوسف هذه الأمة في التعبير ولا أعني من حيث حسن الوجه، فقد كان في الحُسن الصحابي الجليل اليماني جرير بن عبد الله البجلي فيه من يوسف، قال عنه عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: جرير يوسف هذه الأمة. ومع حسن صورته فلم يزده ذلك إلا عفة وصلاحًا، ولهذا يسأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عن النظرة الفجأة، وهذا من حرصه على تدقيق الأمور رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقد ذكر أهل العلم أن ابن سيرين كانت تأتيه أكثر من مائة رؤيا، وينتظر الساعات ولا يعبر إلا بضعًا منها، وهذا يدل على زهده وورعه، وأين نحن منه؟!

وأما ما يذكره البعض بأن تعبير الرؤيا يسلكه حتى المجنون ونحوه؛ فقد أبعد النجعة، ومثل هذا الكلام إنما يدل على عدم فقه صاحبه، فإن هذا العلم نفيس لا يوافق إلا روحًا شفافة نقية صاحب تقوى وبصيرة وعلم، وأين المجنون والفاسق والكاهن من هذا؟!

ولا يسعنا المقام هنا للحديث عن قدر هذا العلم، والمقصود من كتابنا التحرير هو التدبر وحسن الاستنباط في آيات الله، وأيضًا عُدّة للعابر ليسهل عليه العبور، وزيّنّاها بعلوم أخرى، ووجدنا ذلك في رؤى سورة يوسف كونها بدأت برؤيا وانتهت بذلك، وهناك من أَلّفَ في فوائد شتّى من سورة يوسف، وليست كلها في علم الرؤيا إلى أكثر من ألف فائدة، وهذا إن دل فإنما يدل على محملها النفيس، والله أعلم.



الباب الثاني:
سورة يوسف



تمهيد:

بدأت بكتابة التحرير في شهر شوال من سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية، وهي السنة الرابعة أو السادسة من سني الشدة والجدب حلّت على اليمن بسبب الخوارج، وخروج العباد عن الاستقامة، فكثر فيها الهرج والمرج، وقد كان أهلها في خير، واليمن لا يؤتى من قِبل شدته، وإنما من قبل راحته، ولنا في سبأ عظة وعبرة، والله المستعان.

ولنبدأ في تفسير الآيات الأولى من سورة يوسف مما ذكره أهل التفسير.



المبحث الأول: سورة يوسف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف].

وفيها من الحِكَم:

قال أبو الربيع الطاهري -غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين-: اختلف أهل العلم في سبب نزول سورة يوسف، وهي مكية كما ذكر أهل العلم على الصحيح، كما في تفسير ابن كثير، ولما كان أول أمر النبوة هي الرؤيا كانت سورة يوسف وما فيها من رؤى؛ أول رؤيا نزلت في القرآن الكريم، وفي مكة في بادئ الإسلام، وهذا إن دل فإنما يدل على قدرها وأهميتها، خصوصًا عند إقامة قواعد الدين للناس في أوله أمره، وهي إشارة لأهمية الرؤىٰ في الدين والعقيدة، وإصلاح أمور الناس، وإنارة طريقهم، والمتأمل في الأحداث والسور المكية يجد أغلبها فيها من الحكمة والتوعية والإرشاد السديد، وينبغي لطالب العلم أن يتفطن لذلك.

ورؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من القصص القرآنية ولمّا جعل الله تعالى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شطر الجمال كانت رؤياه من أجمل القصص في سورة يوسف، بل ويتلو ذلك تعبيره الجميل البديع في الرؤىٰ المذكورة في السورة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، بل ومثل رؤياه يراها في الغالب من كان ذا روح حسنة، وكان نزول سورة يوسف على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من عوامل الترسيخ،

والمواساة، وتخفيف الآلام والأحزان في مرحلة الشِدَّة والوحدة، وذهب من كان يُسانده وهو وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في مكة فقد كانت خير سند، وكما قيل: **وراء كل رجل عظيم امرأة.**

فلها اليد الطولى عند بدء بعثته ومن قبل ومن بعد.

وإذا تأملت إلى أحداث السورة وحال نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصحبه تلك المدة من الوقت، وهم في مكة لوجدت أن أغلب أعداء الدين في تلك المدة هم من الأقارب سواء لدى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أو صحبه رضوان الله عليهم، وسورة يوسف تحكي عداوة الأقارب والمعارف، فكانت السورة تخفيفًا للعبء والظلم الذي جرى من قِبل أعداء مكة، وكأنها تحكي في الأخير مصير هذا الدين بالرفعة وإن جرى ما جرى من العداوة والمكر، والله أعلم.

ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره": روى البيهقي في الدلائل أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يتلو هذه السورة أسلموا لموافقتها ما عندهم، وهو من رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة.

وقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [يوسف:١] أي: هذه آيات الكتاب، وهو القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ أي: الواضح الجلي، الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف]، وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة،

وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه.

قلت: لم يبدأ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذكر قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ورؤياه على وجه المباشرة، ولعل الحكمة أن السامع للقصة ونحوها الرؤيا وعبور العابر كثيرًا ما تجد من الجاهل أو المكابر عدم قبول ذلك، وأُمرنا أن نحدث الناس بما يعرفون، ولهذا يتوجب عليك أن تتكلم على حسب فهم عقولهم.

وقال العلامة أبو الطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: عاملوا كل أحدٍ بما يلائمه منصبه في الدين والعلم والشرف.

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً. [رواه مسلم في المقدمة (١/ ١١)].

وقد نُهينا أن نحدث الناس بما لا تفهمه عقولهم لما في ذلك من فتنة وخصوصًا التأويل، ولهذا من القواعد الكبرى في التأويل للمنام أن تحكم حسب حاله ولغته وتعطه بقدر ما يليق به، فتنبّه لذلك.

وعن هشام بن عروة، قال لي أبي: ما حدَّثت أحدًا بشيءٍ من العلم قط لم يبلغه عقله إلّا كان ضلالًا عليه.

وسئل **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قائل يقول: إن لم يتبين لي ماهية الجن وكُنْه صفاتهم، وإلا فلا أتبع العلماء في شيءٍ.

فأجاب: أما كونه لم يتبين له كيفية الجن وماهياتهم؛ فهذا ليس فيه إلا إخباره بعدم علمه لم ينكر وجودهم؛ إذ وجودهم ثابت بطرق كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة فإن من الناس من رآهم وفيهم من رأى من رآهم وثبت ذلك عنده بالخبر

واليقين، ومن الناس من كلمهم وكلموه ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم؛ وهذا يكون للصالحين وغير الصالحين ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الخطاب، وكذلك ما جرى لغيرنا؛ لكن الاعتماد على الأجوبة العلمية يكون على ما يشترك الناس في علمه لا يكون بما يختص بعلمه المجيب إلا أن يكون الجواب لمن يصدقه فيما يخبر به. اهـ[مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٣٢)]

ومن الحِكَم من الآية الثانية من السورة:

- عليك أن تعرف عن أحوالهم لكي يتم القبول منك ويسهل عليك ذلك، وأن يكون المتكلم حسب لغتهم.
- **ومنها:** أن العقل مكانه في القلب وله اتصال بالدماغ، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾ [الحج].
- **ومنها:** أن السمع والبصر من أقوى الجوارح تأثيرًا على القلب.
- **ومنها:** أن العاقل لا يكون عاقلًا حتى يدرك ويميِّز بما يقوم به، وأما من استمر في جحده وبغيه فليس بعاقل وإن عُمِّر قرنًا، ولهذا قال بعض السلف: إذا رأيت الرجل جاوز الأربعين ولا يعرف خيره من شره؛ فانفض يديك.
- **ومنها:** أن القصة لها تأثيرٌ سريعٌ على القلوب، وهذا التأثير إن لقي قلبًا صادقًا تمكنت منه، وإن وجد قلبًا قاسيًا صدَّها، أو يجد قلبًا مذبذبًا فيحصل التأثير ساعة ثم يضمحل، ولعل قص الرؤيا هو من أحسن القصص في القرآن، ودليله ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[يوسف:٣]، وكان عقيب ذلك الرؤيا على وجه المباشرة، والله أعلم.

ثم ننتقل لتفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾[يوسف:٣] الآية.

بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن، وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات ما رواه ابن جرير من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: قالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا؟ فنزلت: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] ، ورواه من وجه آخر، عن عمرو بن قيس مرسلًا، وقال أيضًا : حدثنا محمد بن سعيد العطار، حدثنا عمرو بن محمد، أنبأنا خلاد الصفار، عن عمرو بن قيس، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد عن سعد قال: أُنزل على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ القرآن، قال: فتلا عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ ثم تلا عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا، فأنزل الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣] الآية، وذكر الحديث، ورواه الحاكم من حديث إسحاق بن راهويه، عن عمرو بن محمد القرشي العنقزي، به، وروى ابن جرير بسنده، عن المسعودي، عن عون بن عبد الله قال: مل أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ ملة، فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣]، ثم ملوا ملة أخرى، فقالوا: يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن -يعنون القصص- فأنزل الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف] فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص

فدلهم على أحسن القصص. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٤)].

ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة على مدح القرآن، وأنه كاف عن كل ما سواه من الكتب ما قال الإمام أحمد، برقم: (١٥١٥٦): حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا مُجَالِدٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ وَقَالَ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**».

وقال الإمام أحمد، برقم: (١٥٨٦٤): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ قُرَيْظَةَ، فَكَتَبَ لِي جَوَامِعَ مِنَ التَّوْرَاةِ أَلَا أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ، وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ**».

وأخرج الضياء، برقم: (١١٥)، من طريق الحافظ أبي يعلى الموصلي قال: حدثنا عبد الْغفار بن عبد الله بْنِ الزُّبَيْرِ، ثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ عبد الرَّحْمَن بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ

خَلِيفَةَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عُرْفُطَةَ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذ أُتِيَ بِرَجُلٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ مَسْكَنُهُ بِالسُّوسِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ فُلانُ بْنُ فُلانٍ الْعَبْدِيُّ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَأَنْتَ النَّازِلُ بِالسُّوسِ، قَالَ: نَعَمْ، فَضَرَبَهُ عمر بقناة مَعَه، فقَالَ: مَالِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فقَالَ عُمَرُ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ فقَرَأَ عَلَيْهِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: ١-٢] إلى قوله: ﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف] فقَرَأَ عَلَيْهِ ثَلاثًا وَضَرَبُه ثَلاثًا، فقَالَ لَهُ الرجل: مَالِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فقَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَسَخْتَ كِتَابَ دَانِيَالَ؟ قَالَ: مُرْنِي بِأَمْرِكَ أَتَّبِعْهُ، قَالَ: انْطَلِقْ فَامْحُهُ بِالْحَمِيمِ وَالصُّوفِ الأَبْيَضِ، ثُمَّ لَا تَقْرَأْهُ وَلا تُقْرِئْهُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، فَلَئِنْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ قَرَأْتَهُ أَوْ أَقْرَأْتَهُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ لأُنْهِكَنَّكَ عُقُوبَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فقَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا فَانْتَسَخْتُ كِتَابًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ جِئْتُ بِهِ فِي أَدِيمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: مَا هَذَا فِي يَدِكَ يَا عُمَرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كِتَابٌ نَسَخْتُهُ لِنَزْدَادَ بِهِ عِلْمًا إِلَى عِلْمِنَا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، ثُمَّ نُودِيَ بِالصَّلاةِ جَامِعَةً، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: أُغْضِبَ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ السِّلاحُ السِّلاحُ، فَجَاءُوا حَتَّى أَحْدَقُوا بِمِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا أَيهَا النَّاسُ إِنِّي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِيمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِي اخْتِصَارًا، وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، فَلا تَتَهَوَّكُوا وَلا يَغُرَّنَّكُمُ الْمُتَهَوِّكُونَ، قَالَ عُمَرُ: فَقُمْت، فقلت: رَضِيتُ بِاللهِ، رَبًّا وَبِالإِسْلامِ، دِينًا وَبِكَ رَسُولا، ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره مختصرًا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق به.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

وعبد الرحمن بن إسحاق: هو أبو شيبة الواسطي، وقد ضعفوه وشيخه، قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يصح حديثه.

قلت: وقد روي له شاهد من وجه آخر، فقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي: أخبرني الحسن بن سفيان، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي، حدثني عمرو بن الحارث، حدثنا عبد الله بن سالم الأشعري، عن الزبيدي، حدثنا سليم بن عامر، أن جبير بن نفير حدثهم: أن رجلين كانا بحمص في خلافة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأرسل إليهما فيمن أرسل من أهل حمص، وكانا قد اكتتبا من اليهود صلاصفة فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين، ويقولون: إن رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة، وإن نهانا عنها رفضناها، فلما قدما عليه قالا: إنا بأرض أهل الكتابين، وإنا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودنا، أفنأخذ منه أو نترك؟ فقال: لعلكما كتبتما منه شيئا؟ قالا: لا، قال: سأحدثكما، انطلقت في حياة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حتى أتيت خيبر، فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبني، فقلت: هل أنت مكتبي ما تقول؟ قال: نعم، فأتيت بأديم، فأخذ يملي عليَّ، حتى كتبت في الأكرع، فلما رجعت قلت: يا نبي الله، وأخبرته، قال: «**ائتني به**»، فانطلقت أرغب عن المشي رجاء أن أكون أتيت رسول الله ببعض ما يحب، فلما أتيت به قال: «**اجلس اقرأ عليَّ**»، فقرأت ساعة، ثم نظرت إلى وجهه فإذا هو يتلون، فتحيرت من الفَرَقِ، فما استطعت أجيز منه حرفا، فلما رأى الذي بي دفعه ثم جعل يتبعه رسمًا رسمًا فيمحوه بريقه، وهو يقول: «**لا تتبعوا هؤلاء، فإنهم قد هوكوا وتهوكوا**»، حتى محا آخره حرفا حرفا، قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئا جعلتكما نكالا لهذه الأمة! قالا: والله ما نكتب منه شيئا أبدا، فخرجا بصلاصفتهما فحفرا لها فلم يألوا أن يعمقا، ودفناها فكان آخر العهد منها.

وكذا روى الثوري، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الشعبي، عن عبد الله بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بنحوه، وروى أبو داود في المراسيل، من حديث أبي قلابة، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه، والله أعلم. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٦)].

وأما قوله تعالى: ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٢] ليس المراد أنها أفضل قصة في القرآن، ولكن كما ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن هذا الباب ما في الكتاب والسنة من تفضيل القرآن على غيره من كلام الله: التوراة والإنجيل وسائر الكتب، وأن السلف كلهم كانوا مقِرِّين بذلك، ليس فيهم من يقول: الجميع كلام الله، فلا يفضل القرآن على غيره. اهـ[مجموع الفتاوى (١٧/ ١٨)].

قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣] فأخبر أنه أحسن الحديث، وقال تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف]، وأحسن القصص، قيل: إنه مصدر، وقيل: إنه مفعول به، وقيل المعنى: نحن نقص عليك أحسنَ الاقتصاص، كما يقال: نكلمك أحسن التكليم، ونبين لك أحسن البيان.

قال الزجاج: نحن نبين لك أحسن البيان، والقاصُّ الذي يأتي بالقصة على حقيقتها.

قال: وقوله: ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [يوسف:٣] أي: بوحينا إليك هذا القرآن.

وعلى هذا القول فهو كقوله: نقرأ عليك أحسن القراءة، ونتلو عليك أحسن

التلاوة.

والثاني: أن المعنى: نقص عليك أحسن ما يُقصُّ، أي: أحسن الأخبار المقصوصات، كما قال في السورة الأخرى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣]، وقال: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النساء].

ويدل على ذلك قوله في قصة موسى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ [القصص٢٥]، وقوله: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾[يوسف:١١١] المراد: خبرهم ونبأهم وحديثهم؛ ليس المراد مجرد المصدر، والقولان متلازمان في المعنى -كما سنبينه إن شاء الله تعالى-.

ولهذا يجوز أن يكون هذا المنصوب قد جمع معنى المصدر ومعنى المفعول به؛ لأن فيه كلا المعنيين، بخلاف المواضع التي يباين فيها الفعل المفعول به؛ فإنه إذا انتصب بهذا المعنى امتنع المعنى الآخر.

ومن رجح الأول من النحاة -كالزجاج وغيره- قالوا: القصص مصدر؛ يقال: قص أثره يقصه قَصصا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤﴾ [الكهف]، وكذلك: اقتص أثره وتقصص، وقد اقتصصت الحديث: رويته على وجهه، وقد اقتص عليه الخبر قَصصا.

وليس القَصص -بالفتح- جمعَ قِصَّة -كما يظنه بعض العامة-؛ فإن ذلك يقال في قِصص -بالكسر- واحدة: قِصة، والقِصة: هي الأمر والحديث الذي يقص، فِعلة بمعنى مفعول، وجمعه قِصص بالكسر.

وقوله: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] بالفتح، لم يقل أحسن القِصص -بالكسر-، ولكن بعض الناس ظنوا أن المراد أحسن القِصص بالكسر،

وأن تلك القصة قصة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذكر هذا طائفة من المفسرين.

ثم ذكروا: لمَ سمِّيت أحسن القصص؟

فقيل: لأنه ليس في القرآن قصة تتضمن من العبر والحكم والنكت ما تتضمن هذه القصة. **وقيل:** لامتداد الأوقات بين مبتداها ومنتهاها.

وقيل: لحسن محاورة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإخوته وصبره على أذاهم وإغضائه عن ذكر ما تعاطوه عند اللقاء وكرمه في العفو.

وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والإنس والجن والأنعام والطير وسير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والجهال والرجال والنساء ومكرهن وحيلهن، وفيها أيضا ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني والفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

وقيل: فيه ذكر الحبيب والمحبوب.

وقيل: أحسن بمعنى أعجب.

والذين يجعلون قصة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أحسن القصص منهم مَن يعلم أنَّ القَصص بالفتح: هو النبأ والخبر، ويقولون: هي أحسن الأخبار والأنباء، وكثير منهم يظن أن المراد أحسن القِصص بالكسر، وهؤلاء جهَّال بالعربية، وكلا القولين خطأ، وليس المراد بقوله: ﴿ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف:٣] قصة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وحدها؛ بل هي مما قصه الله، ومما يدخل في أحسن القصص، ولهذا قال تعالى في آخر السورة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ

ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ
كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ لَقَدۡ كَانَ
فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ
يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف]، فبين أن العبرة
في قصص المرسلين، وأمر بالنظر في عاقبة من كذبهم وعاقبتهم بالنصر.

ومن المعلوم أن قصة موسى وما جرى له مع فرعون وغيره أعظم وأشرف من قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بكثير كثير، و لهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تذكر في القرآن، ثنَّاها الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أكثرَ من غيرها، وبسَطها وطوَّلها أكثرَ من غيرها، بل قصص سائر الأنبياء - كنوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم من المرسلين- أعظم من قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، و لهذا ثنى الله تلك القصص في القرآن ولم يثنِّ قصةَ يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ وذلك لأن الذين عادَوا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يعادُوه على الدين؛ بل عادَوه عداوةً دنيوية، وحسدوه على محبة أبيه له، و ظلموه فصبر واتقى الله، وابتلي -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ- بمن ظلمه وبمن دعاه إلى الفاحشة فصبر واتقى الله في هذا...). اهـ[مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٢١)].

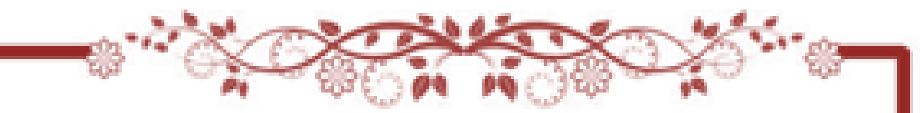
قلت: ولعل هذه السورة من أحسن القصص الملائمة للوقت الراهن يا محمد الذي أُذيت فيه من قِبل الأقارب ونحوهم، فهذه من أحسن القصص حسب الحال، والمتأمل يجد هذه اللفظة ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] لم تبدأ في موضع آخر لقصة أخرى، وكأنها إشارة لشيء نفيس في هذه القصة، -ولا أقصد بهذا التفضيل ومعارضة كلام ابن تيمية-، ولكن هذه السورة تجد فيها نماء في البحث والتحري في المسائل، وأحداثها تعلمك كيفية حسن الاستدلال والحجة والبيان، ولا تنقطع منها

استنباط المواعظ والعبر والحِكم وفهم المسألة وغير ذلك، ودليله قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف]، فهذه الآية دلالة لطالب العلم أن يبحر فيها ويجني الفوائد النفيسة من علوم شتى التي لا تنقطع في كل زمان، ودلالة أيضًا على حُسن هذه السورة مما فيها من العلم والتعلم، والله أعلم.

فائدة: بل هناك من عادى يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على الدين ولم يُفصّل ذلك في القرآن، وإنما أشار في موضع آخر أنه جرى له من الدعوة لغير الذين عاشرهم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السورة، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ۝٣٤﴾ [غافر].

أي: ولقد جاءكم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قبل موسى بالبراهين الواضحة على توحيد الله، فما زلتم في شك وتكذيب لما جاءكم به، حتى إذا توفّي ازددتم شكًّا وارتيابًا، وقلتم: لن يبعث الله من بعده رسولًا مثل ضلالكم هذا عن الحق يضل الله كل من هو متجاوز لحدود الله، شاكٌّ في وحدانيته.

فائدة أخرى: ولعل من الحِكم من تكرار قصة موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن هذه الأمة ستُبتلى بالسحر ونحوه السُّم والظُلم من قِبل أعداء الإسلام من اليهود والنصارى إنسهم وجنهم، ولعل السحر هو الفتنة التي تدخل كل بيت كما في الحديث، فإنك تجد لفظ الفتنة ذُكرت أول مرة حسب الترتيب للسور الأولى في المصحف في سورة البقرة فيما تتحدث عن السحر، والله أعلم.



الباب الثالث:
دلو يوسف للعبور





المبحث الأول: الرؤيا الأولى.

المبحث الثاني: كل رؤيا قصة، وليس كل قصة رؤيا.

المبحث الثالث: للغلام نصيب.

المبحث الرابع: لكل منَّا يوسفه.

المبحث الخامس: دلو مُلِئَ دلالات.

المبحث السادس: يوسف أَم كتاب؟

المبحث السابع: بناء في رؤية الأنبياء.

المبحث الثامن: إتقان وتقدير.

المبحث التاسع: أحسن الرؤى.

المبحث العاشر: للأنثى نصيب.

المبحث الأول: الرؤيا الأولى من سورة يوسف

رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: ٤-٦].

ومن تفسير ابن كثير -ولنا فيه وقفات- قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾ قال: كانت رؤيا الأنبياء وحيًا.

قلت: ورؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أتته وهو في سن الصغر، ولم يكن حينها نبيًا، ولذا لم تقع على ظاهرها كما هي رؤى الأنبياء، كرؤيا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بأن يذبح إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وسيأتي التفصيل أكثر إن شاء الله.

قال ابن أبي حاتم: قوله تعالى: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾ عن قتادة قوله: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾ أي: إخوته، وروي عن السدي، مثل ذلك.

حدثنا أبو يزيد القراطيسي، فيما كتب إلي، ثنا أصبغ بن الفرج قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ قال: أبواه وإخوته، فبغاه إخوته، وكانوا أنبياء، فقالوا: ما رضي أن يسجد له إخوته حتى سجد له أبواه حين بلغهم.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾، قال قتادة قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ قال: والشمس: يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والقمر: أم يوسف راحيل رأيتهم لي ساجدين ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾. [تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠١)].

قلت: والمتأمل في أحداث حياة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإن الشمس والقمر لم يحصرا في والديه فحسب، بل المعنى أعم من ذلك، فإن الشمس والقمر دلالة للحاكم والوالي والمعيشة، وهذا جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من معنى السجود وهو الخضوع والتذلل له بأمر الله تعالى، والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبي غيره، وباقي إخوته لم يوح إليهم. [قصص الأنبياء (١/ ٣٠٩)].

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [يوسف].

قال السدي: فكان الغلامان يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبنيامين في حجر يعقوب، أحبهما وعطف عليهما ليتمهما من أمهما، وكان أحب الخلق إليه يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلما قدموا نحو الشام قال يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرعاته وغلمانه: إن أتاكم أحد يسألكم من أنتم؟ فقولوا: نحن ليعقوب عبد عيصا، فلقيهم عيصا، فقال: من أنتم؟ فقالوا: نحن ليعقوب عبد عيصا، قال: فكف عن يعقوب، فذلك حين قال: وإذ غلبتني على الدعوة فلا تغلبني على القبر، فنزل يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الشام فكان ليس له هم إلا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأخاه فحسده إخوته مما رأوا من حب أبيه له، ورأى يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في النوم رؤيا أن ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ [يوسف] فحدث أباه بها فقال له يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ [يوسف: ٥] فبلغ

إخوة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الرؤيا فحسدوه.

قال محمد بن إسحاق: يقول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في كتابه لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ وهو يذكر له خبر يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإخوته: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾ [يوسف: ٤] الآية، فعرف يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تأويلها، وخشي عليه بغي إخوته فيما عرف من التأويل أن الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا أبوه وأمه وإخوته، فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾[يوسف]. [تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٢)].

قلت: ما ذكره ابن إسحاق سيأتي التعليق عليه في آخر هذا الكتاب.

قال قتادة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ عادوه، فإنه يحق على كل مسلم عداوته، وعداوته أن تعاديه بطاعة الله.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾[يوسف: ٦] قال السدي، عن أبي مالك: يعني: هكذا.

قوله تعالى: ﴿يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ قال قتادة: يصطفيك بتأويل الأحاديث، وعن ابن أبي عروبة، عن قتادة: اصطفاه.

قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾، قال مجاهد: عبارة الرؤيا، وقال قتادة: ففعل وعلمه من عبر الأحاديث، وهي: تأويل الأحاديث. أخبرنا أبو يزيد القراطيسي، فيما كتب إلي، أنا أصبغ بن الفرج، قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، يقول في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦] قال: تأويل الكلام: العلم والحكم، وكان يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أعبر الناس، وقرأ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [يوسف:٢٢]. [تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٣)].



قلت: ولنا وقفة في هذه الآية عند آخر الكتاب.

قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦].

قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من تمام النعمة، دخول الجنة أن الله لم يتم على أحد نعمه فيدخله النار.

قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦﴾ [يوسف].

قال محمد بن إسحاق: أي: عليم بما تخفون. [تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٤)].

وفيها من الحِكَم والتعبير:

نتعلم من سورة يوسف أن الرؤيا تحكي عن أمر آتٍ، وهذا في الغالب، وتأتي عن حدث حاضر أو ماض وكلاهما ينطوي تحت الأول، ويعضد ذلك مما جرى للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عندما سُحر، فأتت الرؤيا تحكي عن أمر مضى، وهو قيام لبيد اليهودي بسحره، وبماذا سحره، ومكانه كذلك، فقام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بالعمل وهذا تحت مسمى المستقبل، وأما الحال تحكي رؤياه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عن سبب المعضلة في بدنه وبعض الرؤى تتكرر؛ وتكرارها للعبد إنما هي دلالة لأمر غفل عنه في زمن الحال أو عليه أن يتنبّه له مستقبلًا والقيام بذلك يكن تحت مسمى المُقبل أو المستقبل كرؤيا ملك مصر، فالأمور المُستقبلة يعلمها الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكذلك مما مضى وما هو حاضر.

والمقصود أن الرؤيا عالم غيبي والإيمان بها واجب بل من العقيدة، وهي من أقسام الوحي كما ذكر ذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه التوحيد، ودليله من سورة يوسف قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ

إِلَيۡكَ ﴾ [يوسف:٣]، ثم ساق رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكأنها إشارة لذلك.

ولذا تجد سورة يوسف تحكي عن الغيب من قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢ ﴾ [يوسف]، فقصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بما فيها الرؤى من علم الغيب.

علم الرؤيا: علم ظنّي، أي: عدم الجزم في التعبير، ودليله من تفسير يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وسيأتي الحديث عن تفسيره، وكما جاء عند البخاري من حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ** ...» [رواه البخاري، برقم: (٣٦٢٢)، ومسلم، برقم: (٢٢٧٢)] «**وَهَلِي**» أي: ظني.

فإن قلت: ما تقولون في هذا الحديث ومعلوم أن تفسير الأنبياء حق؟

قلت: الظاهر لعل الظن هنا كان في حال منامه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وإن كان في اليقظة فهو لم يعبّرها لأصحابه من قبل، أو في حين لم يكن قد قصّها عليهم، والله أعلم.

وهناك من يحتج من طلبة العلم أن هذا العلم إنما هو علم ظني، ويكون المقصد منه ليس تعريفه وإنما أراد التلبيس عليهم، أي: حال لسانه فلا تتعلموا هذا العلم، ومثل هذا إن كان مقصده كما ذكرت فهو يُلبس الحق بالباطل، وقد وقع في زلة، وقدح في حق كلام الله تعالى، فليبيّن لطلاب العلم ما هو حقيقة علم الرؤيا، وكذلك مكانة هذا العلم، فهو من العلوم الشرعية التي ينبغي تعلّمها، ودليل ذلك من قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف:٦]، فكل ما هو آت من الله توجب

علينا معرفته والعمل به ونُعلّمه على فهم السلف، ويكفي لهذا العلم رفعة من سورة يوسف، وأيضًا أحاديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الدالة على قدره.



المبحث الثاني: كل رؤيا قصة، وليس كل قصة رؤيا

فالقصة حديث وخبر لها بداية ونهاية، مبنية على قواعد مرتبة، كما في القصص القرآنية، وقس على ذلك في الرؤيا، فهي تحكي أحداثًا غير مرتبة، ولكن لها بداية ونهاية، وإن كانت غير ذلك فهي ناقصة، ورؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من القصص، وذلك من قوله: ﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ﴾ [يوسف:٥]، ويزيد جمال القصة عندما تكون الرؤيا من القرآن الكريم، فهي من القصص القرآنية الماتعة، ولذا أتى قبل قص الرؤيا قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَـٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف]، ثم انتقل إلى بدء القصة على وجه المباشرة، ولما كانت القصص لها من التأثير والاستنباط من الفوائد التي لا تنقطع كان ذكر قصص الأنبياء مترادفة في القرآن الكريم، وذلك لتأثيرها على القلوب، وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ كثيرًا ما يسأل أصحابه عن رؤياهم، فقد جاء عند البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ من حديث سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟**» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللهُ»، فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: «**هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟** ...» الحديث.

ولما كانت سورة يوسف في أولها قصة كان نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ يبدأ أول نهاره السؤال عن رؤيا، وذلك ليكون الحال طيب لأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، ويُفهم من هذا الحديث أنه كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ يستبشر بها كل حين، وأيضًا يسأل عنها بعد صلاة الفجر، وأيضًا تفقد حال الصاحب والمعارف أو يرشده من رؤياه، ومنها تعلّم

التعبير وغير ذلك من الحِكَم.

ولفظ: القصة، ونحوه: قص، أو: قصص، أو: قاص في المنام لعلك تجد له عبورًا من أحداث يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو اعتبره بتتبع الأثر، أو دل على خبر، وغير ذلك من الدلالات.

فائدة:

"كل رؤيا بدأت بحرف صحيح وانتهت بحرف صحيح فهي رؤيا، وكل رؤيا بدأت بحرف علة وانتهت بحرف علة فليست برؤيا، وكل رؤيا بدأت بحرف صحيح وانتهت بحرف علة أو العكس فهي تتطلب إلى غربلة لتحكم عليها." فافهم ذلك.



المبحث الثالث: للغلام نصيب

رؤيا الغلام حق إذا رأى أو رُئيت له، وذلك إذا خلت من حديث النفس، وعبث الشيطان، ودليله من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد ذكر أهل التفسير أن الرؤيا أتته وهو في السابعة أو الثامنة، ودليل آخر كما رؤية لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عندما ولدته أمه كما عند أحمد، برقم: (٢٢٢٦١)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ؛ قال: قلت: يا رسول الله! ما كان بدءُ أمرك؟ قال: «**دعوةُ أبي إبراهيم، وبُشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نورٌ أضاءت له قصور الشام**». صححه الألباني، في "السلسلة الصحيحة"، برقم: (١٥٤٥)، وتشبيهًا بالكواكب فكما أن رؤية الهلال تثبت إن صفت الرؤية، فهكذا في رؤيا الغلام، وقس على ذلك في كلام الصغير في المنام، وذلك من قوله: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف:١٠٠].

أو الرضيع والجماد والحيوان فهو حق في المنام مالم يدعو إلى مخالفة، وذلك مما جرى من أمر عيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في المهد، وقصة الراعي مع الذئب في عهد النبوة، وغير ذلك من أدلة الكتاب والسنة.

قال لي صغير: إني أراني أحمل عَلَم (راية) بلدتي؟ **قلت**: تتولى عند سن الرُشد.

مليحة: إذا رأيت الصغير في اليقظة عنده حياء مميّز عن سائر الصغار فتفرس فيه إن تأدب من قبل أبويه لعله يُبتلى لرفعته، وهذا واضح من أدب وحياء نبي الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في صغره مع أبيه، وهو يقص رؤياه لأبيه، وزيادة الحياء أو نقصه في الرؤيا دال على خير أو نكد، وتأتي الرؤيا في الصغر وتظل مخزونة في ذهنه حتى الكبر والبعض لا يتفطّن لها.

المبحث الرابع: لكل منّا يوسفه

التأويل بالأسماء، وهو أحد أصول التأويل، وسيأتي في موضع آخر باقي الأصول، وقد سُميت كواكب، ومنها الشمس والقمر، والكواكب تُسمى نجوما كما عند أهل اللغة، وكما في رؤيا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ للرطب دلالة على التفسير بالأسماء، وأما اسم (يوسف) في الرؤيا فإن كان مجهولًا لدى الرائي ومن غير إشارة لنبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فربما دل على إنسان له صفة اتصف بها يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وسيأتي بيان ذلك كعابرٍ للرؤيا أنت على صلة معه، أو احكم حسب أصول التأويل، أو لعل الرؤيا تعني والد الرائي، أو لأخيه، أو لأحد المعارف يحمل هذا الاسم، ودليله: ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ [يوسف:٦] الآية.

ومن رؤياه أيضًا دلالة على التأويل بالمعنى، ومن ذلك فإن من طبيعة الكواكب الافتراق والتقارب، وهذا مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع أقاربه.

كما قالت لي امرأة: رأيت أمي المتوفاة تقول لي: عليك أن تأخذي ثيابك وبما يرشدكم به يوسف فهو صاحب خلق حسن. انتهت الرؤيا، علمًا بأنه لا يوجد بيننا بهذا الاسم، ولا من المعارف.

قلت: ما أتى من دار الآخرة فهو حق، مالم يكن مخالفًا، وعليكم بما يرشدكم به العابر لرؤاكم، ومن نصحه يرشدكم بالصبر على زوجك رغم الخصومة الواقعة بينكم، فكان كذلك.

ودلالات أخرى فإنك تجد من يرى يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو الكواكب ربما تجده محسودًا، ومنها شفاء المريض أو خلاص من شدَّة، واعتبر من اسمه بقراءة

سورة يوسف إن كان يشكو من ضر محسوس فهي راحة للمحزون لما فيها من العبر والتأثير على الروح والبدن، وكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كله شفاء.

قال ابن عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يسمع سورة يوسف محزون إلَّا استراح. [تفسير البغوي (٢/ ٤٧٤)].

ورجوع بصر يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُعضد هذه الفائدة.

كما قال لي إنسان: رأيت قائلًا يقول لي: اقرأ سورة يوسف أربع مرات.

قلت: أنت محسود، فاقرأها أربع مرّات، ولعل تحديد هذا العدد من عدد أحرف الاسم أو بسبب قوة الداء، فباب الرقية واسع، وعليه فقس في سورة الرحمن لمرضى الرحم إذا جاء في الرؤيا من الاسم عبد الرحمن ونحوه.



المبحث الخامس: دلو مُلئَ دلالات

ليس كل من رأى يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو وسمه يكون عابرًا للرؤيا، بل هناك دلالات عدة منها: لعله كان ذا حسن وجمال وأمه كذلك، وهذا من باب الزيادة في التعبير، ويحصل عليه حظوة من النساء، أو ولاية على زراعات، أو تجارة وعقارات، أو يعفو عن خصومه، أو يشاع أنه قُتل، أو فجور في الخصومة من قِبل أعدائه، تقطع ثياب، ونحوه كلام رديء في عرضه، ديون، يُمَن عليه، غدر صديق، زمن قحط وغلاء، تُهمة من امرأة، سفر، زواج، حمل، عاقبة سليمة، مقربة من الأكابر، خضوع أعدائه، مكر من نساء الأكابر، أو مرض بسبب نظرة في الصغر، وكل ما ذكرته آنفًا من الإشارات جرت ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولها مكانة من مفاهيم الكواكب، وسيأتي البسط لبعض العلامات.

فاعتبر من هذه الإشارات أو مما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد اطلاعك على حال الرائي وشهود الرؤيا من الخير أو النقص وأعط بقدر ما يليق به.



المبحث السادس: يوسف أم كتاب؟

لطالب هذا العلم: إذا رأيت يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في المنام أو وسمه أو نحو رؤياه وفيها خيرية فاعلم أنها نعمة من الله عليك، وقد اصطفاك الله لخير نفيس بقدر همتك، وما عليك إلا القيام بنفع العباد، وهكذا قس على باقي الأنبياء والصالحين، وكما هو معلوم أن الله ذلّل الشمس والقمر لنفع العباد، وقد ذكر ذلك يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك من قوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [يوسف:٦]، وكذلك يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند تحقق الرؤيا، فرؤيا شبيهة برؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قلّ أن يراها من العباد لا سيما في زماننا، وطالب علم التعبير في بادئ الأمر لئن يرزقه الله رؤيا بيوسف أو وسمه خير من قراءة كتاب، فافهمه.





المبحث السابع: بناء في رؤية الأنبياء

رؤى الأنبياء: اعتبر كل نبي بما جرى له واحكم للرائي بما يليق به من الخير أو النقص، وكذلك في الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- والتابعين وأئمة السلف من بعدهم، وصلة هذه القاعدة بالكواكب أن الأحداث لكل نبي جرت في زمنه لها حكمها، وذلك لتشبيههم بالنجوم ولصلة الوقت من الليل والنهار، وقس في أزواجهم وأولادهم وأعدائهم وغير ذلك مما ذُكر في القرآن والسنة.

كما قال لي إنسان: رأيت النبي نوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

قلت: قمت بعمل النجارة أليس كذلك؟

قال: بلى. **قلت**: تربح من ذلك. ودليله: من نجارة نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للسفينة.

وآخر كان يشكو من مرض في عاتقه يقول: رأيت النبي نوحا يمسك على رقبتي، ويقول: ماذا أجبتم المرسلين. **قلتُ**: تُشفى ويرتفع ذكرك وذلك كونه وضع يده موضع الألم، وذلك كونك طالبٌ للعلم، فهو كالأمانة في عنقك بالدعوة إلى الله، وعليك أن تقوم بما أُرسل إليك من قِبل طبيب أمين، فبرأ.

وقالت لي امرأة: رأيت النبي إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. **قلتُ**: يُبنى لك بيت ولعل ذلك من قِبل والد زوجك، فجرى ذلك.

وآخر يقول: رأيت النبي عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وكانت بشرته حمراء اللون. **قلتُ**: تتقن في طب الحجامة وشفاء للمرضى على يديك، فكان كذلك.

وآخر يقول: رأيت النبي يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. **قلتُ**: تُشفى من مرض بدواء يرسله لك عابرٌ للرؤيا، وآخر مثله، قلت: جرى لك نكد من أقاربك، فكان كذلك.

المبحث الثامن: إتقان وتقدير

فالغلام له حكمه في تفسير رؤياه، والبالغ له حكمه، وكذلك الكبير، وهذا حسب الحال ولا بد من ذلك إلَّا إذا كان شهود الرؤيا مآلها بعد زمن طويل فهو كذلك، فكما أن الهلال يسمّى هلالًا عند ظهوره، وفي النصف من الشهر يسمّى بدرًا، وكذلك الشمس عند أول النهار يختلف حرّها على الظهيرة، وكذلك عند الغروب، فأعط الرائي حسب سِنِّه أو حاله وفق أحداث الرؤيا، وربما كان حكمها لغيره كالوالدين، أو لأحد إخوانه، أو ممن دل عليه مع تقارب شهود الرؤيا، وما ذكرناه مستنبطًا من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فإذا رأى الغلامُ الكواكب أو يوسفَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه يدل على حسد أو ظُلم من إخوانه وهذا في الغالب، ويعقبه رفعة، وربما يكون وزيرًا عليهم، ونحو ذلك مما جرى ليوسف من أمور عدّة مختلفة، ويكون ذلك بعد برهة من الزمن.

وإن رأى الشيخُ يوسفَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فربما دل بما جرى ليعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك كونه أحد أبنائه، أو بما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وذلك من أحداث آخر السورة.

ومعلوم كيف كانت سيرة الأئمة من السلف في سن صغرهم، وليس هنا موضع بسطه، فكلما كان الصغير محمَّصًا كان مُمَكَّنًا.



المبحث التاسع: أحسن الرؤى

فمن رأى نحو رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو شيئًا منها، فهي رؤيا نفيسة ومن أحسن الرؤىٰ، وذلك كونها جزء من النبوة، وكذلك أمر حسن يعود ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فازداد حسنها، فتأمل في مثل هذه الرؤيا لا سيما إذا أتت مبكرة للغلام أو لطالب العلم أو للفقيه، وفيها معالم كبيرة علوية، وهذا مستنبط من بدء ذكرها من أول سورة يوسف، وهذا إن دل فإنما يدل على عظم شأنها وعظم شأن صاحبها في كل زمان ومكان بقدر ما يليق به.

وكفى فخرًا لمن رأى نحوها أن هذه الرؤيا في كتاب الله تعالى تُتلى حتى يرفع الله هذا العلم، وعليك أن تمعن ما في جعبتها وترشد الرائي بالصبر والمصابرة والعزيمة، وتبث الفأل الحسن وتبشره، وعليه بأخذ العبرة والعظة فيمن سبق، فإن حال القمر يبدأ ببزوغه هلالًا والناس تتأمل عند ظهوره لمعرفة عدد السنين والحساب لما فيه من منافع للعباد.

وهكذا كان أحوال بعض الناس قبل النبوة يترقبون ظهور نبي الرحمة، وظهور نجمه كما كان مدون عند اليهود كما ذكر ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السيرة، وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: **والله إني لغلام يفعة، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كلما سمعت، إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب: يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك ما لك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد فيه.**

كما قال لي إنسان: رأيت الكواكب اجتمعت بما فيها الشمس والقمر، ولكنها كانت بارزة أكثر وضوحًا من الشمس والقمر.

قلت له: أنت وإخوانك إياكم أن تخرجوا عن طاعة ولي الأمر وتبرزوا السلاح للخروج عن طاعته.



المبحث العاشر: للأنثى نصيب

المرأة إذا رأت يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو نحو رؤياه يجري عليها مما تقدم ذكره، ودل على حسنها وجمالها وتُحسد، أو تتنكد من زوجها، أو زالت نعمتها، وربما اشتكت من بصرها، أو تضيق بها السبل، أو ابتليت بحُب ذوي الأقدار، وإن كانت في شيء من ذلك تاب الله عليها، وبلغت قصدها أو تزوجت، واستغنت إن كانت فقيرة، وحسُنت عاقبتها في الدنيا والآخرة، وهذا شيء مما ذُكر عن امرأة العزيز، وربما ابتليت بنظرة حسد، وقد تُبتلى منذ صغرها أو في صغير لها.

كما قال لي إنسان: رأيت الربيع العابر بيده بطاطًا مقشورًا، وقلت: حاله كحال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما قطَّعن أيديهن.

فقصصتُها على مُعبَّر فلم يُدرك جوهرها، **فقلت للرائي**: يجري عليّ مكر وكيد من قِبل أصحاب لي، ومن نساء، ووراء ذلك امرأة من الأكابر على صُنعة يوفقنا الله بها فيما يتعلق بالطب النبوي وبما نكتبه من العلم الشرعي، فجرى ذلك بعد بضعة أيام، والله المستعان، ونسأله الإخلاص في القول والعمل.





الباب الرابع:
الرؤيا





المبحث الأول: الرؤيا الصادقة والرؤيا الصالحة.

المبحث الثاني: الرؤيا والرؤية.

المبحث الثالث: إصدار الحكم بين لفظ: الرؤيا والحلم.

المبحث الأول: الرؤيا الصادقة والرؤيا الصالحة

إن مثل هذه الرؤىٰ كرؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تتطلب إلى عابر حاذق بعد توفيق الله له وصاحب تقوى وإلهام، ودليل ذلك من حال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما قصّها على أبيه يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو نبي وكبير في المكانة، فكانت إشاراتها كبيرة رفيعة، ولم يكن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حينها نبيًا، أعني عندما أتته الرؤيا، ولم تكن رؤياه وحي نبوة، فرؤى الأنبياء لا تأتي ذات رموز حسب السياق القرآني، وانظر إلى رؤيا إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لذبح ولده عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك رؤيا نبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ ﴾ [الأنفال:٤٣]، وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ [الفتح:٢٧]، فرؤى الأنبياء صالحة صادقة ولا تحتاج إلى تعبير، وأما رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذه ذات رموز، وكان في سن الصغر، وأيضًا جرى وقوعها بعد أربعين سنة كما ذكر بعض أهل التفسير.

وأما الرؤىٰ التي أتت لنبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ المرموزة كرؤياه للرطب فإنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ عبّرها، وهذا من الوحي، ومن الوضوح كذلك إذ أنه جزء من ذلك، وأول ما يرى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الرؤىٰ الصادقة، وليست المرموزة، وذلك من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، أنها قالت: «**كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ **الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ**». الحديث. [رواه البخاري، برقم: (٤٩٥٣)، ومسلم، برقم: (١٦٠)]، وفلق الصبح يضرب به للشيء الواضح البيّن، ولذا فإن الرؤيا

الصادقة هي التي تكون واضحة بينةً لا تحتاج إلى معبر، فإنها تقع كما أتت في المنام.

ونتعلّم من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه يُفضل أن يقص الرائي رؤياه بنفسه.

فإن قلت: فما بال رؤيا ملك مصر؟

قلت: سيأتي البيان في الجزء الثالث إن شاء الله.

وكلما كانت الرؤيا جلية وإن كانت غير مرتبة كانت دالة على صدق صاحبها، وما على العابر إلا القيام بترتيبها ويخرجها مخرجًا متوافقًا مع حال الرائي، وليحكم بقدر ما يليق به، وهذا من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد كانت كلها كواكب، ومنها العام والخاص والبداية والنهاية والمصير، فكانت واضحة كالشمس في رابعة النهار.

ولهذا إذا رأيت إنسانًا تأتيه رؤيا في النادر وتقع كفلق الصبح فهذا دليل على صدقه إن كان حاله كذلك في اليقظة، وإن كان غير ذلك فدلالة على أمر ما، والله أعلم.

والاختلاف بين الرؤيا الصادقة والرؤيا الصالحة كما ذكر ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في "الفتح" (١٢/ ٣٥٥): وهما بمعنى واحد بالنسبة إلى أمور الآخرة في حق الأنبياء.

وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة في الأصل أخص، فرؤيا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كلها صادقة، وقد تكون صالحة وهي الأكثر، وغير صالحة بالنسبة للدنيا، كما وقع في الرؤيا يوم أحد، وأما رؤيا غير الأنبياء فبينهما عموم وخصوص إن فسرنا الصادقة بأنها التي لا تحتاج إلى تعبير، وأما إن فسرناها بأنها غير الأضغاث فالصالحة أخص مطلقًا. اهـ

قال نصر بن يعقوب الدينوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "التعبير القادري": الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه، أو ما يعبر في المنام أو يخبر به ما لا يكذب، والصالحة ما يسر. اهـ

المبحث الثاني: الرؤيا والرؤية

وإذا تأملت في كلام الله تعالى تجده مترابطًا في التفسير، ولنأخذ من هذا الترابط من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وذلك من ترابط الكواكب وسلسلتها، وإلا فكلام الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ليس بمخلوق ونحو هذا السياق تجد الرؤيا ليست محصورة بالرؤيا المنامية، وإنما في عالم الغيب.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويحتمل أن تكون الحكمة في تسمية ذلك رؤيا لكون أمور الغيب مخالفة لرؤيا الشهادة فأشبهت ما في المنام.

فالرؤية تُطلق على المشاهدة، وقد رُبطت بالتاء فكانت شبيهة بالعين، والدليل على ما ذكرنا من قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء:٦٠]، وهي حادثة الإسراء، وهذا يعضد هذه الفائدة، وعلينا أن نتدبر في السياق القرآني من الفوائد المتجاورة مع بعض.

ولما كان نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أشرف الأنبياء والرسل كانت مكانته ورؤياه أنبل، فسيّره روحًا وجسدًا يقظةً في جزء من الليل فهو أعلى وأرفع من مكانة النجوم، وقد اتخذه الله خليلًا، وآتاه الوسيلة، وهذا يدركه اليهود ويزيدهم حسدًا وحسرةً.

وقس على ذلك في تأويل الأحداث في اليقظة كما سمعت أن حاكم أمريكا أُصيب بداء السرطان في جِلده.

قلت: هناك جائحة قادمة على بلدته لا سيما الدُّور، فجرى ذلك بعد بضعة أشهر، فتفطن لذلك.

والمقصود: أن هناك بعض الرؤىٰ تأتي في اليقظة فحكمها حكم رؤيا المنام خصوصًا المريض فربما يراها في يقظته، وتكون أحداثها قصيرة، ولعل السبب أنها كانت مخزونة في النفس الحافظة من قبل، أو أتت في تلك الساعة، والله أعلم.

كما قالت لي امرأة: رأيت في اليقظة، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] بين يدي؟

قلت: يصير زوجك أو ابنك فقيهًا.

يسأل سائل: هل الأعمى يرى رؤيا في منامه؟

قلت: هذا يعود على حال الأعمى ووقت مرضه ورؤيته للأشياء قبل المرض أو إن ابتلي من الصغر، وقد يرى أحيانًا لمن أراد الله له الشفاء خصوصًا إن كان بسبب مادة فتأتيه الرؤيا أو يُرى له بما يقوم به من الدواء كالاستفراغ وغيره.

كما قال لي أعمى: رأيت أني أقتل ثعبان أسود اللون؟

قلت: عليك باستفراغ البدن، وسيعود لك بصرك إن شاء الله تعالى.



المبحث الثالث: إصدار الحكم بين لفظ: الرؤيا والحلم

قال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾، ولم يقل حلمت ونحوها في رؤيا السجينين، وكذلك في رؤيا الملك، وهنا إيضاح للفرق بينهما، وهي:

الرؤيا: اعلم بارك الله فيك أن الرؤيا: هي ما يراه الشخص في منامه، وهي بوزن فُعْلى، وقد تسهل الهمزة، وهذا التعريف لابن حجر العسقلاني.

يقول ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والرؤية بالهاء: إدراك المرء بحاسة البصر.

حقيقة الرؤيا: الذي عليه أهل السُنة: أن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، فإذا خلقها فكأنه جعلها علمًا على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال، ومهما وقع منها على خلاف المعتقد، فهو يقع لليقظان، ونظيره أن الله خلق الغيم علامة على المطر، وقد يتخلف، وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يَسُر، أو بحضرة الشيطان، فيقع بعدها ما يضر، والعلم عند الله تعالى.

قلت: البعض يُشكل عليه فيفهم ما يقع من ضر فهو من الشيطان، وهذا خلاف ذلك، فالتي بحضرة الملك تأتي خيرًا، وتأتي تحذيرية، وهذا إنما هو خير للعبد، إما يزجره عن معصية أو ابتلاء ونحو ذلك، ولعل ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم ينتبه لكلامه الأخير، فإن القارئ لعله يُلتبس عليه، وربما يعني بذلك الضر أي من الحزن والضيق ونحوه، فأحببت الإيضاح، وهناك أقوال متعددة في حقيقة الرؤيا.

الحلم: جاء عند البخاري برقم: (٦٩٨٤)، ومسلم، برقم: (٢٢٦١)، أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ**».

وفي الحديث الآخر: «**الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، وَالرُّؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالرُّؤْيَا مِنَ الشَّيْءِ يُحَدِّثُ بِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ**».[رواه أحمد، برقم: (١٠٥٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ].

السؤال: هل هناك فرق بين لفظ الرؤيا والحلم، فهل أقول: رأيت أو حلمت؟

الجواب: إذا تأملنا في الحديث السابق فيه: أن الرؤيا هي ما كانت من الله تعالى، وأما الحلم من الشيطان.

وإذا تأملنا في الحديث الآخر فإنه أطلق على ما أتى من الشيطان رؤيا أيضًا!! فهنا يحصل إشكال عند طالب العلم؟!

والظَّاهر أن الحديث الأول يحكي ما بعد تفسير الرؤيا، وهذا يعود على العابر فيحكم عليها إما رؤيا أو حلم، أي: الحاصل، بمعنى الفتوى بعد قصّها للقاضي العابر فيكون الحكم إما رؤيا لكونها عُبِّرت وإما حلمًا من الشيطان، أي: بعدية.

وأما في الحديث الآخر فأطلق عليها رؤيا على العموم، وذلك قبل أن يُحكم عليها، وهنا أقول: إن الحديث يشير إلى الرؤيا قبل أن يفصل فيها القاضي العابر، فهي عكس السابق أعني: (قبلية) فالرؤيا كونها لم تقص على العابر فهي رؤيا بحكم عام، وبعد النظر فيها يصدر حكمه فيها، وهذا هو الإيضاح الجلي فيما أُشكل على كثير من أهل العلم، والله أعلم.

ومما يعضد هذا، فإنه ذكر أهل العلم أن لفظ الرؤيا جاءت في القرآن سبع مرات كلها في الرؤيا الصادقة؛ فخمس مرات للأنبياء كما في سورة الصافات، وسورة يوسف، والإسراء، وسورة الفتح، ومرتان في رؤيا العزيز، وقد صدقت، وقد بدت للملأ أنها هواجس وأوهام وأضغاث أحلام، وكان حكمهم خاطئ.

وإذا تأملنا في لفظ (الرؤيا) لوجدنا فيها دلالة على التميّز والوضوح والصفاء.

واللفظ (حلم) تجد فيه من الضعف، وعدم الوضوح، والهشاشة من خلال اللفظة.

وقال أهل العلم: إن القرآن استعمل اللفظة (الأحلام) ثلاث مرات يشهد سياقها بأنها أضغاث أحلام متهوشة وهواجس مختلطة، وأتت في القرآن دلالة على الخلط والتهوش، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الأنبياء:٥]، وعلى لسان الملأ من قوم العزيز، حين سألهم أن يفتوه في رؤياه: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف].

يقول العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرؤيا المضافة إلى الله لا يقال لها: حلم. اهـ [عمدة القاري (٢٤/ ١٣٢)].

والتي تضاف إلى الشيطان لا يقال لها رؤيا، وهذا تصرف شرعي، وإلا فالكل يسمى رؤيا.

والعلماء يفرقون بين الحلم والرؤيا، والمقصود بالتفريق نسبة الخير لله، والشرّ للشيطان.

قلت: ويَعضُد ذلك أيضًا ما جاء عند الطبراني والحاكم ووافقه الذهبي وهو وصية ثابت بن قيس فقال في الرؤيا: (**فإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه**)، وما جاء من أهل الآخرة فهو أقوى في تعضيد ذلك، وعلينا أن نفهم ونتعلم أن الرؤيا لا يؤخذ منها أحكام شرعية.

وارتباط الكواكب بهذا المعنى فكما أن النهار والليل من الشمس والقمر فمنها نعرف الفجر الصادق من الفجر الكاذب، والله أعلم بالصواب.





الباب الخامس: العدد

المبحث الأول: توافق عجيب في العدد.

المبحث الثاني: حزمة من عدد.

المبحث الثالث: المَدَار للعدد.

المبحث الرابع: دلالات من أحد عشر.

المبحث الأول: توافق عجيب في العدد

اعلم أن كلام الله تعالى ينبغي علينا أن نفهمه ونتلمس فيه دلالات جلية حسب ما نُقل عن أهل العلم، فكل حرف له معنى، ولم يكن القرآن الكريم في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مدون ككتاب وفيه الأعداد للآيات أو لسور القرآن الكريم، ولكن كان العدد محفوظًا في قلوبهم مسلسلة كما هو الآن، ومما يدل على تدقيق الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في العدد لآيات السورة، وذلك من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: صليت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى... الحديث.

والشاهد من الحديث قوله: عند المائة.

فالعدد في القرآن الكريم أو في الحديث له دلالات، وكذلك قس إن أتى في الرؤيا، وذلك لكونه له معنى عند أهل التفسير كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر].

فاختلف أهل التفسير في المعنى للعدد سبعًا، فمنهم من قال: إنها السبع الطوال، ومنهم من قال: سبع آيات وغير ذلك، وكلها تتوافق فيما أشاروا إليه، وقول ابن عباس وابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وغيرهما أنها عدد الآيات لسورة الفاتحة.

قلت: ولعل المعنى أن كل آية فيها معنيين في سياق واحد لدلالة واضحة وذلك إن اعتبرنا شطرًا في كل آية، والله أعلم.

ومما يدل على أهمية العدد في القرآن تجده في رؤيا الملك، وبصورة أخرى من قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ [الأنفال:٤٣]، ونحو ذلك من

الآيات.

وبما أن الشمس والقمر دالة على معانٍ مختلفة ومنها عدد السنين والحساب ومن ذلك السِنّ؛ فإن القمر يبدأ كالهلال ثم يصير بدرًا ثم يصير كالعرجون القديم، وهذا هو عمره؛ ومن رؤيا يوسف لعل فيها دلالات تحكي عن سِنِّه، وذلك لكون رؤياه فيها إشارتين كبيرتين، وهما أصل لمرجعية العدد والحساب، وهما الشمس والقمر فبهما يعلم الإنسان ما مضى من سِنِّه، ويعلم الوقت لأحداث جرت كانت له أو لغيره وغير ذلك من الأمور، والله أعلم.

ومن التوافق العجيب عندما تأملت في أقوال أهل التفسير في هذه السورة مع عدد الآية وجدت توافق عجيب فمن ذلك:

تأملت في عدد الآية الخامسة حتى الآية السادسة فيها الرؤيا وإرشاد يعقوب ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبعض أهل التفسير ذكروا أنه أتته الرؤيا وهو في سِن الثامنة، وهذا السِّن يُطلق عليه غلام، كقوله تعالى: ﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ﴾ [يوسف:١٩].

ثم تأملت للآية الخامسة عشر حتى الآية الثامنة عشر تحكي عن أمر الجُب، وذكر ابن كثير قولا للحسن: أنه عندما ألقي في الجُب كان ابن سبع عشرة سنة.

قلت: ومعنى غلام: هو من يقارب سن البلوغ.

ثم تأملت إلى عدد الآية التي تحكي بيعه فهي العدد عشرين وبحثت عن أقوال أهل التفسير فاختلف المفسرون، فمنهم من قال: اثنان وعشرون، وابن عباس وابن مسعود وغيرهم قالوا: إنهم قبضوا ثمنه عشرين درهمًا، وهذا توافق عجيب أيضًا مع عدد الآية.

وتأملت في قول عكرمة والضحاك أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما بلغ أشده كان في سن العشرون، أو خمس وعشرون، وهذا يوافق الآية، ولمن ذهب أنه كان في سن بضع وثلاثون فإنه توافق أحداث الأعداد للآيات التي جرت له عند بلوغ أشده؛ وهنا يكون الفارق الزمني بين بيعه حتى دخوله للسجن هو مدة مكثه في قصر العزيز، ولعلها كانت نحو ثمانية عشر سنة، وذلك بما يوافق أقوال أهل التفسير، والله أعلم.

وعلى القول بأن الأنبياء يبعثون في سن الأربعين تأملت إلى الآية أربعين فيها الدعوة إلى التوحيد حيث بدأ بالدعوة إليه من السجن، والله أعلم.

وذكر الضحاك عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مكث في السجن ثنتا عشرة سنة، وقال الضحاك: أربع عشرة سنة، فتأملت إلى عدد الآية التي انتهى فيها تأويله لرؤيا الملك، وطلب الملك له، وخروجه من السجن فإنها الآية خمسون، وهذا يوافق قول ابن عباس أنها ثنتا عشرة سنة.

ومما يتوافق مع قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فإن الآية ثمان وخمسين كان مجيء إخوانه، وذلك بعد مرور سبع خصب، والله أعلم.

والمتأمل في حياة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجدها بدأت بتعب ونصب حتى الخمسين عامًا من عمره على ما سبق ذكره من التحديد لسِنِّه حسب أقوال أهل التفسير، وهذه دلالة من دلالات لمآل رؤياه ففيها الشمس، وذلك من حرها وشدتها، وبدأت رؤياه بذكرها بعد الكواكب، ثم عقب في رؤياه ذكر القمر، فكان دلالة للفرج وتجد ذلك من الآية إحدى وخمسين، ولعل سِنَّه كان كذلك، وهذا يَعضُد ما أسلفناه؛ فبدأت تتوالى عليه المبشرات، وبدأ حال القمر يظهر شيئًا فشيئًا مع بدء سبع سنين خصب وانتهت وهي من الآية خمسين حتى الآية سبع وخمسين.

ولعل بعض الآيات تحكي حدثًا أو أحداثًا في يوم جرت، أو في بضعة أيام، أو خلال شهر، أو عام وأكثر، والله أعلم.

وهنا دلالة قد يحصل التعب والنصب لطالب العلم حتى الخمسين من سنه ثم ينجلي عنه ذلك شيئًا فشيئًا، كالعلماء ونحوهم إذا وصل إلى الخمسين تبدأ المبشرات تترادف عليه والفرج، وإذا تأملت إلى حياة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لوجدت أن الفرج بدأ له من بعد سن الخمسين، وهي الهجرة إلى المدينة وذهب عنه تعب ونصب أهل مكة وأذيتهم له، فافهم ذلك.

وفائدة أخرى: وهي لعل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يتزوج حتى مضى الخمسون من عمره، فإنه على ما فصلناه آنفًا، فلن توافق امرأة العزيز مع حبها له بامرأة أخرى تجاوره ولا السجن يُدخل السجين مع زوجته، وهنا نستنبط أيضًا لمن رأى نحو رؤياه قد يتنكد من أمر الزوج، والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره": ويقال -والله أعلم-: إن الله تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين المجدبة ببركة قدوم يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عليهم، كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ على أهل مكة حين قال: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ**». [رواه البخاري، برقم: (٤٧٧٤)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ]، ثم لما تضرعوا إليه واستشفعوا لديه، وأرسلوا أبا سفيان في ذلك فدعا لهم فرفع عنهم بقية ذلك ببركة دعائه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قلت: فدعاء نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بسبع وجرت ثلاث لعل ذلك كانت على أهل مصر ثلاث أو أربع سنين شداد فإنه يتوافق مع دعوة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وهنا فائدة: أن الدعاء يرد القدر، والذنب والجزع يحرم خيرية الرؤيا، والله أعلم.

وبعد أن ذكرنا توافق العدد والحدث بما يرجع ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنه يتوافق مع من ذهب أن غيبة يوسف عن يعقوب عليهما الصلاة والسلام كانت أربعين سنة، ثم زد إلى عمره حين ألقي في الجب فإنه يتوافق على ما ذكرنا، والله أعلم.

قال موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن شداد: اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون إنسانًا: صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم.

قلت: وهنا توافق من حيث عددهم وهو قريب من عدد الآية من سورة يوسف، والله أعلم.

ثم نختم هذا التوافق العجيب: فبعض أهل التفسير ذكروا بأن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ توفي وكان عمره مائة وعشر سنوات، وهذا يتوافق مع عدد الآيات لسورة يوسف وهو مائة وإحدى عشرة آية، فالظاهر توفي وهو في هذا السن فإن الكواكب يُعلم منها عدد السنين والحساب، فكتب الله ذلك العمر بما يوافق عدد الكواكب أحد عشر من رؤياه والوالدان يقومان مقام المائة، أو كونه واحدًا جوار أحد عشر فتصير الهيئة لكتابة العدد مائة وإحدى عشر، والله أعلم.

فما سبق بيانه ليس تفسيرًا في كلام رب العباد ولا أجزم به، وإنما من باب الاستئناس بعد أن تأملت توافق لأقوال أهل التفسير فما أدري هل كان لعدد الآية له تفسير عندهم في بعض المواضع أم لا؟ والله أعلم.

ومما يزيد هذا الفصل ملاحة فإنك تجد الترتيب لهذه السورة من سور القرآن في المصحف الكريم الذي بين أيدينا ترتيبها الثاني عشر، وهذا العدد شبيه بيوسف

عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع إخوانه فكانوا اثني عشر، وبدأت القصة تحكي أمرهم، وانتهت القصة على الترتيب الجزئي وهو الجزء الثالث عشر، وهذا العدد شبيه بعدد إخوانه مع والديه، وما ذكرناه هنا إنما دلالة لك في تأويل بعض الرؤىٰ.

ولهذا فاعتبر من عدد الآية أو السورة أو الحديث إذا ورد في المنام بما يوافق حال الرائي على مآل يلائم معنى الآية أو الحديث.

قال لي إنسان: رأيت في يدي عسلًا، وسمعت قوله: ﴿عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾[محمد:١٥].

قلت: اسمك محمد، ومضى من عمرك ستة وعشرون، أليس كذلك؟

قال: بلى.

قلت: وعليها بالعسل وستحمل، فكان كذلك.

وآخر يقول: رأيت أني أُؤَذِّن في الناس؟

قلت له: اسمك إبراهيم، ومضى من عمرك سبع وعشرون.

قال: نعم.

قلت: ولعلك تحج بيت الله الحرام، ويحصل منك نفع ممن حولك، ودليله قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ [الحج] فالآية عددها سبعة وعشرون من سورة الحج، والخطاب لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والأذان نفع لمن حوله من أمر بمعروف ونهي عن منكر ونحو ذلك، فافهمه. فهذا الفصل من أمتع الفصول وأطيبها.

المبحث الثاني: حزمة من عدد

فإذا تأملت إلى العدد من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لوجدت له معانٍ عدّة، وذلك من كلام رب العباد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك لتوافق حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع العدد، وهو من الأحداث التي جرت، ومن ذلك فإن العدد عشرة وما فوقها حتى الأربعين في اللغة يعني العصبة، قال مجاهد: من عشرة إلى خمسة عشر وهذا أقرب.

ومن حال إخوة يوسف تدل على أنهم كانوا إخوة متماسكين مع بعضهم البعض سوية في مطعمهم ومشربهم ولعبهم وعند رعي الماشية، وكذلك في تجارتهم وترحالهم.

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى (العصبة): جماعة يتعصب بعضها لبعض لا واحد لها من لفظها كالنَّفر والرَّهط. اهـ[التفسير (٢ / ٤٧٧)].

ومن قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعلى معنى العصبة تجد أن إخوته كانوا عصبة أي: ضده، وذلك من قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [يوسف] فهنا ﴿ إِذْ قَالُوا۟ ﴾، وأيضًا ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ أي: كلهم، ولم يخالف أحد منهم في تفكيرهم الواحد، وهو نبذ يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن أبيهم، وهذا هو الأصل عندهم.

ومما يدل على حرصهم على تعذيب يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والكذب على أبيهم من قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يوسف]، وهذا دليل على الكيد والدوران كدوران الكواكب.

وتجد من خطابهم لأبيهم من قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١﴾ [يوسف] أن يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يخشى على يوسف من بعد الرؤيا ولم يُنبّه يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وذلك لعله لأسباب منها: لعله خشي الخصومة بين الإخوة، ولعل أن التعبير ظن كونها رؤيا مرموزة، أو أنه خلاف المصلحة، ومن الآية شعروا بأن أباهم آخذ الحيطة منهم على يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قبل أن يطلبوا يوسف منه، ولكن لا حذر من قدر.

وهنا درس نفيس لعابر الرؤيا بأن عليه ألا يعبر بما يزرع الفتنة والخصومة بين الأخ وأخيه، وبين الزوجين، وبين الطالب وشيخه ونحو ذلك، وعليه أن يعبر الرؤيا بالفأل الحسن بقدر ما يستطيع، وذلك حسب شهود الرؤيا.

ومما يستدل به على معنى العصبة للقوة والتكاتف والتعصب لبعضها البعض من قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾ [يوسف]. وهنا إشارة إلى أن إخوته لم يكونوا أقل من عشرة، وذلك لتكرر لفظ العصبة مرتين في الآيتين المتقدمتين آنفًا.

وإذا تأملت إلى حال الكواكب من الرؤيا لوجدتها أنها تشير إلى العصبة، ومما يعضد معنى العصبة إلى ما أشرنا إليه نجده في أمر كنوز قارون.

وهنا نضع فائدة: وهي أن الإسلام نهى عن النجوى، وذلك لعدم سعي الشيطان في زرع الحُزن، وينبغي للإنسان أن يأخذ الحيطة والحذر عندما يعاشر جماعةً متماسكة فيما بينها، وتفكيره يخالف تفكيرهم، وقد يُحسد من قِبلهم لا سيما إن كان فطنًا موفقًا وأصغرهم سنًا، كما جرى ذلك لشيخنا يحيى الحجوري حفظه الله من قِبل من هم أكبر منه سنًا وتقدمًا في طلب العلم، ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء.

المبحث الثالث: المدار للعدد

إنّ ذكر القرآن الكريم للأعداد الحسابية والمعاني العددية إنما يستهدف أن يستخدمها الإنسان فيما يحقق الغرض من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لها، وتعليم الإنسان بها، وتوجيهه إليها، وعلاوة على ذلك فلقد وجه القرآن الكريم نظر الإنسان إلى العد والحساب في آيات كثيرة، وكما أورد القرآن الكريم كل أصول وحقائق العلوم المختلفة؛ فقد أورد كذلك الأعداد باعتبارها أصول علم الحساب، وأساس الأعداد وعلامة العدد في كثير من الآيات القرآنية، فيهدف إلى مزيد من البحث والدراسة وحفزه إلى الواسع من العلم والعميق من المعرفة، فقد أورد بعض الأعداد تارة فردية، وتارة مركبة من عددين وأكثر حتى تتسع أمام الإنسان رقعة التفكير في العمل الحسابي، والاستمرار في الاستخدام العددي، والله أعلم.

ومثل هذه الأعداد مما لا نعلم، والحساب عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه أيضًا ما لا نعلم، ولذلك فإن القرآن الكريم إنما يدعونا إلى ممارسة ما نعلم من الأنشطة الحسابية والدراسات العددية، على أسس من الأعداد التي ذكرها والتي يتكون منها كل الأعداد، ويتم بها العمل، وإذا ما استخدم الإنسان الأعداد والحساب وتأملها وتدبرها في القرآن الكريم لوجد فيضًا من الإعجاز المبين يثبت بلغة العصر، ولسان الجيل، وبالعدد الحسابي، إنه وحي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لخاتم المرسلين والنبيين.

وعلى هذا فقس في المنام، فلها دلالات ومعانٍ معتبرة لمن وفقه الله لتأويلها، واعلم أن تأويل العدد في المنام يتطلب منا ثلاثين درسًا، وهذا مستنبط من حال الشمس والقمر، فإنه يُدرس ويُعلم منهما العدد والحساب، وذلك من قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [يونس:٥] فمن مدة القمر للشهر ثلاثون ليلة، وكل ليلة لها دلالة مختلفة على ما سبق، وسنكتب شيئًا منها، وهنا نتحدث عن الموسوعة الأم لهذه الدروس وهي:

"الحُكم على العدد حسب أحداث الرؤيا وحال الرائي ووقت الرؤيا"

ودليل ذلك أن العدد الحادي عشر في رؤياه كان دلالة أنهم إخوته وذلك كونه يوافق حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من عدد إخوته، ومن أحداث الرؤيا أن الكوكب يدل على إنسان، ودال أيضًا على الرفعة والعلم؛ فتكلم يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بذلك، وبقي هناك دلالات أُخرى للعدد والكواكب سيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى.

ومعلوم أن مجداف العبور للعابر على ضوء الكتاب والسنة، وأيضًا من حيث المعنى، أو الاسم والاشتقاق والضد، وما يوافق العُرف والزمان والمكان والصفة الظاهرة، وغير ذلك من الأصول، فافهم هذا الفصل وما بعده يسهل عليك إن شاء الله تعالى.

والحساب إنما يشمل العديد من مختلف القواعد والاستخدامات المختلفة، ففيه جمع العدد أو النَّقص، ويُسمَّى بالطرح، وكذلك الضَّرب والقسمة وغير ذلك من الطُّرق الحسابية، وأيضًا لها أحوال مختلفة كالنسبة المئوية، وكذلك المُسَمَّيَات التي تدل على الوزن ونحو ذلك وغيرها من القواعد والمفاهيم العصرية، وعليها يُعتبر العدد في الرؤيا إن توافق شهود الرؤيا مع الحال.

وهذه القواعد الحسابية شبيهة بقواعد التأويل، فإن جئت للاشتقاق فهو شبيه بما

يُطلق عليه بحساب القسمة أو النَّقص، ونحوه إذا كان العدد مركبًا، أي: فيه أكثر من عدد، وإذا تأملت إلى التأويل بالمعنى فهو شبيه بحساب الضّرب، وذلك لتغيُّر العدد عن أصله إلى عدد آخر، وإن جئت لتأويله بالعكس أو الضد والقلب فهذا جائز ويصير مآل العدد مغاير، وغير ذلك من الأصول، فافهم ذلك.

ولما كان إخوة يوسف على رأي واحد وهو الكيد ونحوه، واعترض أحدهم بعدم قتله، فإن هذا التوافق والاختلاف شبيه بحال الكواكب وكان من الدروس لتأويل العدد هو الحكم بدلالات مغايرة كليًّا، أو موافقة جزئيًّا؛ فإذا كان العدد مركبًا وحكمت عليه بالوقت فربما دل أحد العدد المركب على السَّنَة، والآخر على الشَّهر وهذا اشتقاقًا، أو اعتبر أحد العدد المركب بأصل، والآخر بأصل مغاير، والآخر بدلالة الوقت، وغير ذلك من أصول التأويل.

ومن الدروس للعدد:

اعتبر العدد الفردي أو المركب حسب ما جاء من الكتاب والسنة بما يوافق حال الرائي؛ فالعدد واحد لكونه مفردًا دل على الانفراد على هيئته كالواحد، ودال أيضًا على التوحيد، ودال على الخوف من الحسد والعين، أو دل على التفرد والتميز بالعلم والمال، وذلك اشتقاقًا من أحد عشر مما في رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وربما العدد ثلاثة، دل على كفارة يمين، أو التكرار والتردد، أو دل على الصمت، وهذه الأحكام من القرآن الكريم، وعلى هذا فقس في باقي الأعداد بشرط أن يلائم ذلك الحكم قرائن الرؤيا مع حال الرائي.

وأما العدد الزوجي كالأربعة، والستة، ونحوها التي تقبل التشطير، ربما دل على الزواج لكونه مركبًا، والأربعة دال على الإيمان أو الاطمئنان، وربما دل على الزواج

أيضًا، وكذلك العدد ثمانية، وربما دل العدد ستة على الابتلاء والاختبار، وعلى هذا فقس حسب ما جاء في الكتاب والسنة، أو احكم عليه حسب باقي أصول التأويل والتي سيأتي الحديث عنها.

ومن الدلالات القرآنية للعدد وذلك شبيه بتأويل الاشتقاق على العدد الفردي أو الزوجي، أو كان عددًا مركبًا، فتجد له إشارتين مختلفتين أو أكثر، ومن ذلك لفظة العدد: الثلاثة أو الثلاثين أو الثلاثمائة ونحوها الأربعة أو الأربعين أو الأربعمائة فدال على قضاء الحوائج والوفاء بالمواعيد بما دل عليه المعدود، وربما دل العدد الثلاثة ونحوه على إخلاف الوعد، وهذا مستنبط من كلام رب العباد كما جرى مع موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويجري ذلك بعد مرور ذلك الوقت، فكانت دالة على دلالة المعنى، ودلالة زمنية، فافهم ذلك.

كما قالت لي امرأة: رأيت أحد المعارف أمامه مائدة طعام، وفيه أرز، وبدأ يأكل منه بملاعق صينية، وكان بيدي لحم وكَبِد ناضج وناولته، وقلت في نفسي: أربع وأربعين.

قلت: يُرزق هذا الرجل بسبب دعاءك له، ولديه رزق عالق في الصين، ويسمع خبر وصوله بعد ستة عشر يوما، وسيأتيه بعد أربعين أو أربعة وأربعين يومًا، ومقدار أرباحه أربعة أضعاف أو الرُّبع من القيمة الشرائية، فجرى ذلك كله.

ودليله على ستة عشر قمنا بطريقة الضّرب في العدد، فافهم ذلك.

وعليك أن تنظر في إشارة المعدود ثم تكلم عليه، كما لو كان العدد دال لمعدود الأموال، والدراهم، والذهب، وشبيههم، لمن ملكهم، فاحكم بما دلت عليه من أخبار، أو غائب، أو ولد، أو معرفة، أو أموال، ويكون فيهم نفع، ثم تكلم في ذلك

العدد بما دل عليه من دلالات متعددة ويكون ذلك موافق لذلك الشيء مع حال رائيه، وأعط بقدر ما يليق به، وعلى هذا فقس فيما دل عليه المعدود.

كما قال لي إنسان: رأيت في بيتي ستة نوافذ. **قلت**: لديك ست أخوات، وسيحصل لك راحة وفائدة. فقال: صحيح.

وقالت امرأة: رأيت أحد يخبرني أنها ثمانية أبواب، وهي أبواب الجنة، وكنت أقف على الأبواب الثمانية. **قلت**: منذ سبع سنين تنتظرين الفرج بما دلت عليه الجنة من سفر، أو سكن، ونحو ذلك. **قالت**: صدقت، يتعلق بالسكن. **قلت**: يحصل الانتقال بعد عام، ويذهب عنكم تعب وكدر، وذلك شبيه بسكن الدنيا.

وأخرى تقول: رأيت رضيعًا بين يدي. **قلت**: هناك أمر أتعبك منذ بضعة أشهر.

قالت: صحيح. ودليله أن الرضيع في هذا الحال يكن سنه بضعة أشهر، وحكمنا عليه بالنكد لكونه يتطلب إلى رعاية ونحوها.

وآخر يقول: رأيت ستة أوراق بيضاء. **قلت**: ست مرات وأنت تنتظر خبرًا ولكن لا جدوى من ذلك. **فقال**: صحيح.

كما لو رأت امرأة لزوجها أو لرجل آخر من المعارف: ثمانمائة وثمانية وثمانون، نقول لها: دالة على الزواج بثلاث يربطهن صفة مشتركة، وذلك لكون الرائية هي الزوجة، أو كونها أنثى، أو دل على المعيشة، أو بما يرجع على حال الرائي، وإذا كان دلالة زمنية فربما ما ذكرناه يقع في السنة الثامنة في الشهر الثامن في اليوم الثامن ونحوه، وذلك مآل رؤياك، وربما اعتبر الزواج بأخرى وذلك بعد محو العدد المكرّر، فإنها كانت أحد عشر كوكبًا لكنها من جنس واحد، وما ذكرناه آنفًا توافق جزئي أي كل جزء تحت دلالة واحدة مع تعدد الاختلاف، وإذا حكمنا بدلالات

مغايرة كلية فربما دل العدد الأول على الزواج، والثاني على زمن، والآخر على المعيشة، والدليل على الزواج لذلك العدد وعلى الوقت مما جرى بين موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والرجل الصالح من أمر ابنته، ومن قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر:٦]، وربما دل على الحُجة، وعلى هذا فقس.

وإياك أن تحكّر كل عدد بدلالة زمنية فحسب إلا إذا وجدت قرينة له، ودليل ذلك مما في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حيث استنبطنا منها دلالات مختلفة والتي سيأتي الحديث عنها.

كما رأيتُ في المنام: أن عدد متابعي دروس ربيع المنامات مائة ألف وأربعمائة وثمانون، فقصصتها على صديقي أبا سعد الجزائري، فقال: هذه دلالة على أن تأويلك للرؤى بالتأويل الصحيح نصفها أي تارة تأويلك في رؤيا صائب وفي الرؤيا الأخرى تخطئ، **قلت**: أي النصف وقد نعبر نصف الرؤيا صحيحًا ونخطئ في النصف الآخر، وهذا قد جرى لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولعل الرؤيا فيها دلالات أخرى، ثم قال لي: واعلم أن عابري الرؤيا في زماننا يعبرون من العشر الرؤىٰ واحدة ومن المائة رؤيتين وهذا يعتبر عند الناس من حذاق التعبير، ولها دلالات أخرى. نسأل الله الإخلاص والسداد.

ومن حال الشمس والقمر وذلك من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نتعلم أنه ما من عدد إلَّا وله تأويلان: إما محمود وإما مذموم، والله أعلم.

وسيأتي البسط أكثر في دروس العدد والحساب في رؤيا الملك إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع: دلالات من أحد عشر

وعلى هذا المنوال في الحديث عن العدد فقد ذُكر في القرآن الكريم مما جاء في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عدد، وكذلك في رؤيا الملك، وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية تعلّم وفهم العدد في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ سواء كانت تحكي عن الأحكام الشرعية أو غير ذلك، وكذلك دلالة على دراستها للحكم في الرؤيا ولابد من عبوره الصحيح وإلَّا فتفسيرك مُخل.

ومن رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيها العدد أحد عشر، وإذا حكمنا عليه على الموسوعة الأم فإننا نستنبط منها دلائل زمنية لكون الكواكب دالة على الوقت، وإشارات مختلفة، ومن ذلك:

دالة على إخوته، وذلك حسب عدد الكواكب بعدد إخوانه، وكذلك الكواكب دالة على أناس لهم مكانتهم ناهيك عن الصفات المتشابهة فيما بينهم، وهي تعضد العبور نحوهم، ونستنبط أن الشيء المشترك في الصفة وكان متعددًا فدال على نحو ذلك العدد المشترك بالصفة تلك، سواء كانوا أناس أو غير ذلك، كما سُرق على رجل قطعة أثرية، قال: رأيت أربعة جِراء جوار فراش لي وكنت أطاردهم ولم أمسك بهم. **قلت**: هل هناك أربعة إخوة يعملون معك وأنت تقرّبهم إليك وتجلّهم. قال: نعم، **قلت**: لقد اتفقوا على سرقتها ولن تستطيع أن تثبت عليهم، وذلك لأنك لم تُمسك بأحد منهم، فكان كذلك.

ومنها دلالة على السِّن فقد كان سن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مائة وعشرة سنة كما ذكر بعض أهل العلم، وهو قريب من عدد الكواكب من رؤياه.

ومن دلالة العدد والحساب فمن رؤيا الملك ذكر بعض أهل التفسير أنها كانت ثلاث أو أربع عجاف ثم رُفعت، وهذا العدد يتوافق مع السبع السمان فصارت إحدى عشرة سنة، ويتوافق مع رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويقوم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مقام عام الغيث وانفرد بذلك، والله أعلم، ولكن دعاء نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ ءَالِهِۦ وَسَلَّمَ دليل على أنها سبع شداد مضت وذلك من قوله: «**سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ**»، ولكن جرت سنتين أو ثلاث على قريش.

ودلالة على وقت الخير والتعب، فكما أن العدد أحد عشر يُكتب واحد جوار واحد متساويان دل على تساوي في مدة الشدة ومدة الرخاء بل وجرى له زيادة من الخير، ودليل ذلك من عدد الآيات فكانت حياته حتى الآية خمسين معاناة وما بعدها كانت فرجًا حتى الآية مائة من السورة، فإنك لو تأملت في سورة يوسف لوجدت أن الآيات الأول من السورة حتى آية العدد خمسين تجدها نَصَب وتعب، وذلك بما دل عليه الشمس، وكذلك بدأ بالشمس من رؤياه، ثم تجد في الآية الواحد والخمسين بدأ الفرج ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وما بعدها نصر وعز وتمكين وذلك بما اتصف به القمر، وما سبق ذكره موافق حسب أصول التأويل، وذلك من حيث الصفة للأعداد والمعنى للشمس والقمر، وزد أيضًا التفسير حسب الهيئة المعاصرة وذلك من حال الشمس والقمر فهيئة الأعداد التي بين أيدينا وإن كانت مستجلبة من الهند لكن قد اعتاد عليها العرب في علم الحساب فتجد العدد خمسة من هيئتها مستديرة، أي: مكورة، فهي شبيهة بهيئة الشمس والقمر أي مكورة، وأضفنا الصفر كونها صفراء، وهذا اشتقاق، ثم تم الجمع كونها مجتمعة في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فاعتبرنا الشمس خمسين، والقمر كذلك، ثم أضف أحد عشر وهو عدد الكواكب.

وأيضًا فالشمس والقمر دلالة لعدد الأيام والشهور والسنين، ومن ذلك فالشمس غيابها شبيهة بالحبس فقد كانت سنين سجن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند بعض أهل التفسير اثنا عشر سنة، فهو يوافق عدد الكواكب من رؤياه وهو تمام الاثني عشر، والحديث في هذه القاعدة يحتاج إلى بسط مع فهم وتعمق وتدبر، فتفطن لذلك، والله أعلم.

وقد تجري هذه الأحكام على العدد اثني عشر أو ثلاثة عشر، وذلك لوجود الشمس والقمر معًا، وصارت في حال السجود مع الأحد عشر من رؤياه، وقد نحكم على أقل من هذا العدد أو أكثر بهذه الأحكام إن جرى توافق الحال.

فإن قلت: لماذا العدد اثني عشر؟

قلت: لأن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خارج العدد الأحد عشر، فهو أخوهم، فيضاف فوق العدد المذكور، ولكنه أفضلهم وأوسطهم.

وكما ذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قيل: الشهور الاثني عشر كمثل أولاد يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وشهر رمضان بين الشهور كيوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بين إخوته؛ فكما أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحب الأولاد إلى يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب. [بستان الواعظين (٢٣٠)].

ومن الدلائل في هذا العدد دال على السنة، فإن عدد أشهر السنة اثنا عشر شهرًا، وربما دل على اثني عشر نقيبًا ونحو ذلك.

ومنها: التأويل من لفظة العدد بما دل عليه ذلك الشيء فقوله: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف:٤] فربما نعتبر دلالة زمنية فنقول: لعل الحدث للرائي من حيث التحديد اليومي في يوم الأحد، أو التحديد العددي في اليوم، كيوم الحادي عشر، أو الشهر

الحادي عشر، أو في اليوم الأول من الشهر الحادي عشر، وهذا اشتقاق، واعتبر من العشرة عِشرة وعُشر، وعلى هذا فقس.

كما قالت لي امرأة: رأيت عمتي المريضة تقول: سأسافر ولا أريد أحدا. **قلت:** اقترب أجلها، ولعل ذلك يقع يوم الأحد. فاشتد مرضها وتوفيت ليلة الأحد.

ومن ذلك لعل قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جرت في سنة ألفين وبضع سنين قبل الميلاد أو نحو هذا العدد، والله أعلم.

ومن الدلالات المليحة: لعل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان في المرتبة الحادي عشر أو الثاني عشر أو الثالث عشر أو الرابع عشر من ترتيب عدد الرسل المذكورين في القرآن الكريم، فانظر إلى البداية والنهاية لابن كثير، والله أعلم.

ولما كان العدد الحادي عشر مفردًا مركبًا لا يقبل التشطير دل على حال إخوته فقد كانوا ضده وعُصبة عليه، ودل على الانفراد عنه والتحيُّز، ودل على عدم الود والمحبة منهم، ونحو ذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت معلمي يقول لي: واحد، وثلاثة، وخمسة، وسبعة، وتسعة. **قلت:** هناك أمر يصرفك عن الزواج وإن كنت من طلبة العلم، فكان حاله كذلك.

فما سبق بيانه يجعل فكرك ينمو في استنباط فوائد مليحة لم نذكرها، فتفطن لها.





الباب السادس:
علامات للسّيّارة



المبحث الأول: دلالات المعالم العلوية.

المبحث الثاني: السماء.

المبحث الثالث: الشمس والقمر.

المبحث الرابع: نور وإنارة.

المبحث الخامس: الشمس.

المبحث السادس: شموس.

المبحث السابع: حال الكسوف أو السقوط.

المبحث الثامن: شروقها أو غروبها.

المبحث التاسع: القمر.

المبحث العاشر: حال الخسوف أو ظلمته.

المبحث الحادي عشر: ليلة البدر.

المبحث الثاني عشر: أقمار وأهلّة.

المبحث الثالث عشر: الشمس مع القمر.

المبحث الرابع عشر: النجوم.

المبحث الخامس عشر: الشهب.

المبحث السادس عشر: حال النجوم مع البدن.

المبحث السابع عشر: حال المصير.



تمهيد

وهنا سنتدارس عن أحكام رؤيا الكواكب بصورة وجيزة تشبيهًا بالشمس عند إشراقها، وبالقمر عند بدء هلاله؛ لكي يسهل عليك فهم الحِكَم واللطائف النفيسة المترادفة.

وفي مطلعها صغت فوائد قليلة الكلم غزيرة المعنى مختصرة، ثم شيئًا فشيئًا تجد روحك بين سعة وبسط، وغزارة في الفائدة إن شاء الله تعالى، فتفطن لها.



المبحث الأول: دلالات المعالم العلوية

قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل] أي: معالم، ونذكر هنا دلالات لكيفية العبور بما دلت عليه الكواكب:

ونبدأ بالفلك فدال: على صحبة الملك أو الحاكم أو الأمير أو كاتبه أو رجلٍ جليل القدر، وهذا مستنبط من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ودال على الزواج، وعلى السُفُن والكلفة، والمأمورية من كبير ونحو ذلك، فما جرى من خير أو سوء عاد على من دل إليه، فافهم ذلك.



المبحث الثاني: السماء

دالة على الحاكم وحشمه، والوالي والعالم، أو الوالد ونحوه ممن هو فوق، وعلى الولاية، وكل من له فضل عليك، فمن صعد إليها من الأصحاء دال على الرفعة والزوجة والدور، ودخول دور الأكابر، وعلى السفر، أو كل مكان غريب، وهذا القياس مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وإن كان من المرضى ولم يرجع منها مات، ويدل على سقف البيت، وأعلى الرأس، وتدل على نفسها، وعلى الماء، وغير ذلك.

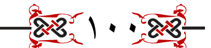
فإن أصاب فيها أو مما فيها من ملائكة، أو رائحة، أو مأكولًا، وكان كل ذلك مليحًا، حصل له فائدة وراحة ممن ذكرنا.

وأما إن كان فيها عكس ذلك كالظلام، أو الحيات، أو جن، أو دخان، ونحو ذلك حصل له نكد ممن ذكرنا.

كما قالت لي امرأة: رأيت مطرًا غزيرًا، وكانت هناك سُحب ونزل من السماء ثعبان أخضر اللون، فقلت: سأسأل أبا الربيع. **قلت**: جائحة على الزرع، وتشكين من رأسك أو بصرك بسبب البلغم منذ سنوات، وحصل لك نكد من أحد الأقارب بعد أن كان يُظهر الخير خلاف ما يُبطن من سوء. **فقالت**: صحيح.

وإذا أمعنت في الرؤيا لوجدت أن هناك حائلًا من أن تُرزق بذرية، فكان حالها كذلك.

واعتبر بما جرى في السماء على البحار والمياه؛ لأنها معدن الغيوم والأمطار، فما جرى فيها من خير أو سوء عاد على ذلك.



المبحث الثالث: الشمس والقمر

دال أحدهما على الملك أو السلطان والوالي والآباء والأزواج والأبناء والعلماء والأستاذ والأقارب، وكل من كان جليل القدر، والأموال والمعيشة، والعلوم ونحو ذلك، وذلك لعموم انتفاع الناس بهما ولضرر بعضهم منهما، وهذا من حال قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فما جرى من خير أو شر عاد على من دل عليه.

وما سيأتي بيانه من الدلالات المليحة كلها تصب نحو الكواكب ومنها الشمس والقمر.



المبحث الرابع: نور وإنارة

ضوء أحدهما بلا أذى: هيبة وعدل وفائدة ممن دل عليه؛ لأن زيادة ونقصان الضوء يرجع على من دل عليه، والقمر أدنى مرتبة من الشمس، ومن حال النور والإنارة فاعتبر الشمس بامرأة حسناء، وكذلك القمر، وهذا من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والنهار والنور يدلان على الهدى والخير والراحة، وعلى خلاص المشدودين، وعلى إظهار المستورين، ويدل على المريض بوجع العين وطول مرضه، وإن قوي خشي عليه، وهذا مما جرى لامرأة العزيز بعد فقدانها ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إن صح ما قيل، أو مما جرى ليعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والله أعلم.



المبحث الخامس: الشمس

ومن دلالات الشمس دالة على زواج الأعزب، وللحامل ولد ذا حسن وجمال، أو فوائد وأرباح إن رأى الشمس في النهار عنده أو في داره، أو على رأسه، أو أمامه أو يحملها، ولم تؤذه، وأكثر فائدة إن كان ذلك في الشتاء، أو مجيء من دل عليه كما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من مجيء أهله، وأما إن صدر منها أذى أو من حرها وأحرقته تنكد ممن أشرنا إليه، وإذا كان في الصيف كان رديئًا.

واعتبر الشيء الذي آذته أو أحرقته فإن كان في البساتين أو الزراعات أو الناس بصفة الجمع فأوبئة وأمراض ونحو ذلك، ومن الأدواء الصفراء وعلاج ذلك بالمسهل مع مادة باردة رطبة، أو ظُلم ممن دل عليه، أو جوائح، أو ارتفاع في أسعار المأكول، وربما خلّف حروب ونحو ذلك، وانظر موضع ذلك المكان وتكلم عليه.

واعلم أن المعالم العلوية غالبًا ما يستبشر بها إن لم يحصل منها أذى، وقد يُرى الشمس والقمر أو أحدهما وقد توفي أبواه فاعتبر ذلك بمعانٍ أخرى أو ربما يسلك أمرًا كان له صلة بأبويه أو بأحدهما، فافهم ذلك.



المبحث السادس: شموس

تأويل الأكثرية بنفع أو ضر: فكثرة الشموس على من دل عليه بالأكثرية كأقوام أو أرباب، فإذا تضرر الناس منهم حصل ظلم وشر من أولئك أو نكد على ذلك الشيء؛ وهذا مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من امرأة العزيز وصواحب يوسف، وأما إن حصل النفع للناس أو في ذلك الشيء فأرباب عدل وأرباح، وفوائد من الغلال، أو بما اعتبر ذلك الشيء العائد نفعه من الشمس والقمر، وقد جرى نفعه لإخوانه، وذلك من تعدد الكواكب، وحصل في بادئ الأمر حر حسدهم وأطفأها بعفوه، فافهم ذلك.



المبحث السابع: حال الكسوف أو السقوط

وأما كسوفها أو الغبار عليها أو دخان ونحو ذلك كان دليلًا على من دل عليه الشمس بمرض أو غم أو كربة أو سجن، وإن كان مريضًا مات، أو حوادث مزعجة وخوف ونحوه ممن دلت عليه الشمس، فإن صلّى الرائي تم له مراده وإلا فلا، وقد جاء من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فانكسفت الشمس، فقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يجر رداءه، حتى دخل المسجد، فدخلنا فصلى بنا ركعتين، حتى انجلت الشمس، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا، وَادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ**». [رواه البخاري، برقم: (١٠٤٠)، ومسلم برقم: (٩٠٤)].

كما قال لي إنسان: رأيت الشمس مكسوفة، ثم بان القمر. **قلت**: يحصل خوف وأحداث مزعجة في بلدتك، ويحصل ضعف لحاكم البلدة ومعتقده معتقد عباد النيران، ثم يظهر حاكم عادل بعد أن طال غيابه، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعض مما ذكرنا.

وأما سقوط الشمس دالة على مصيبة إما عمومًا أو موت والد الرائي أو نكد بمن دلت عليه الشمس، أو تعطلت أرزاق الناس في تلك البلدة.



المبحث الثامن: شروقها أو غروبها

طلوع الشمس من المشرق خير وراحة وخلاص من شدة وعدل من الوالي أو ممن دل عليه، وغياب الشمس دالة على غياب من دلت عليه أو خلاص من شدة وذهاب نصب وتعب، وربما دل على انتشار المفسدين وفتن ونحو ذلك.

وأما طلوعها من المغرب دل على من دلت عليه، ودل على عودة حاكم البلد، أو عودة السجين، أو توبة الفاسق، أو مرض ونحو ذلك.

كما قالت لي امرأة: رأيت الشمس تشرق وكنت خائفة من حرها.

قلت: وجدت راحة من أمك بعد عودتها وتخشين تغيّرها معك.

فقالت: صحيح.



المبحث التاسع: القمر

ومنه الهلال: دليل على البشارة، أو غائب يقدم من تلك الجهة، وهو لمن عليه ديون مطالبات وهموم، وربما دل على نكد، ويدل على خلاص المسجون والمريض، ويدل على الأمن والأمان.

والقمر دال بما دلت عليه الشمس إلا أنه أدنى منزلة، ويعتبر بالأب في الغالب، ويدل على الغلام الحسن، أو الملك ونحو ما ذكرناه آنفًا، فإذا صدر منه خير أو سوء عاد على من دل عليه.

وقد رزق الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شطر الجمال، ونال الملك وغير ذلك من الأمور التي سنتحدث عنها إن شاء الله تعالى.

فالنجوم: المُذكَّر منها ذَكَرٌ، والمُؤنث أُنْثَى، فالشمس مؤنث، وتدل على الأم أو الخالة، وأحيانًا تُعتبر بمعانٍ مختلفة، وقد يؤنث القمر في الاعتبار للجارية أو زوجة صاحب الرؤيا وغير ذلك، وقيل: إن القمر من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُعتبر بجدته.

كما قالت لي امرأة: رأيت القمر يدور حولي مرات عدّة.

قلت: أنت من الأشراف، وزوجك يمكر بك منذ سنوات، وتشكين من وجع في الرأس ومنه الدوار.

فقالت: صدقت.



المبحث العاشر: حال الخسوف أو ظلمته

دال على مرض أو نقص أو تغيّر على من دل عليه وخوف، وانشقاق القمر يدل على هلاك من دل عليه، أو وجع بالرأس، أو نكد على البلدة، وخصومة في الولاة وغير ذلك.

فإن أتم الرائي صلاته ذهب عنه ذلك وإلا فلا.

ومن يرى سقوط القمر في حجره دل على الزواج أو حمل غلام حسن، وربما كان اسمه محمد أو أحمد أو من آل البيت، وأعط لمن يرى القمر حسب حاله بقدر ما يليق به.

وأما مجيء الليل أو الظُّلمة فيدل على ضيق الصدر، وعلى رمد العين، أو على فراغ الأعمال، وأمن الخائف، ومن أراد أن يعمل مستورًا تم له مراده، ولعل اسم الرائية: ليلى، والظُّلمة للصحيح دالة على مرض اليبوسة، أو البرودة والرطوبة، أو وجع بياض العين، ولعل علاجه قدح العينين، ويدل على وجع الأسنان إن كان الرائي يشكو من ضر محسوس، أو تعب ونحوه، وهذا من أعراض البيضاء، وقد يكون من السوداء وذلك من سواد الليل، وإن قوي للمريض نوره أو بياضه طال مرضه وخشي فقدان بصره، أو أمر غفل عنه خصوصًا إذا تكررت رؤياه، وربما دل على الحزن والشكوى يبثها الرائي لله تعالى أو لكبير، وربما دل على السرطان، ويدل أيضًا على الغريم. فافهمه.

المبحث الحادي عشر: ليلة البدر

رؤيا القمر عند اكتماله خير وصلاح وعلم، ومنه علم التعبير، وخلاص من شدة، وهذا مما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وربما جرى ذلك في النصف من الشهر، ويدل نقصانه على عزل الوالي، أو على من دل عليه.

كما قال لي إنسان: رأيت خارطة البلدان على القمر، وكان بدرًا مضيئًا، وكان على بلدة أبي نصير، فأولتها حينها بانتشار الإسلام في كل البلدان.

قلت: وزد في ذلك إلى فيضانات ونحوها في أغلب البلدان، ودليله مما جرى مع نوح عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال الله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ ﴾ [القمر]، فجرى ما ذكرناه.

وآخر يقول: رأيت القمر مضيئًا، ثم احمَرَّ، ثم صغر، ثم انشق نصفين.

قلت: جرى ظلم للأب بتهمة قتل حتى سُجن، وأخشى مآل ذلك إلى قصاصه.

قال: صحيح فهو مسجون بتهمة قتل وهو بريء منها.



المبحث الثاني عشر: أقمار وأهلّة

دالة على الفوائد، وعلى الخوارج، فإن انتفع الناس من ضوئهم فخير وإلا فلا، فقد نال أهل مصر فوائد ومنافع عدة، ومن ظلم إخوة يوسف وهم الكواكب لكونهم خرجوا على طاعة أبيهم عند مؤامرتهم، فكان هذا سببًا مما آل بأهل مصر من الفوائد.

وربما دل على المنازعة في الأمر، وهذا من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، واعتبر اشتقاقًا بالقمار، أو دل على الحلف اليمين وغير ذلك.



المبحث الثالث عشر: الشمس مع القمر

يدل على اجتماع من دل عليه، وذلك مما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأما إن حصل قتال بينهما فدليل على حرب بين كبيرين، وتنتفع ملوك، فإن كانت أحداث الرؤيا في نهار فالغلب للشمس، وظهور أهل الحق، وإن كانت في ليل فالغلب للقمر، ويظهر أهل الظُّلم، وذلك من الظلمة، ومنه الظلم، وقس نحو ما ذكرنا إن صدر ارتطام ونحوه من أحد الكواكب مع كوكب آخر.

ويدل على الموت للمريض والخائف، قال تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة] وقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تاريخه" رؤيا لأحد الخلفاء العباسيين، وفيها اجتماع الشمس والقمر، فعبَّرها العابر بالموت، وجرى ذلك.

ودال على علم الحساب، قال تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الرحمن].

وقد كان يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بارعًا فيه وسيأتي بيانه.

وربما دل على خصام الزوجين والولدين والأخوين، ويدل أيضًا على مرض العينين وهذا من أحداث قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فافهم ذلك.



المبحث الرابع عشر: النجوم

كل واحد منهم يدل نحو دلالات الشمس والقمر، وذلك أن الشمس أو القمر يسمى: نجمًا، فدل على العلماء ونحوهم، فالكبار من النجوم أشراف الناس كالشمس والقمر، والصغار عوامهم، والمُذكر ذكور، والمؤنث إناث، كالزُّهرة والشعرى وبنات نعش ونحوهن، وربما دلت النجوم على ما يُذاع صيته، وتدل النجوم على الشيء الزجاجي المضيء، فإن كان بالليل ففائدة وإلا فلا.

فمن رأى النجوم على حال من هذه الأحوال وهي: إذا رأى أنه يرعاها، أو تحكّم فيها أو جاءت إليه، أو إلى داره، أو اجتمعت عنده ولم تؤذه فأعطه من الخير بقدر ما يليق به، وهذه الأحوال مستنبطة من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والحكم على مراتب مختلفة وهي: إما ملك، أو ولاية، أو زواج، ويأتي من دل عليه إليه، أو يرزق ذرية، أو دلت على أقارب، أو أصحاب، أو أموال، أو عبادة، أو تلاميذ، وهذا كله مستنبط من قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويكون ذلك على قدر كثرتها وقلتها من غير أذى، وأما إن آذت أو أحرقت فنكد ممن عاد إليه، أو من غلمان الأكابر، وربما للمسافر قطع طريقه كونها يُهتدى بها، فذلك منها أذى أو يُخلّف آفة وغيرها في مكانه، وكلما كان النجم بهيًا وأكثر إنارة من غير أذى كانت زيادة للرائي بما أشرنا إليه، وقد كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ كالبدر، وهذا من التشبيه البليغ، وكان جمال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ زيادة على جمال إخوته، ونال من الخير أضعاف مضاعفة في زمانه، وربما كانت الزيادة نكد في حق الرائي إن كان لا يليق به، وإذا كان في النهار دل على الحروب.

المبحث الخامس عشر: الشهب

هي كالنجوم بالكثرة إذا رئيت في النهار.

وإما إن كانت في الليل من دون أذى دل على صرف الآفات على من دل عليه الملك والظفر بالأعداء والجواسيس، وتجريح في مبتدعة، وعافية للمريض، وأمان للمسافر.

ودالة على حوادث وتكون عاقبتها سليمة، وإذا جرى أذى كالصواعق فأخبار رديئة، أو نكد على الرائي من قِبل من دل عليه الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، أو على ذلك الموضع، وربما دالة على كلام لزجر الرائي، والله أعلم.



المبحث السادس عشر: حال النجوم مع البدن

إن صار جسمه نجومًا كثرت عليه ديونه لأنها شبيهة بالأموال كالدراهم والدنانير ومطالبات؛ لكون الناس يتطلبون النجوم سواء كان في سفر أو حضر، أو حقوقهم، أو يتكلم الناس في عرضه، وذلك كونها ظاهرة على عرض البدن، ومغاير لطبيعته، وهذا جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في عرضه، أو يطلع في جسمه مرض أو دماميل أو جُدَري أو طلوعات، وهذا في الغالب وربما من البيضاء أو السوداء فهي شبيهة بالنجوم كونها طالعة، أو لعل سببه نظرة أو تعب من الجان، وذلك اشتقاقًا من النجوم، وأما إن رأى كأنه بلع نجمًا اعتقل إنسانًا، وربما أحب من دل النجم عليه كونه في فؤاده، فإن أحرق شيئًا في فؤاده، تنكد ممن ذكرنا وإلا فلا، فإن أخرجه من فؤاده أخرج المعتقل، أو ترك محبة من وقع بفؤاده، أو زال النكد الذي بفؤاده، ومن رأى كأنه يأكل النجوم وطعمها في فمه طيب حصلت له فوائد ممن ذكرنا، وربما صار منجمًا أو حارسًا، وإن كان طعمها رديئًا فنكد ممن ذكرنا، ومن رأى كأنه يتقيؤها دل على رد حقوق، أو خروج أذى، أو ممن دلت عليه، وتدل على البيض المقلي، فإن كان رديئًا فمادة سامة إن أكله، وتدل على المال والورث، وعلى البرص وذلك لبياض القمر، ودال على الغرق ونحوه، فافهم ذلك.

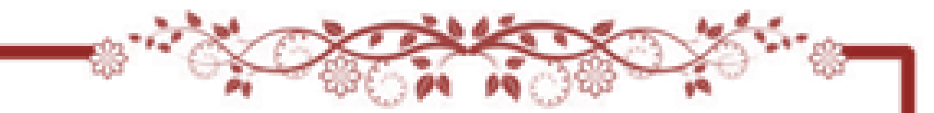


المبحث السابع عشر: حال المصير

إذا صار من النجوم عاشر من دل عليه، وهذا جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كالملوك أو الولاة أو العلماء، أو ممن دل عليه من الأكابر، أو غلمانهم، أو أرباب الحرس، وذلك كونها مانعة للشياطين من استراق السمع، أو يعاشر قطاع طرق، كونهم يظهرون في الليل وأعطه بقدر ما يليق به، وأما سقوطها أو ضِرابها بعضها في بعض، أو طلوعها والشمس طالعة: دال على الحروب والفتن والموت ممن دل عليه، وهو نحو حال الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢﴾ [التكوير]، وهذا يوم القيامة، أي: وإذا الكواكب تساقطت ومُحي ضوؤها، وعند موت إنسان يقال: فلان قامت قيامته، وسقوط النجوم في الغالب لا يُحمد فهو موت عالم، وذهاب نوره، ويدل على الظُّلمة وتفشي الجهل والبدع والفساد، ومن رأى كأنه يطمس النجوم دل على معتقد فاسد كالرافضة أو يحصل أمر رديء ممن دل عليه، والأسرع وقوعًا للتأويل عندما تأتي الرؤيا بصفة: رأيت أني صرت كيت وكيت، قلت: تصير كيت وكيت، فيصير كذلك، فافهمه.

وعلى هذا فقس في الإشارات العلوية كالسُّحب والثلوج والمطر والرعود ونحوها النازلة إلى الأرض، فما جرى من خير أو سوء دل عاد على من دل عليه، وقس على ذلك في الصاعد من الأرض إلى السماء، والله أعلم.





الباب السابع:

وِهِيجُ الشمس



المبحث الأول: الرؤيا ذات أُفُق واسع.

المبحث الثاني: يا زُهرة إنما أستمد قوتي بتوحيدي لخالقي.

المبحث الثالث: فقيه مُلهم وطويلب اظَّلَم.

المبحث الرابع: دلالات الظلم من قول أو عمل.

المبحث الخامس: وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر.

المبحث السادس: لكل ريح طيبة فترة.

المبحث السابع: كسوف وخسوف.

المبحث الثامن: كوكب وكوكبة.

المبحث التاسع: في صحراء لا ظهير في عز الظهيرة.

المبحث العاشر: كوكب محبوب حلَّت عليك كُروب.

المبحث الحادي عشر: يُشترى بأغلى الأثمان...

المبحث الثاني عشر: ...ويسمّى بأحسن الأسماء.

المبحث الثالث عشر: حزام على امرأة العزيز.

المبحث الرابع عشر: القمر يستمد نوره من الشمس.

المبحث الخامس عشر: دَرْس من سجن يوسف.

المبحث السادس عشر: وهل يَخْفَى على النَّاس القمر.

المبحث السابع عشر: بديهة وبديهية.

تمهيد

ومن هذا الباب ستجد طريقة الحديث فيها بسط في كل فائدة، وذلك لكي تُدرك حُسن الاستنباط بعد التدبر في كلام الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأيضًا دلائل للعبور لمن رأى يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو نحو رؤياه.

وزدت من الفوائد المليحة بما فتح الله عليَّ، وليس فيها من الهذيان أو الخرافة وفلاسفة الكلام، وهذا الاستنباط من المعاني والدلالات منها ما هو مقرون بيوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويَعضُد ذلك أدلة من الكتاب والسنة، ومنها ما هو مقرون بإخوته، ومنها ما هو مقرون بأبويه، وكذلك بامرأة العزيز، ومنها فوائد ولطائف نفيسة، وذلك من إشارات الكواكب والشمس والقمر، وزد على ذلك مما يرجع لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ في أغلب الفوائد، وهذا يُحفز نماء فكرك للاطلاع والسعي وراء فوائد ملاح، وقد زيّنّاها بمسميات لامعة فائقة الحسن والجمال، تحتاج منك إلى تأمل وفكر، وذلك تشبيهًا بجمال البدر في ليلة كماله، فأمعن في ذلك.

وقبل أن نسرد هذه اللطائف الحسان نتعلّم أن الكواكب يُطلق عليها نجوم كما عند أهل اللغة، وذُكرت في كتاب الله تعالى بالمصابيح، وأيضًا بالبروج.

ومعتقدنا معتقد أهل السنة والجماعة وذلك من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، وأيضًا ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى].

فائدة: حين اطلاعك للفوائد القادمة لعلك ستجد بعضها متشابهة، ولكن ستجد في كل جعبة فائدة تختلف عن الأخرى، وكان علينا لا بد من هذا التشابه والتقارب،

وذلك من تقارب الكواكب وتشبيه ضوء الغروب بالغلس، ونحو ذلك من القرائن المتقاربة بين الشمس والقمر.



المبحث الأول: الرؤيا ذات أُفُق واسع

فمن رؤياه دليل على البسط، فيستنبط من الأمر معانٍ عدَّة، كالرؤيا دالة على دلالات عدّة، فقد لا يذكرها العابر الواحد، وتُقص الرؤيا لمعبرين آخرين فتقع أقوالهم مع اختلاف تأويلاتهم، وليس هذا في كل رؤيا.

وسنتحدث عن بعض الأمور المختلفة التي جرت ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك من رؤياه، ولما كانت النجوم دالة على العلماء في الأفق ومتفاوتة كانت كذلك المسألة لها وقفات عدّة من علماء الشريعة من غير الخروج عن طور المعنى، وقس على ذلك في الرؤيا وعبورها، فهي أوسع مما يظنُّه العابر، ودليله من تفسير يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي فسّره إن كان فسّرها، وذلك بأوجه عدّة منها: الاصطفاء، وتعلم تأويل الأحاديث، وإتمام النعمة، وكما عبر نبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ رؤياه للرطب بأمور عدّة. وبما أن كثرة الكواكب في رؤياه مختلفة كاختلاف الشمس والقمر فهو كذلك في الدلالات المختلفة المتوافقة لشهود الرؤيا الواحدة.

وقس على ذلك في الرؤيا، فحال الرؤيا تختلف بحسب أحوال الناس بقدر مكانتهم، أو همتهم، كما هو حال الكواكب وتفاوتها، وهي أمثال تُضرب بالمنام، وإن كانت بعض رموزها غير مقبولة، لكنها جارية في الرؤىٰ كرؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من سجود الكواكب له.

وكلما كانت الرموز أرفع كانت للرائي أنفع، ولا تُعظّم الرؤيا بذاتها، وعلينا بالتوكل على الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، والعمل بالأسباب؛ فترك الأسباب قدح في الشريعة، والعلم لا يُنال بالرؤىٰ والأحلام، وليحمد الله الرائي على هذه النعمة، وهذا من باب

التذكير، وكل هذا مستنبط من رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والرؤيا لها دلالات عدّة، فإنك لو تأملت إلى رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيها الكواكب والشمس والقمر، فكلها متصلة كما في اليقظة إلا السجود، فإنه مختلف عنها إلَّا إنه يصب إلى المصير المتوافق معها.

ومن هذا التعدد واختلاف وتقارب الكواكب دليل على اختلاف أعمار إخوة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكذلك في آرائهم، ودليل ذلك فالأول رأى بقتله، والآخر قال: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ [يوسف:١٠]، وأيضًا دلالة على أن هناك صفات متشابهة فيما بينهم، وأما الشمس والقمر فهما أكبر منهم، وذلك كونهما بمقام الوالدين، وبينهما اختلاف كذلك، وكلما كانت رموز الرؤيا أرفع كانت معانيها أوسع.

كما قال لي إنسان: أراني قريبٌ لي مات غرقًا في أعماق البحر ولم تطفو جثته.

قلت: يسافر ويلهمه الله بأسرار وجواهر من علوم عدة، ويربح من تجارة، ويمرض بالرطوبة، ويشتكي من فقدان حاسة الشم، فكان ذلك.

وعند أهل اللغة يقال أفق: الأُفْق والأُفُق مثل عُسْر وعُسُر: ما ظهر من نواحي الفَلَك وأَطراف الأَرض، وكذلك آفاق السماء نواحيها، وكذلك أُفْق البيت من بيوت الأَعراب نواحيه ما دون سَمْكه، وجمعه آفاق، وقيل: مَهابُّ الرياح الأَربعة: الجَنُوب والشَّمال والدَّبور والصَّبا.

وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾[فصلت:٥٣].

قال ثعلب: معناه نُرِي أَهل مكة كيف يُفتح على أَهلال آفاق، ومَن قرُب منهم أَيضًا. وعلى هذا المنوال نتعلّم من رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الرؤيا التي فيها بشارة أحيانـًا يُستنبط منها نذارة.

المبحث الثاني: يا زُهرة إنما أستمد قوتي بتوحيدي لخالقي

ومن العلامات النفيسة: دلالة على الإخلاص، ومنه التوكل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التوكل نصف الدين. [مدارج السالكين (٢/ ١١٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كثرة الذنوب مع صحة التوحيد خير من قلة الذنوب مع فساد التوحيد. [الاستقامة (١/ ٤٦٦)].

فأصل دعوة الأنبياء والرسل هو إخلاص العبادة لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ودلالة الشمس والقمر والكواكب على هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف].

خلق الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الشمس، وخلق القمر، وخلق النجوم مُذلَّلات مُهيَّآت، ألا لله وحده الخلق كله، فهل من خالق غيره؟! وله الأمر وحده، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾ [العنكبوت].

وصلة ذلك مما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما كان في السجن من قوله: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف].

ودالة على الخلاص عند الهرج والمرج، ودليل ذلك مما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع امرأة العزيز، وهي ذات حسب ومال وجمال وطلبها كان برفق ولين معه، ونظير ذلك جمال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ريعان شبابه، وغربته عن

أهله، وفي مكان قد أُغلقت أبوابه، وصار خالٍ سواهما فالفتنة بهذا الحال لا يصدها إلا من كان مخلصًا تقيًا نقيًا خفيًا موفقًا من خالقه، ولهذا استمد ثباته بخالقه عند الفتن من قوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف]، فلم تكن الشمس قادرة على القمر بتغيير مساره أو إذهاب نوره فاعتصم بالله، وذكر فضل سيده له لأن الكريم لا يغدر، فكيف بالكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، فحصل له النجاة، وذلك من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف].

ولهذا جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**أَتْقَاهُمْ**»، فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «**فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللهِ**». الحديث [رواه البخاري، برقم: (٣٣٥٣)، ومسلم، برقم: (٢٣٧٨)]، والتقوى أيضًا من الاتقاء.

وذكر أهل العلم ومنهم ابن تيمية والشهاب العابر رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: أن القمر يستمد نوره من الشمس، وهذا الكلام انتقد من البعض في عصرنا، وقالوا: كيف يستمد القمر نوره من الشمس، وقد خلقه الله وجعله نورًا، وخلق الشمس وجعلها ضياء!

قلت: وإن كان كذلك كما في القرآن الكريم، فالقمر كونه نورًا ليس بمستحيل أن يستجلب نوره من الشمس، وهذا لا ينافي الآية، ألا ترى إلى الرطوبة كيف تنشأ من البرودة، وكذلك اليبوسة كيف تنشأ من الحرارة، وغير ذلك من الأدلة المعتبرة، وعلى قول من ذهب أن القمر يستمد نوره من الشمس فقد جعلت قاعدة في رؤية الهلال إن جرى كسوفًا كليًا للشمس في بلد فإنه يتعثر عليهم رؤية الهلال، فجرى ذلك في زماننا حيث جرى كسوفًا كليًا في بلدان شرق آسيا في صبيحة تسع وعشرين

من شهر رمضان، وتعثر عليهم رؤية هلال شوال، وأما البلدان التي لم تُكسف فيه الشمس فلم يتعثر عليهم ذلك.

ولما كان العالِم الموحد كالقمر فإنه يستمد ثباته عند الفتن من السراج المنير، وهو مما أُنزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسيرته، وكما قيل: لولا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثم البخاري ما كان مسلم، **قلت:** ولولا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثم الشافعي ما كان أحمد بن حنبل، ولولا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثم ابن تيمية ما كان ابن القيم رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعًا، ولولا الله ثم شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ ما كان شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله.

وقيل: إن يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اكتسب جماله الباهر من جدته سارة، **قلت:** بل ومن أمه راحيل؛ فقد كانت ذات حسن وجمال، وأيضًا من عفته وهذا التشبيه يوافق من قال: إن القمر يستمد نوره من الشمس.

ولمن رأى مثل ذلك فدالة على الزواج بامرأة حسناء، أو ابنة ملك، أو جليل القدر، فتعينه على الخير والدعوة إلى الله تعالى، كما جرى من خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكذلك عندما أشارت أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يخرج على المسلمين بعد الحديبية ويحلق أمامهم كي يقتدوا به.

ومن أزواجه من كانت ابنة سيد قومها، وذلك لأن الكواكب تُقارب من جنسها كما في رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فافهم ذلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: لقاحُ الهمَّةِ العاليَة النيّة الصَّحِيحَة...، فَإذا اجتمعَا بلغَ العبدُ غايةَ المُرادِ. [الفوائد (٢٠٠)].

المبحث الثالث: فقيه مُلهم وطويلب اظّلم

ومن التُّحف: دلالة على الظُّلم، وعلينا أن ندرك مكانة العلماء كونهم ورثة الأنبياء، ويحكمون على الظاهر، وفق الكتاب والسنة، وأما السرائر فعلمها عند عالم الغيب والشهادة، وإذا تأملت في قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإخوته حيث أسرعوا بالمكر به من أوجه عدّة منها: بحجة الظاهر: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾ [يوسف].

ثم بعد ما اتفقوا انتقلوا إلى هجوم ريح الحجج والتلبيس على أبيهم، وذلك من قولهم: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ [يوسف:١٧-١٨].

فما كان من نبي الله يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا الحكم بما أظهروه بعد أمر الله تعالى مع تفطنه لكيدهم، ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف].

والمقصود: أنه قد يُظلم طويلب العلم من قبل إخوانه من طلبة العلم، وليس من قِبل شيخه، ولعل عددهم أحد عشر، أو الشريك من شركائه، أو من هو على شاكلته، فتحصل الحجّة لهم بسبب ما قاموا به من تعصب وتأجيج وبرهان، ودلالة ظاهرة مزخرفة كقميص يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبكائهم، وذلك على تلطيخ عرضه، ولكن العالم الربّاني يدرك في نفسه أنها خساسة من قِبلهم؛ لأنه مُلهمٌ، ويرى بنور من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبصيرة نافذة، وذلك من سلامة القميص، وحالهم غِيرة غلت،

وطغت وحال الفقيه ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ [يوسف].

وليس بيده شيء، وهذا الذي ينبغي عليه، واقتضت حكمة الله أن يصمت صغيرهم وهو كغياب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك إمّا لضعفه أو لإجلاله تجاه إخوته المزخرفين بالقول، فينبغي على من ظُلم أن يصبر وسيأتي ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف].

ومدلول الكواكب بهذه الفائدة من ظلام وظُلمة الليل فإن الليل يصير دُجى عند فقدان البدر، كما غاب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في رؤياه جوار الكواكب، وكذلك من بدء ذكر الكواكب ثم عقَّب الشمس والقمر، وكأنها إشارة على تعصبهم وتكاتفهم، وقس على ذلك بغياب شمس الحجة في النهار، أو اختفاء قمر الدليل في الليل لفترة، وسرعان ما تنقشع ظلمة الباطل، أو تكبت غيرة الحسد بالصبر، فافهم ذلك.

وقد جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ظلم إخوانه له، وظلمة الجب، وظُلم من امرأة العزيز وزوجها، وظُلمة السجن، ثم انكشف عنه تلك المظالم لطلوع إشراق الشمس بعد الظلام، أو من نور القمر في ليلة كماله، فبان وانكشف عنه ذلك.



المبحث الرابع: دلالات الظلم من قول أو عمل

ومن قرائن الظُّلم في المنام كالقتل أو الرّمي والرجم، كما جرى لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من قِبل أهل الطائف، أو الذبح أو لطم الوجه، أو إشارة من إشارات الاعتداء، والظلام والظُّلمة منهما اشتقاقًا، وكذلك تحديق العينين من صاحبها، أو توجيه أصبع السَّب على المظلوم، أو تلطيخ شيء يتعلق بالدم ونحوه، أو من اشتهر بالظُّلم كالحجاج الثقفي، وغير ذلك من أوجه الاستدلال.

واعلم أنه من ظُلم واتقى وصبر نال عزًّا، ولما اجتمع في يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صغر سنه، وفَقَد رعاية أبيه وإلقائه في البئر وغير ذلك من الأمور نال رفعةً وعزًّا وسيادة، ولعل طالب العلم جرى له كلام في حقِّه، أو في عرضه، وعليه أن يلزم عبادة الصبر.

كما قال لي إنسان: رأيت فلانا لطمني حتى احمّر وجهي، وكظمت غيظي.

قلت: يظلمك فلان، ويكتب أقاويل كاذبة في عرضك، وخير تنفع به الآخرين فتصبر، وتعفو ويُبدلك الله خيرًا كثيرًا، فجرى منه ذلك.

ربيعية: فمن تجرّع مرارة الصبر والحنظل وكان مذاقه عليه عذبًا تحمّل البلايا والمحن، وهذا إنما تشبيه.





المبحث الخامس: وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

ومن الإشارات المليحة: دالة على الغياب، كما هو حال الشمس عند غيابها وغروبها، وكذلك في حال القمر، وستجد أننا نتكلم تارةً عن معنى الكوكب بما يوافق حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتارةً عن معنى الشمس بما يرجع إليه، وتارةً لغيره، وهذا كله جائز؛ لأنها جاءت في رؤياه، فله نصيب منها، وإذا أمعنت في قصته لوجدت الغياب جرى له بأوجه عدّة:

منها: غيابه عن أهله بدلالة الشمس والقمر باعتبار والديه.

ومنها: غياب امرأة العزيز عنه عندما سُجن باعتبارها الشمس كذلك.

ومن صفة الغياب ما جرى له من رميه في غيابات الجُب، وهذا من اللفظة اشتقاقًا. فتفطن لذلك.

وغياب القمر في الليل أبلغ في الحاجة إليه، وذلك لحاجة النفوس إليه، وقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أعني الغياب عن أهله ما يقارب أربعين سنة أو ثمانين سنة على قول بعض أهل التفسير، وأما عودته بعد الغياب فجرى ذلك؛ لأن الشمس والقمر من إشارات رؤياه، وإن كانوا هم من أتوا إليه، ولكن ذلك بطلب منه، ولما كان المجيء من طبيعة الشمس والقمر جرى منهما ذلك، قال تعالى: ﴿وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٣﴾ [يوسف]، وقوله: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ [يوسف:١٠٠]، فافهمه.

والمتأمل في سورة يوسف يجدها أحداث مترادفة، وذلك من اللفظ: "جاء" فتجد قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ۝١٦﴾ [يوسف].

وقوله: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ ﴾ [يوسف:١٨].

وقوله: ﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ ﴾ [يوسف:١٩] ونحوها من السورة.

وتجد في ختام السورة قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾ [يوسف:١١٠].

وهذا الحال شبيه بحال مجيء وقدوم الشمس والقمر، وهذا من التوافق العجيب.

وقد جرى الغياب لنبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ عن أقاربه وبلدته، وهي أحب البقاع إليه بعد أن جرى له من الأذية والشدة والمعاناة ما هو معلوم في سيرته، ثم عاد إليها فاتحًا مؤيدًا منصورًا، وكم من غريب وهو بين أهله أو في بلدته فصارت أشد من غربة البلد ألا وهي غربة الدين، ولما غاب بدر الإسلام قبل بعثة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ عاد نوره حتى ارتقى وصار بدرًا، وهي رسالة نبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، ثم اقتضت حكمة الله بعد الكمال إلى نقصان، ولن يبقى إلَّا قلة كما هو حال القمر، ففي الحديث قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**» [رواه مسلم، برقم: (١٤٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ]، وسيعود في زمن المهدي وعيسى عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وقس نحو ما ذكرت في شمس الرسالة.

كما قال لي إنسان من اليمن: رأيت الشمس طلعت من المغرب. **قلت:** يظهر حاكم البلد بعد أن أشيع وعلم الناس أنه مقتول، أعني علي عبد الله صالح، والله أعلم.

وآخر مثله: قلت: صاحب الرؤيا من البلد ليبيا، وينتظر أمرًا يرجوه، فكان كذلك، ودليله أن البلد ليس لها حاكم يديرها.

المبحث السادس: لكل ريح طيبة فترة

ومن المعاني: دالة على السكون، قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾ [الأنعام].

فإن الليل والنهار يعتبران من الشمس والقمر، وقس منهما الرياح المحمّلة برحمة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فإنها موسمية تأتي تارةً وتسكن تارة بأمر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وكما في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ [الشورى:٣٣]، وبعض الأرواح طيبة كسحاب الغيث، فيكون حاله نفعًا للبلاد والعباد، وهذا الفُتُور لابد منه، وذلك من غير إرادته وبعدها ينجلي ويعود له العزم والنشاط، وفي الحديث قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ»[رواه أحمد، برقم: (٦٩٥٨)، عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا].

وتجد هذا المعنى جرى في حال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي فترة بُعْدَه مما أدى إلى حزنه على أبيه، ومما أعياه من بعد الجب والسجن، وعندما أقبلت الريح الطيبة من قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤﴾ [يوسف].

جرى في روح أبيه العافية والقوة، فإن العالِم كالريح الطيبة ينتفع العباد بخيرها، وإن غابت فترة لكنها تعود.

وصلة هذا المعنى بالكواكب فإنه في القرآن عند ذكر الرياح يذكر الآثار العلوية كالسماء والليل والنهار والسحاب، وتجد حركتها في مواسم معلومة، ولذا فإنك تجد أناسًا يَجِدُّون في الصيف، ويَفْتُرون في الشتاء أو العكس، وذلك بما يرجع على أمزجتهم بهذه الفصول الموسمية وهذا كله بأمر الله سبحانه تعالى.

المبحث السابع: كسوف وخسوف

ومن دلالات الكواكب ومنها الشمس والقمر: دالة على الخوف والهول، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من ذلك أمور عدّة:

منها: ما قام به إخوانه.

وإذا أمعنت في بادئ الأمر فلعل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقع في نفسه شيء من الخوف منهم لا سيما بعد كلام أبيه، وكذلك عندما رموا به في الجب، وكذلك عندما بِيع في مصر.

قال محمد بن مسلم الطائفي: بلغني أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما أُلقي في الجب قال: يا شاهد غير غائب، ويا قريب غير بعيد، ويا غالب غير مغلوب، اجعل فرجًا ومخرجًا، وارزقني من حيث لا أحتسب. قال: فما بات فيه.

قال أبو الربيع الطاهري معقّبًا على هذا الدعاء: والإسرائيليات كما هو معلوم يُعتبر بها ولا تُعتمد، وهنا معناه يستقيم، وإذا تأملنا إلى معاني ألفاظه لوجدتها تلائم معاني الكواكب، وضرب آخر من حيث الاشتقاق في نبي الله يونس عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما جرت عليه ظُلمات عدّة كان دعائه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

وارتباط هذه الإشارة بالكواكب فإن طلوع الشمس من مغربها من علامات القيامة، وهذا يدعو للخوف، والشدائد كما جاء عند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا**». [رواه مسلم، برقم: (٢٩٤١)].

وكما جاء في "صحيح البخاري"، من حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ**». [رواه البخاري، برقم: (١٠٤٨)، ومسلم، برقم: (٩١١)]. وهذا يدل على المخاوف عند الكسوف أو الخسوف، حتى إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان يجر رداءه، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ [الإسراء].

وإذا تأملت بين الشمس والقمر فالشمس أكبر حجمًا؛ فدلالة على أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عانى أشد المعاناة، وتوالت عليه المحن منذ الصغر، ومن قبل أن يُكلَّف بالرسالة، وهذا لم يحصل لنبي سوى نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، بل حال نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان أشد بلاءً من أوجه عدة:

منها: أن نبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ابتلي بمفارقة أبويه، ثم اجتمع بهم، ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يدرك أبويه.

ومنها: أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند غربته عاش وترعرع في كنف العزيز، فعاش عيشة طيبة، ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ جرى له من النصب والتعب ما هو معلوم في السيرة.

ومنها: أن إخوة يوسف فكروا بقتله، ثم اتفقوا على رميه في الجب، ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عزموا وأرادوا قتله على الجادة، ولذا فإن قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجد من حين فسّر له أبوه وحذّره جرى له من الشدة ما ذكرناه آنفًا، ثم جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ العاقبة الحسنة والسيادة والرخاء والتمكين، ولو كانت كل كواكبه شموس لجرى غير ذلك. والله أعلم.

المبحث الثامن: كوكب وكوكبة

ومن الحِكَم: اعلم أن الكواكب تُذكَّر إلا كوكب الزُّهرة كما ذكر ذلك الأزهري، وكذلك من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كانت الكواكب دلالة على إخوانه، ولكن لا نحصر هذا عند التأويل، فالشمس دالة أحيانًا على الذَّكَر، وعلى معانٍ أخرى كما تقدم ذكره، وقس على ذلك في القمر ونحوه الكوكب، فإنه أحيانًا يؤنث، فإنك إذا تأملت إلى كوكب القمر فإنه في الغالب يكون مذكرًا، ولكن هنا نشتق دلالة من معناه فيكون مؤنثًا، وقس ذلك كما في العدد، مثال على ذلك: أليس الكوكب دال على الأملاك والمعيشة ونحوهما؟ بلى، فجائز أن يكون الكوكب أو كوكب الأرض دال على أختين لمورث لهما بعد هلاكه، وذلك كونه دلالة على الأملاك والمعيشة، وهذه القرينة التي تُجزم بها عند تلاؤم الحال، وذلك من قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ [النساء:١١]، فللذكر مثل حظ الأنثيين، فإذا اعتبرنا الكوكب مذكرًا لواحد كان كذلك دلالة لأختين؛ لأن الشمس والقمر يعتبران بالأبوين، وهلاكهما يشير إلى ما ذكرته آنفًا، فتفطن لذلك.

وإلا فالكواكب في الغالب ذكورٌ، واستدلال آخر أيضًا وذلك من قول عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا في حادثة الإفك: **والله لئن حلفت لا تصدقوني، ولئن اعتذرت لا تعذروني، فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه، فالله المستعان على ما تصفون، فانصرف النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ، **فأنزل الله ما أنزل، فأخبرها، فقالت: بحمد الله لا بحمد أحد.**

فالأمر فيه سعة، وقد بيَّنا اعتبار الشمس والقمر من قبل، وبما أن الكواكب من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ معتبرة بالذكور وهم إخوانه؛ فهذا دليل على أنه ليس



لديه أخت من قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [يوسف].

فإخوته كانوا أحد عشر، فلعله لم يكن له أخوات، وهنا استدلال لكذب ما حرف في التوراة من أمر أختهم التي تم تلفيقها بالفضيحة والبهتان، وهذا دأبهم، وهنا فضحهم الله تعالى في هذه الآية، وإن كان لديهم أخت فحاشا وكلا في بنات الأنبياء، وليس كل ما في كتبهم صحيحًا؛ ففي "مسند" أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أبي نملة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**...» الحديث.

وإن كان لديه أخوات فالظاهر لم يدخلن في حكم الحسد ضد يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لأن الحسد من قِبل الأخت على أخيها من النادر، وذلك لأن الحسد مذكرٌ، فيكون من ذكر على ذكر، أو يكون من أنثى على أنثى في الغالب، وأما إن صدر من أنثى على ذكر أو العكس فهو أفسد، والله أعلم.

فلو أن بين أخوة يوسف أخت واحدة لاقتصت أثره كأخت موسى لتعيده إلى أبيه، لأن الأخوات لا يعرفن طريق الجُب، وإنما يعرفن فحسب طريق الحُب.

مليحة فريدة:

فمن رآه في منامه أو نحو رؤياه لربما صُرف عنه ميراثه من أبيه.

المبحث التاسع: في صحراء لا ظهير في عز الظهيرة

ومن الإشارات أن الشمس دالة على التعب والعناء والصبر، وذلك من حال الشمس من حرّها وحرقها، وهي أهون في المنام إن لم يتأذى منها، ففي اليقظة إذا نظرت إليها فإنها تتعب البصر، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ [النبأ] أي: شديد الاتقاد والإنارة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهّاجًا): وقّادًا مضيئًا، وهذا يتولد منه حرارة وحرق ونحوه، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس:٥].

والفرق بين الضياء والنور: أن ضياء الشمس فيه نور وفيه حرارة، ونور القمر فيه نور وليس فيه حرارة، ولما كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كالقمر نهانا أن ننظر في الكتب السابقة، وذلك حفاظًا على نور القمر، وكان هو بعد الشمس من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما جرى من عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وترك ذلك، وأيضًا نهانا الإسلام أن نكلف أنفسنا بما لا طاقة لنا به، وهكذا كان قول يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف]، وقياسًا بأن امرأة العزيز بدلالة الشمس فحفظه الله تعالى.

ومما يستدل به على الصبر من سورة يوسف قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف]، وقد جرى له تعب وعناء من إخوانه؛ لأن الكواكب تستمد نورها من الشمس فنال منهم ومنها ذلك النصب من امرأة العزيز حصيلة حرارة العشق والهيام، ومن ثم حرارة الانتقام، وهو السجن، وكذلك



مما جرى له من نسوة المدينة والعزيز كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ [يوسف].

وصبرك على الآخرين يعتبر بدرجة الإحسان إليهم، فبقدر صبرك يكن إحسانك إليهم وجمالك، والجزاء يكن لك أضعاف من رب العباد، وارتباط الكواكب على معنى الصبر قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ [طه]، فأمر الله تعالى بالتسبيح قبل طلوع الشمس قبل مجيء حرّها، وعند غروبها، وكما جاء في الحديث عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**». [رواه مسلم، برقم: (٢٢٣)].

فأهل الصبر تتفرس بالنور على وجوههم، كيف لا والجزاء من جنس العمل، وقس على ذلك القَدْر من الضياء على يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بقدر التعب والنصب الذي جرى له في قفار كنعان وصحراء مصر، ولم يكن له ظهير، وبان ذلك الضياء في حسن جماله، وفي ذلك قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَجِبْتُ لصبرِ أَخِي يُوسُفَ وكَرَمِهِ وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ حَيْثُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ لِيُسْتَفْتَى فِي الرُّؤْيَا، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ حَتَّى أَخْرُجَ، وعَجِبْتُ لصَبْرِهِ وكَرَمِهِ وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ أُتِي لِيَخْرُجَ فَلَمْ يَخْرُجْ حَتَّى أَخْبَرَهُمْ بِعُذْرِهِ، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لبادرتُ الْبَابَ**». [رواه الطبراني في الكبير، برقم: (١١٦٤٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقال الألباني: صحيح].

فقد ذكر في الحديث صفة الصبر والكرم، وهذا صعب الوصول إليه إلا لمن وفقه الله تعالى، وتجد من قوله: «**لبادرتُ الْبَابَ**»، دلالة على شدة البلاء الذي جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ونذكر من "عدة الصابرين" لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض منها وهي: الأمر به،

والنهي عما يضاده، وتعليق الفلاح به، الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره، تعليق الإمامة في الدين، وما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوافق مما جرى من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فكان للناس هداية في عبادة الصبر.

وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا»** [رواه البخاري، برقم: (٧٠١٧)، ومسلم، برقم: (٢٢٦٣)، واللفظ له]، ولعل من مفاهيم هذا الحديث أيضًا أن المرء كلما كان صابرًا مصابرًا فإنه يتولد فيه الصدق، وغالبًا رؤياه صادقة صافية من الأضغاث وحديث النفس، والله أعلم.

وقد جرى لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ من التعب والجهد والمصابرة في مواطن عدّة ما لم يجري لنبي قبله، فهو إمام الصابرين، وضرب أحسن الأمثلة في ذلك، وإذا تأملت إلى أحداث الأنبياء من التعب والنصب لوجدتها كلها جرت في نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، والله أعلم.

وقفة مليحة:

تأملت في أحوال الناس في رؤاهم، فوجدت أنّ من يُرزقون برؤيا الكواكب يجد أحدهم تعب ونصب عندما يستيقظ على إثرها، ومثل هؤلاء قلة قليلة.



المبحث العاشر: كوكب محبوب حلّت عليك كُروب

ومن العلامات: دالة على كُربة من أحبّه، وبقدر حبّه تكن قدر تلك المحنة، فإن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحبّه أبوه فتنكد من إخوته بسبب ذلك، وأحبّته امرأة العزيز فسُجن بسببها، وكان السجن أحب إليه، وذلك من قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ ﴾ [يوسف].

وأحبّه السجين من قوله: ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ ﴾ [يوسف].

وكونه أيضًا عبر له بالخلاص من السجن وبثّ الفأل الحسن في روحه فأنساه الشيطان ذكره عند الملك، وهذا بأمر الله تعالى، وذلك لحكمة، وكذلك كما جرى له بسبب حب عمته له، والعجيب أن القريب قال: ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ ﴾ [يوسف:٩].

وأما الغريب فقال: ﴿ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ ﴾ [يوسف:٢١]، فالود أرزاق، وإنك لا تدري في أيّ قلبٍ رزقك.

وإذا أمعنت في الكواكب وعظيم نفعهما للخليقة فلا ريب أن النفوس تحب تلكم الكواكب حبًا فطريًا، وتنشرح الروح بها، ولكن إن كان على الديمومة والزيادة وذلك في مخالفة الشرع في الليل والنهار حلّ بالشمس الكسوف وبالقمر الخسوف بسبب ذلك بعد أمر الله سبحانه تعالى، وذلك لتخويف عباده، وكل محبوب لشيء من الطبيعة فقد ذَلَّل الله له الشمس والقمر وذلك بما يعود عليه من نفع، فإن خرج عن الاعتدال كان مضرًا.

وتشبيه نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بالشمس عند الإشراق، والقمر ببدره دليل آخر على حب ذلك، ولكن باعتدال، ومن زاد فخرج كان سُحقًا سُحقًا، فافهم ذلك.

سائل يسأل: لِمَ جرى الكسوف في حياة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، ولَم يحدث خسوف القمر؟

والجواب:

أولًا: لله الأمر من قبل ومن بعد، فيفعل ما يريد وكله لحكمة.

ثانيًا: لعل الحكمة لأمرين:

أحدهما: هو درس للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، ولأمته، ما هو تأويل هذا الحدث، وهو خلاف ما ذهبوا إليه.

والآخر: إن الله شبّه نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بالقمر في مواضع عدّة، فلعل العدم ذلك لوجوده بين أصحابه، وما زال على قيد الحياة، فكيف يُكسف وهو بينهم، والله أعلم.



المبحث الحادي عشر: يُشترى بأغلى الأثمان...

ومن الدلالات المليحة: دالة على الطلب الحثيث له، فيُطلب ولو بثمن مرتفع من قِبل كبير من غير بلده، وذلك مقابل أمر معقول على ظاهره، أو شيء يُتقنه، ومعلوم أنه لا يُطلب على هذه الصورة إلا شيء نفيس، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذلك من قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف:٢١]، ثم يكن باطنه تملُّكه أو أمر رديء، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ﴾ [يوسف:٢٣].

فلم تقدر امرأة العزيز كونها شمس أن تدرك يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كونه قمرًا، وقس على ذلك بحال يعقوب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالحثّ على يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذلك من قوله: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف].

سواء كان حسًا مسموعًا أو رؤية، وهذا في غاية البلاغة، وكذلك طلبه الملك، وذلك من قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف]، وصلة هذا المعنى من الشمس والقمر فإن المتأمل لمنفعة الشمس والقمر وتسخيرهما من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أمس الحاجة إليهما فبدونهما تتعطل معايش الناس ومصالحهم، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم].

وطالب العلم يبذل الغالي والنفيس لأجل العلم المقتبس من شمس الرسالة ونور الهداية، بل واجب على الناس أن يبذلوا الروح والمال والولد لأجل نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد أفلحت أمنا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بطلبها والحث بالزواج من نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما رأت فيه جمال الخَلْق والخُلُق، وشتان بينها وبين امرأة العزيز.

وكم حاولت حرارة حقد أهل الأهواء والبدع من شراء القمر في كل زمان ومكان، وكم عانى شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله من فتنة عبد الرحمن العدني، وكاد أن يشق الصف، فحفظ الله دعوته ومشايخها ودار الحديث وجرى لمن سعى لتلكم الصفقة مالا يُحمد.

وجرى لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ العروض المغرية لكي يترك ما أتى به، ولم يزده ذلك إلَّا ثباتًا وقوةً.

كما قالت لي امرأة: رأيت زوجي كأن وجهه يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإخوته بجواره يريدون أن يقذفوه في نار كانت بين أيديهم.

قلت: هل أُلقي في النار أم لا؟

قالت: لا.

قلت: يُبتلى زوجك بمحنة مع إخوانه ليرغموه على السفر إلى بلد آخر، ويأخذوا مقابل ذلك أموالًا من إنسان من الأكابر، ويخلّصه الله من ذلك، فجرى ذلك.

المبحث الثاني عشر: .. ويسمّى بأحسن الأسماء

ومنها دالة على الاسم الحسن له، أو يُكنّى بذلك، وقد كان يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُنادَى بأحسن الأسماء في زمانه بـ(العزيز)، وله معانٍ عدّة، وهنا تشير إلى الرفعة، وهو خلاف الذُّل، والغلبة والقوة ونحوه كما قالوا من بعد زمن يوسف من قولهم: ﴿ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤ ﴾ [الشعراء]، وهذا المسمى دال على القوة والرفعة والسؤدد ونحو ذلك مما يتوافق مع معاني الكواكب.

وأمّا من حيث جمال الاسم من الشمس والقمر فيكفي مسمّى الشمس والقمر أنهما في مواضع عدّة من كتاب الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وسنة نبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وكذلك اتصف بهما نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، والباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لم يصف نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ إلّا بأفضل وأحسن الصفات.

وربما كان اسم الرائي أو اسم أبيه عبد العزيز ونحوه، لأن لكل شيئ من اسمه نصيب، فافهم ذلك.

ونبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ سُمّي بأنفس الأسماء وأعذبها وأجلها، بل ولا نظير لها من أسماء الأنبياء والرسل، فقد سُمي بـ: **(محمد، وأحمد، والحاشر، والماحي، والعاقب، والمتوكل، ونبي الملاحم)**، فعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: لقيت النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ في بعض طرق المدينة، فقال: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَالْحَاشِرُ، وَالْمُقَفِّي، وَنَبِيُّ الْمَلَاحِمِ**». [رواه أحمد، برقم: (٢٣٤٤٥)].

وانظر إلى أقوال أهل العلم في معاني أسمائه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ.

المبحث الثالث عشر: حزام على امرأة العزيز

ومن العلامات النفيسة: دالة على شدَّةٍ بِحَزْمٍ، وذلك من كبير أو امرأة أحد الأكابر أو من نساء، وهذا من حال الشمس والكواكب حولها، فعندما كان جواب يوسف: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف].

كان عزمها وحزمها، وذلك من قولها: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ [يوسف]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ [يوسف].

ويكون الحزام من آخرين على تلطيخ عرضه مقربون إليه لأجل حظوظ دنيا ويُشن عليه الحرب ليلًا أكثر من النهار من قِبلهم، وهذا من قولهم: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾ [يوسف].

ولعل ذلك كان بأمرٍ من كبيرٍ أو من دل عليه الشمس، فهم الكواكب حولها من رؤياه وعليها كالحزام، وهذا المثل شبيه بما قام به الأحد عشر من البرامكة حسدًا منهم على شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله وما يستمدون نارهم إلَّا من حرارة الربيع المدخلي أو من غيره، ومن كان يستمد خفية سيُفضح وإن طال ليله، فما أشبه الليلة بالبارحة، ومن التشبيه عليهم أيضًا أن الشمس تخدع لمن تاه في الصحراء واشتد عطشه فيظنه سرابا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور].

فالسراب ما يُرى من بعيد في واضحة النهار انعكاس الشمس وكأنه ماء وليس

بذلك، وما يدريك أن الذي كان يُمدَّهم ينقلب حرّه عليهم، فإن الذي يقف مع الباطل يلقى حتفه، فإن العزيز بعد اعتراف امرأته ببراءة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لابد أنه تنكّد من ذلك في عرضه، فالجزاء من جنس العمل، وهذا من طبيعة الحال والمآل، وإن لم يذكر في السورة.

ولذا فإن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لقي من امرأة العزيز محن وشدائد وارتدى معطف درع من حديد ليحتمي من حرّها، وحصل عليه من حرّها مما أسخن درعه، فبعد أن كان عزيزًا في قصر العزيز تكلموا في عرضه، ولم يُصدّق لسانه بعد شهادة الحق، ثم فوق هذا سُجن؛ لأنها أبت إلا أن يُقبل افتراؤها مع بيان كذبها أمام زوجها، ولكن جُبل هذا الطبع في نساء مصر على رجالهم، ومن ذهب أن السبب في طبائع نساء مصر هو بعد أن أهلك الله تعالى فرعون تزوج بني إسرائيل بنساء أكابر فرعون فجرى طبع الهيمنة فيهن، فهذا القول فيه نظر، فإنك إذا دققت في الأمر جيدًا وجدت أنه قد غُرس في نساء مصر من قبل أن يأتي فرعون، ودليل ذلك ما ذكرناه، والله أعلم.

سائل يسأل: لماذا لم تُذكر أُم يوسف في السورة إلا في موضعين مع أن الشمس أعظم من القمر وبدأ بها في رؤياه؟

قلت: هذا لكي نفهم ونتعلم أن الشمس لها معانٍ ودلالات عدّة كما ذكرنا، وليست محصورة في الإشارة إلى أمِّه فحسب، والله أعلم.



المبحث الرابع عشر: القمر يستمد نوره من الشمس

دالة على العطاء، وذلك منحة، ثم محنة، ثم دهشة، وعنوان هذا الفصل ذكره علماء السلف القدامى، والمتأمل في حال الشمس عند إشراقها تدل على العطاء، فقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قول العزيز: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ [يوسف:٢١].

ومن ثم جرى منها المحنة في عز الظهيرة، وهو السجن، ونظيره من قِبل إخوانه، وهو رميه في الجب، وكان العطاء له قبل ذلك من قولهم: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ [يوسف:١٢]، وذلك لين ورفق منهم وسعي لراحته، ثم جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الراحة بعد غروب الشمس، فكانت العطاية من الباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بما جرى له من العطاء، وهو المُلك بعد شهادتها بالحق أمام المَلك، فإن المتأمل في المنحة والمحنة ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من امرأة العزيز كانت من تلكم الشمس بمعانيها المختلفة، وذلك لحكمة الله البالغة.

ونحو ذلك فقد حصل النكد في أمر قميصه مرة كأداة كذب، ومرة دليل براءة، ومرة دواء.

ودالة على العطية، وهو ضوء القمر، كما عند أهل اللغة.

والمتأمل في سيرة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ فقد جرى له ذلك، أعني المنحة مما جرى من قريش وإجلاله قبل البعثة، ثم جرى منهم المحن أثناء بعثته، ثم جرى له الرفعة في الدنيا والآخرة، فافهم ذلك.

المبحث الخامس عشر: دَرْس من سجن يوسف

ومن العلامات: دلالة على السجن، وهذا من حكمة الله البالغة ليرتقي صاحبها للمنزلة التي تنتظره، وقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد أن رآه ملاذًا من الفتن والهم والغم، وذلك من قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ ﴾ [يوسف].

واللفظة: ﴿ٱلسِّجۡنُ﴾ لن تجدها إلا في سورة يوسف من القرآن الكريم، وهذا من شدّة الكربة التي خاضها، وتجد اللفظة: ﴿ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩﴾ [الشعراء] في حق موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولكن لم يُسجن، وكأنه يُفهم أنه من زمن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان السجن أشد العقوبات للخارج عن طاعتهم بعد القتل، ولعل السجن في أزمانهم كان في باطن الأرض، وليس على ظاهرها، وذلك من معنى اللفظ.

وإذا تأملت في حياة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قصر العزيز وحياة موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ واعتناء امرأة فرعون به وغيرها من الأمور لوجدت أن هناك أمورًا متوافقة جرت لهما، ومن التوافق العجيب أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ سُجن في مصر، واسم السجن سجن الجُب عند أعلى الجبل، كما ذكر ذلك ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأريخه.

وقد يُسجن المرء وهو في سعة من الأرض كالهمّ والغم، أو محنة، أو من ديون، أو مرض، أو شدة في معيشته، أو داره تُضيّق عليه، أو من الزوجة، وكم من دار وهي حبس على أهلها، ولعل الوقت مدته اثنا عشر سنة عليه، ولكن في سجنه قد يهبه الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منحة وعطية نفيسة إن أخلص وصبر فهذا مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ففي سجنه دروس وعبر ونفائس ملاح لمن تأملها، ولنا عبرة في سجن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من الأئمة رحمة الله عليهم.

وأمّا دلالة الكواكب على هذه الفائدة من قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾ [التكوير] ولا يقسم الله إلا بعظيم، وكأنّ الصبح كان في انحباس، فإن غياب الشمس في الليل شبيهة بالحبس أو السجن حتى يأذن لها بالظهور، وقس على ذلك في القمر، وقس على ذلك في حال الخسوف والكسوف، وعند أهل اللغة: يقال عند منع القطر: حبس المطر من السماء. كالقائل: وَما رَأَيْناها تَبْكِي حَتَّى هَطَلَتْ دُموعُنا كالْمَطَرِ يَتَساقَطُ بَعْدَ انْحِباسٍ. أي: بعد انقطاع. ويقال: انحبست أنفاسه.

وفائدة أخرى: فقد ذكر أهل العلم أن يوشع بن نون بن أفرائم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم الصلاة والسلام وقد كان نبي بني إسرائيل بعد موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو الذي خرج ببني إسرائيل من التيه، ودخل بهم بيت المقدس بعد حصار ومقاتلة، وكان الفتح قد ينجز بعد العصر يوم الجمعة، وكادت الشمس تغرب ويدخل عليهم السبت فلا يتمكنون معه من القتال، فنظر إلى الشمس فقال: إنك مأمورة وأنا مأمور، ثم قال: اللهم احبسها عليّ، فحبسها الله عليه حتى فتح البلد ثم غربت. وفي "صحيح مسلم" من طريق عبد الرزاق، عن معمر بن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ، وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا، وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا، وَلَا آخَرُ قَدِ اشْتَرَى غَنَمًا -أَوْ خَلِفَاتٍ- وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلَادَهَا، فَغَزَا فَأَدْنَى**



لِلْقَرْيَةِ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ»، الحديث بطوله.

[رواه البخاري برقم: (٣١٢٤)، ومسلم برقم: (١٧٤٧)].

وهذا النبي هو: يوشع بن نون. بدليل ما رواه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا أبو بكر ابن هشام، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ لِبَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**». [تفرد به أحمد، برقم: (٨٣١٥)، وإسناده على شرط البخاري].

والمتأمل في سيرة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ جرى له ما هو أشد من السجن، وهو حصار الشعب، فإنك لو تأملت لوجدته أشد منه، بل كان على جماعة، وليس على فرد، وشُق له القمر، فهي أعظم من حبس الشمس، فافهم ذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت فلانًا يراسلوه ليحبس في المدينة.

قلت: سيتزوج من تلك المدينة، ويُحاك عليه مكر برسالة لأجل أن يتوقف عن عمله، ولن يتمكنوا من ذلك.

وآخر مسجون يقول: يتكرر عليَّ رؤيا بأني مسجون.

قلت: لعلك مريض. **فقال:** صحيح.

وآخر يقول: رأيت أخي المسجون يريد أن يصل إليَّ ولا يستطيع.

قلت: إن كلّفت رجلًا يعمل لأجل ذلك فهو ماكر، فانظر إلى رجل آخر، ففعل وخرج من السجن.

وآخر يقول: رأيت أحد المعارف أنه مات على سوء خاتمة.

قلت له: هذا سيُسجن. **قال الرائي**: فكنت أراقبه وأتطلع إلى خبره كل حين حتى إنه أقدم على قتل ابن عمه فسُجن.

ولمن رأى يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو نحو رؤياه ربما يُسجن من قِبل من دل عليه الشمس أو الكواكب من كيد أو يُمكر به، والله أعلم.



المبحث السادس عشر: وهل يَخْفَى على النَّاس القمر

ومن الأحكام: تفسير المنامات وهذه الدلائل التي نسردها بما فيها من معانٍ هي لمن يراه أو يرى نحو رؤياه، فتجده يأتي بالعجائب وما عند الرائي من أمور لم يطلعه عليها، وماذا سيجري له وما جرى له من قبل، ويُدرك أحيانًا اسمه ومعتقده وخباياه في بعض الرؤىٰ، وهذا ليس تكهنًا، وإنما علم وإلهام من الله بجوار تعمّق شهود الرؤيا، ويتحدث بما يتعلق في الحوادث والأكابر والبلدان، ويجري ذلك على قلبه ولسانه، وهذا مما جرى من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في تأويل رؤيا السجينين، وكيف جرى ذلك لهم بعد ثلاثة أيام، وقوله: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ﴾ [يوسف:٣٧].

وكيف علّمه الله تأويل رؤيا الملك بما هو قادم لخمسة عشر سنة، وما الذي ينبغي عليهم، ومن ذهب بأن كهنة الملك كانوا يعلمون أن البقرة كانت دالة على السنة فقد أبعد النجعة ورفع من قدر القَذَى، وصلة هذا الفصل من إشارة الكواكب؛ فإنك لو تأملت إلى رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيها كواكب وشمس وقمر، وقد كان إخوانه وأبوه مفسرين للرؤيا، فهنا دلالة على أن رؤيا الكواكب في الغالب دالة على علوم، ومنها علم الرؤيا لا سيما إذا اقترنت جوارها بشيء له صلة بيوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو بجزء من أحداث قصته. وقد صار من يرفعه الله بهذا العلم يُنادى بيوسف زمانه وبقدر إخلاصه يكن يوسفيًّا، نسأل الله الإخلاص في القول والعمل.

وقد كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عابرًا للرؤيا، وكذلك أبو بكر الصديق، وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وكذلك من الصحابيات رضي الله عنهن.

المبحث السابع عشر: بديهة وبديهية

ومن الحِكَم: دالة على سرعة الفهم والإجابة بعفوية، وتجد ذلك من قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ﴾ [يوسف:٤٧] فإنك تجد من الآية سرعة فهمه، والإجابة بسلاسة، وهذا ما يسمّى بالبديهة، ومما جرى مع نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع النمرود، قال تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، وهنا أيضًا استدلال على الإجابة الواضحة بصورة بديهية وهذا من النُّدر.

ومنها البديهية فقضيته مع امرأة العزيز قضية جلية بيّنة واضحة كالشمس في رابعة النهار، فلا تحتاج في تأييده إلى أدلة من حيث معرفتهم بنزاهته وحكمته وعلمه وصدقه، وتجد العفوية فيه من قوله: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [يوسف:٢٦].

فحال بعض طلبة العلم في علومه تجد فيها ملاحة ويكون متفردًا بها ويُنتقد عليه بسبب ما أُشكل عليهم، لكنه بديهي في قلبه، وهذا في بادئ أمره وليلزم الصبر.

وأما الاستدلال لهذا المعنى من الشمس والقمر من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران].

فالليل والنهار مرجعيتهما من الشمس والقمر، فهما آيتان واضحتان بينتان لعظمة الخالق وصنعه الذي أتقن كل شيء بحكمة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

فائدة مليحة: نقل بعضهم عن الحكماء: أن الفهم والحفظ لا يجتمعان على سبيل الكمال، لأن الفهم يستدعي مزيد رطوبة في الدماغ، والحفظ يستدعي مزيد يبوسة فيه، والجمع بينهما على سبيل التساوي ممتنع عادة. اهـ[الحطة للقنوجي].

قلت: هذا القول فيه نظر، ودليل ذلك مما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الفهم والحفظ معًا، وكذلك الأئمة من السلف، وسبب قولهم هذا؛ لأن أمزجة الأبدان تستشعر بضوء الشمس ونور القمر وذلك بأمر الله تعالى.

وعندما يطمس الله البديهة على العبد من قلبه فإنها تُطمس من بصره كحال قريش مما جرى من انشقاق القمر كان عليهم سرعان فهم ذلك، وذلك كونها آية بديهية، ولم يأت بمثلها من الأنبياء من قبل، ولكن جُلب الكبر من الأقارب والمعارف كما هو حال إخوة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك امرأة العزيز، والله أعلم.





الباب الثامن:
طَلَع البَدر





المبحث الأول: تنفّس الصبح.

المبحث الثاني: بشرى.

المبحث الثالث: الشمس والقمر ففيهما الميم.

المبحث الرابع: روح من العهد القديم.

المبحث الخامس: صخرة فانبثق منها ماء جارٍ.

المبحث السادس: أقاويل ولها مثاقيل.

المبحث السابع: كُن دليلًا يكن لك التبجيل.

المبحث الثامن: سوف تسمع بك الدنيا.

المبحث التاسع: مَلَك يقذف في روع ملك.

المبحث العاشر: رُبّ حيلة أنفع من قبيلة ورُبّ فخ أنجد من أخ.

المبحث الحادي عشر: عذبة باطنها كذبة.

المبحث الثاني عشر: حُجب القمر بالسُّحب.

المبحث الثالث عشر: معدن نفيس وإن اصفرَّ أو ازمَهَرَّ.

المبحث الرابع عشر: الناس على دين ملوكهم.

المبحث الخامس عشر: التدبير نصف المعيشة.

المبحث السادس عشر: كوكب دُرِّيٌّ في موكب كواكب.

المبحث السابع عشر: زينة كواكب.

تمهيد

بعد أن تحدثنا في النصف الأول عن التعب والمعاناة ننتقل إلى ما بعد غروب الشمس، وهو سكون الروح والبدن، مع نور القمر، أو ما بعد انقشاع ظلمة الليل، وهو عسعسة الفجر والفرج، وإنارة الشمس بعد سواد الليل.



المبحث الأول: تنفّس الصبح

ومن الدلالات: ظهور الحق وإزاحة قناع الظُّلم وانقشاع الظُلمة، وكما قيل بوضوح الشيء كالشمس في رابعة النهار، ودليل ذلك مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد أن ظُلم من إخوانه، وأرادوا سقوطه، ومن امرأة العزيز أرادت ذلّه وطمسه، فظهر أن الذئب بريء من دم يوسف، والسجن رديء من قِبلها، فظهر الحق بعد خفائه، وتنفّس الصبح، وأشرقت حقيقة الشمس بعد ظلام جثم عليها، وبان القمر وتَحلَّى بِحُلِيِّ نوره، ومما يدل على هذا المعنى من حال الشمس والقمر؛ فقد أقسم الله بالشمس بوقت ارتفاعها بعد طلوعها من مشرقها، وذلك من قوله سبحانه تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢﴾ [الشمس]، فبدأ الظهور من قِبل الشمس بعد قولها للحق وهي شمسه: أعني امرأة العزيز على أحد الاعتبارات المتعددة، ثم تلاها ظهور الحقيقة ليعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو قمره ومجيئه إلى مصر.

وإذا تأملت في اللفظ: ﴿حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ [يوسف:٥١]، فإنك تجدها فيها شيء من الثقل والتقييد، أي أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جاءه نور الحق بعد شدائد مترادفة، وكأنّ لسان حالها أنه لقي شدائد كثيرة من قِبلها، وهذه اللفظة لم تتكرر في كتاب الله سبحانه تعالى، وتجدها من حركاتها ما يوافق حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ ففي الحرف الأول علامة نصبه الفتحة، فقد كان في عز في بادئ أمره معها، ثم جرى له السجن، وذلك من علامة النَّصب للحرف الثاني وهو السكون، والقيد وسط دائرة الجدران لا منفذ له، ومن ثم صار الفتح من قِبلها باعترافها، ثم الفتح من قِبل الملك،

فكانت الشمس دليلًا على براءته، وربما إن كذبت ظل يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في سجنه ساكنًا، والله أعلم.

وهل يا تُرى سَلِم يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من امرأة العزيز عندما كان في السجن؟

الجواب: الله أعلم.

وهكذا من حكمة الله جعل للباطل سرعة وخفة، وجعل للحق بطئًا وثقلًا على النفوس لكنه عند المآل يوقفه ويدمغه.

وعلى هذا فقس في نور وإنارة العلماء للناس للنجاة من ظلمات البدع والفتن ومخاطرها، فهم كالشمس عند إشراقها، وكالقمر في ليلة البدر، والناس لا تستغني عنهما، وقد شبّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حاله وأصحابه بالنجوم فإذا طغت المخالفة وطمس نورهم خصوصًا من مجوس هذه الأمة حل بالأمة مالا يحمد، ولن يقدروا طمس نور علم الشريعة؛ لأن طمس الكواكب أمر مُحال من قِبل العباد، كما لم يتمكن إخوة يوسف من كبته ونسيانه عند أبيه، وكما قال شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: أينما حلّت السنة أدبرت البدعة.

ومن الحِكَم الملاح أنك تجد أصناف من العبادات لبعض العباد الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، كما في الحديث توافق مما جرى ليوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذلك لشدة الكربة في ذلك اليوم العظيم، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن نكون منهم.



المبحث الثاني: بشرى

ومن معاني الشمس والقمر دالة على البشارة، وهذا شعور الإنسان عند بكوره يُستبشر بعد انقشاع ظلمة الليل بإشراق نور الشمس في أول النهار، أو إثر نصب وتعب النهار ودخول راحة وسكون الليل مع نور القمر، ومما يدل على البشارة أو الاستبشار من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ما تضارُّون في رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ سبحانه وتعالى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**». [رواه البخاري، برقم: (٤٥٨١)، ومسلم، برقم: (١٨٣)].

فهنا دلالة واستبشار برؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عيانًا بيانًا.

وقد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول لأصحابه بعد الغداة، وهو عند طلوع الشمس أو بعده: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا...** » الحديث. [رواه البخاري، برقم: (١٣٨٦)، مسلم، برقم: (٢٢٦٩)]، وهذا من زرع الفأل والخير من أول النهار بعد كدر الليل، وكان يبشّرهم، ومنه يعلّمهم التعبير.

وهنا أضع فائدة منفردة وهو أن التعليم بعد الغداة فيه فوائد جمة تعود للفقيه ولطالب العلم، ويدركها من جرَّب ذلك.

وقد ضرب لنا خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثلًا يُضرب به حتى يومنا، وهو قوله:

عِنْدَ الصُّبْحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى.

فإن سأل سائل: إذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شُبِّه بالشمس والقمر فكيف النذارة على هذا التشبيه؟

قلت: عند الكسوف والخسوف فهما آيتان يخوف الله بهما عباده، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يغضب لله وفي الله ولا يخشى لومة لائم.

والبِشارَةُ المُطْلَقَةُ لا تكون إلَّا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران]؛ وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [يونس:٦٣].

قيل: بُشْراهم في الدنيا الرؤْيا الصالحة يَراها المؤْمن في منامه أَو تُرَى له.

وعند الجوهري: تَباشِيرُ الصُّبْحِ أَوائلُه؛ فالمبَشرّات: الرياح التي تَهُبُّ بالسحاب وتُبَشِّرُ بالغيث، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الروم:٤٦]، ومما جرى ليعقوب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من قدوم البشير، وذلك من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [يوسف:٩٦].

وجاءت بشارات عدّة من بعد دلو بشرى ليوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذلك لو تأملت في أحداث قصته.

المبحث الثالث: الشمس والقمر ففيهما الميم

ولما كان راحة الروح والبدن تكمن مع سكون الليل ونور البدر، كان لابد قبل ذلك من العبور وسط حر ونصب الشمس.

فإنه ربما يقع من ألفاظ الكلم أو العبور الحسن شدة حتى بلوغ ذلك الحسن، فعندما فسّرها يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بما فسّره بأن الله سيجتبيه، فقد اصطفاه الباري سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ونال (جبة) الولاية، ومنها جباية الحنطة، وكان لابد أن يبدأ من (الجب)، وهذا مستنبط اشتقاقًا، وتدبير إخوته من إلقائه في الجب إنما تلفظوا به بعد أن تلفظّ به يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولا يُمَكَّن للرجل حتى يُبتلى.

وكما قال الإمام الوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إِنَّمَا الوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَمَا   يَنْبُتُ النَّرْجَسُ إِلَّا مِنْ بَصَلِ

والعجيب أنّك إذا تأملت إلى المعالم العلوية لوجدت حرف الميم فيها كالسماء والشمس والقمر والنجم والعلم والمطر ونحو ذلك، وإذا تأمَّلت لمعالم الأرض لوجدت حرف الراء فيها كالقبر والحفرة والبئر، وكذلك إذا تأملت في لفظ الجنة والنار كان المشترك بينهما حرف النون أوسط أحرف اللفظتين فكان لزامًا على العباد عبورها وحينها يحفظ الله عباده المتقين منها، فافهم ذلك.

المبحث الرابع: روح من العهد القديم

ومن الدلالات: دالة على شغف الروح بالهمة السامية وبلوغ الغاية واقتحام المخاطر، فقد جرى ذلك من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ودليله من حاله وهو في السجن من قوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف]. والآيات التي قبلها.

فلم يتوقف عن بث العلم مع ما حلَّ به، فقام يدعو إلى التوحيد قبل أن يُفسِّر رؤيا السجينين، وهنا نستدل أنه على طالب العلم أن يبدأ بعلم التوحيد والعقيدة، ومن ثم يتعلَّم علم الرؤيا، فما قام به يدل على شغف روحه بالهِمَّة الرفيعة وبلوغ مُنَاها، ووجه آخر مع امرأة العزيز مما صدر منها من تخويف وتهديد بالسجن والذُّل، وما كان منه إلا الرَّفض، بل دعا وسأل المكروه لكيلا يقع في المحذور، فأحيانًا يكن المكروه محبوبًا؛ وذلك لأنه وَقَرَ في روحه هِمّة رفيعة لأمر عظيم ولابد أن يبلغه، ووجه آخر أيضًا من قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف].

وأمّا اقتحام المخاطر فقد جرى من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من اقتحام المخاطر وذلك من حمل مسؤولية زمام أمور خزائن مصر في مصير قادم فيه تعب ونصب وشدّة، ولا يطلب هذه المكانة بعد خروجه من السجن إلا من كان لديه ثقة بالله، وإقدام بهمة عالية، وذلك من قوله: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ [يوسف].

وهذا الفصل لهو شبيه بالكواكب فإن النجوم لعلوها فهي دلالة على الهمة العالية، والوصول إليها يحتاج إلى مشقة وكد وروح سامية واقتحام المخاطر.



قال المتنبي:

إذا غـــامرت في شـــرف مـــروم　　　فـــلا تقنـــع بمـــا دون النجـــوم

وعند أهل اللغة يقال: اقتحمَ النجمُ إذا غاب وسَقط.

قال ابن أَحمر:

أُراقِـــبُ الـــنجمَ كـــأَني مُولَـــع　　　بحيْثُ يَجْـري النجمُ حتى يقْتَحِم

أي: يسقط؛ والقُحَمُ: ثلاث ليال من آخر الشهر؛ لأَن القمر قحَمَ في دُنُوِّه إلى الشمس، وقُحْمة الأَعراب: أن تصيبهم السنة فتُهْلِكَهم، فذلك تقَحُّمها عليهم أو تقَحُّمُهم بلاد الريف، وقَحَمَتهم سنة جدبة تقْتحِم عليهم، وقد أَقْحَموا وأُقْحِموا؛ الأُولى عن ثعلب، وقُحِّموا فانْقَحَمُوا: أُدْخِلوا بلاد الريف هربًا من الجدب.

وما ذكره أهل اللغة تجد له ارتباط مع حال الكواكب، وقد قام يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذه المسؤولية العظيمة الخطيرة ووفقه الله لبلوغ مناه.

وإن وجدت من كان حاله كذلك في زماننا تجده وكأنه من العهد القديم في مطعمه ومشربه ومسكنه وروحه وغير ذلك كعادة السلف القدامى، أو يُحب ذلك وتسكن روحه لمثل هذه الأمور، فحال روحه كحال الكواكب منذ القدم لم تتغيّر على مر الأزمان، فلم تصبه فتنة فهو يسلك طريق السلف ممن مضى ومآله يكون إلى العلو والرفعة في الدارين، ولم تذهب ريح يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإن صار الجسد كالعرجون القديم كونه القمر، وقالوا عنه: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥﴾ [يوسف] أي: في توهم، فمن كانت روحه توّاقه لعهد السلف القديم يريد أن يستعيده أو يحيا به، قالوا عنه: مجنون، فكيف لا يحزن من كانت روحه كذلك وهو يستشعر كيف كانت بغداد أو دمشق فما من زقاق من أزقتها

إلَّا وكان فيه قمر يتلألأ، وما زال نورهم يُهتدى به إلى يومنا هذا، والله المستعان.

وإذا تأملت في سيرة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في طموحه وهمته السامية فقد كانت همة لا نظير لها، وهي إنقاذ الأمة من الكرب والشدائد، وذلك بدءًا منذ بعثته وبعد وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وحتى في الآخرة كما في حديث الشفاعة.

وأمّا في اقتحام المخاطر فكما جرى منه في غزوة حُنين كان في المقدمة، ولم يرجع القهقرى، وعندما تجمع الأحزاب، وغير ذلك من الوقائع والملاحم.

والمتأمل في قصة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يجد فيها من الفوائد التي لا تنقطع، وكذلك في باقي السور، وتجد فيها المتعة وعدم الملل مع الترداد عليها، وهي من القصص القديمة التي قد مضى عليها قريبًا من ثلاثة آلاف سنة، ومع ذلك تجد فيها ما ذكرنا.

واعلم أن الشمس والقمر منذ خلقها الله منذ القدم وهي كما هي، فإذا تهيّجت واضطربت بعد أمر الله فإنه منذر بأحداث لا تُحمد، كما في تخويف العباد من آية الكسوف والخسوف.

كما قال لي الشيخ سليم الهلال حفظه الله: ذهبت زيارة دعوية إلى بريطانيا قبل ست وعشرين سنة، ورأيت أني في بلادي، وكان الحال كالعصر البدائي، والحمير عليها أدوات للبحث عن الماء.

قلت: وإن كانت الرؤيا فيها بلدك الشام، ولكن تفسيرها يشير إلى بلد بريطانيا حيث سيحل عليها جوائح وينعدم فيها الماء، وتحصل عليهم شدة في المعيشة، وذلك نقيض ما رأيته في بريطانيا من التحضر في كل أمورهم، والله أعلم.

المبحث الخامس: صخرة فانبثق منها ماء جارٍ

ومنها: تسخير الأمور العظيمة وتليين الشدائد لنفع البلاد والعباد على يديه، ويُلهم عجائب وفرائد في حال ضعفه، ودلالة الكواكب بذلك قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل].

ومع عَظَمَة الشمس والقمر والنجوم فقد جعلها الله مسخرات لمنفعة الخلائق.

واعلم أنه كلما كانت روح العبد عليها الرزايا الشديدة مترادفة كحال الكواكب من رؤياه كلما كان الخُلص منه أنفس وأطيب وأعذب وأمتع.

وقد سخّر الله تعالى وذلّل ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ طاعة الملك له، وهو مع ذلك كان عبدًا وسجينًا، ومكّن له خزائن مصر تحت تصرفه، وكذلك من اعتراف امرأة العزيز، وعاد نفعه وبركته على البلاد والعباد.

ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سخّر الله له أمورًا أعظم مما جرى للأنبياء من قبل فقد بعث الله إليه ملك الجبال، وانشقاق القمر آية ومعجزة عظيمة، بل وفريدة، وهذا من قوة التوكل على الله، وحسن الظن به، وصار نفعه للبشرية في الدنيا والآخرة.

والمتأمل في طالب العلم عندما يسعى لطلبه يجد من التعب والنصب والمشقة، ولكن ليعلم أن هذا العلم لا يُنال بالأماني والراحة والأحلام، فإن أخلص وصبر نال الرفعة في الدارين، فافهمه.

المبحث السادس: أقاويل ولها مثاقيل

ومن العلامات: دلالة على تهمة السِّحر، وذلك أباطيل، ولها مثاقيل على الروح، ويجري على العامد لذلك أضعاف، ولما كانت الأقاويل ثقيلة على الروح والبدن أمر الله نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بما يُذهب عنه ذلك من قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه].

ومن كان فريدًا في زمانه فيما يُلهمه الله تعالى يُتهم بالسحر والشعبذة أو الجنون، ويكون الرّامي أحد المقربين له كما رموه إخوته في الجب وهذا من تقارب الكواكب، وربما سُحر، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ ذلك؛ أعني من رماه بالسحر والجنون، ودليله قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات].

قال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: يقول تعالى مسليًا نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: وكما قال لك هؤلاء المشركون، قال المكذبون الأولون لرسلهم كذلك، ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات].

وقال السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: يقول الله مسليًا لرسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عن تكذيب المشركين بالله، المكذبين له، القائلين فيه من الأقوال الشنيعة ما هو منزه عنه، وأن هذه الأقوال ما زالت دأبًا وعادة للمجرمين المكذبين للرسل، فما أرسل الله من رسول إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون.

ونظير ذلك مع يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ

مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ [غافر].

والسحر والجنون يدخل في الشك مما جاء به، ويدعوهم إليه من التوحيد.

والمقصود: أن كل الرّسل أُتُّهِمُوا بالسحر والجنون، ويدخل في ذلك يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وليس بمستحيل أن الذين اتهموه بذلك ربما من جهة كهنة الملك، فقد كانوا خاصته ومن المقربين إليه، فلا بد أن يقع في نفوسهم هذا الأمر الذي نكّد عليهم مكانتهم عند الملك، وأيضًا كيف بالملك تقبّل تفسير رؤياه من عبدٍ سجين ومن غير بلدته، ولعلهم قالوا: قد سَحَره؟!

وبالجنون أنه كيف نحكم مصير مملكة خمسة عشر سنة مقبلة على ظن تعبير رؤيا؟! بل لو حدث هذا الأمر في زماننا من قِبل عابر لم يكن له مكانة علمية من قبل لقلنا: إنّ هذا من الجنون.

وقد جرى لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كذلك ففي الحديث: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً «فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ القَمَرِ». متفق عليه، وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً فَوْقَ الجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اشْهَدُوا**» متفق عليه.

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: لقد رأيت جبل حراء من بين فلقتي القمر.

وهذه المعجزة إحدى علامات الساعة التي حدثت، ففي الحديث الصحيح قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ الدُّخَانُ، وَاللِّزَامُ، وَالرُّومُ، وَالْبَطْشَةُ، وَالْقَمَرُ**»، متفق عليه. واللزام: القحط، وقيل: التصاق القتلى بعضهم ببعض يوم بدر،

والبطشة: القتل الذي وقع يوم بدر.

وجاء ذكر هذه الحادثة في القرآن الكريم مقرونًا باقتراب الساعة، قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾ [القمر]، ولما كان من عادة قريش التعنت والتكذيب فقد أعرضوا عما جاءهم به، ووصفوا ما رأوه بأنه سحر ساحر، وقد حكى القرآن لسان حالهم ومقالهم، فقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢﴾ [القمر].

ولعل لمن رأى الكواكب حُسد أو سُحر، فقد جرى ذلك لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من قِبل لبيد اليهودي عندما أخذ من أثره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

والمقصود من السحر كان الخروج عن الاعتدال، وذلك من مادة الأثر ومادة السحر، وسحر الأثر من أشد وأخبث الأسحار، كونه يتفاعل حسب الطبيعة من قِبل الشياطين بعد أمر الله، وشغله الشاغل تخبّط اعتدال البدن والروح، وهنا ليس بسطه.

وهل يا تُرى جرى من صواحب يوسف سحر الجلب؛ أو جرى من قِبل كهنة الملك سحر التفرقة والنفور؟

قلت: هذا لا يعلمه إلّا الله عالم الغيب والشهادة.

وقد نهانا ديننا عن علم التنجيم، وهو عبر الكواكب، وأيضًا مما يُستدل به قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾ [الفلق]، والنفاثات هن السواحر اللاتي ينفثن في العقد عند السحر، وهنا ارتباط الوقت بالقمر والآيات التي قبلها تحكي عن الوقت كذلك، ومعلوم أن المسحور تجده يشتد وجعه في فصل دون فصل من فصول السنة، وفي أيام دون أيام لا سيما ليالي النصف من الشهر القمري، وغير ذلك التي يطول ذكرها في هذا الكتاب، فافهم ذلك.

وكم من ساحر بلسانه يُفتن الخلق عن الحق، وذلك بتلبيسه كما جرى من أهل الكتاب من تلبيس الحق بالباطل.

كما قال لي إنسان: رأيت أني أقرأ سورة الشعراء.

قلت: يعصمك الله من فاحشة، ولعلك مريض بالسحر، ويُبطل.

قال: نعم، ودليله اشتقاقًا من اسم السورة.

وقد أُتهم الربيع بالشعبذة، ولن يجدوا منَّا إلا الصمت والحسنى، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.



المبحث السابع: كُن دليلا يكن لك التبجيل

ومن العلامات: دالة على الهداية، ومنها الهداية الشرعية، فيكون هاديًا مهديًّا على ضوء الكتاب والسنة، فيحصل على يديه الهداية، فقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هداية للناس، كما جرى منه الدعوة إلى التوحيد في السجن مع السجينين مع الاستدلال في ذلك.

وهذا المعنى له دلالة من حال الكواكب من قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل]، فبها يستدل على عظمة الخالق وقدرته.

ومنها الهداية الكونية، وذلك معرفة الوقت والفصول والجهات والأماكن، وهذا ما حصل من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد كان هداية لأهل مصر في الهداية الشرعية، كما في السجن وفي ملكه، وقد ذكر بعض أهل التفسير أن ملك مصر أسلم على يديه.

وأما الهداية الكونية فهي ما جرى منه من تأويل رؤيا الملك، وقام بها على أكمل وجه بما جرى في سني الجدب التي حلّت عليهم، وأمر الحنطة وغير ذلك؛ لأنها تحتاج إلى إنسان له معرفة بالفصول وأوقاتها، ونحو ذلك.

ونبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ كان إمام المهتدين في قضاء حوائجهم في الدنيا والآخرة، وذلك كونه بدرًا فكان هاديًا مهديًّا للبشرية جمعاء، فجرى له التبجيل في الدنيا حتى من أعداء هذا الدين، وكذلك التبجيل في الآخرة، ويكفيه من ذلك الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود، فصلوات ربي وسلامه عليه في الدنيا والآخرة.

فإذا كنت دليل هدى تستمد نورك من الكتاب والسنة حصل لك التبجيل، وهي المكانة الرفيعة في الدنيا والآخرة وإلَّا فلا، واحذر دُعاة الظلام من الخوارج

ونحوهم، فخير الهدي هدي نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو خير دليل لأمته حتى قيام الساعة، ومن زاد في هديه صار عليلًا ذليلًا، فتنبّه لذلك.



المبحث الثامن: سوف تسمع بك الدنيا

دالة على الصيت الحسن، فيذاع اسمه أو بما يقوم به لنفع العباد، فيشتهر صيته في بقاع الأرض من غير طلب، فتكون سمعته لامعة مضيئة لا سيما في زمن الشدّة، وذلك لسواد الليل، وهذا حال الكواكب بضيائها ولمعانها على بقاع الأرض.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك:٥]، فقد انتشر صيت يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في كل مكان وزمان، وفي زمانه حتى عند نسوة المدينة بعد سماعهن بما جرى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [يوسف].

وحتى في زماننا ما زالت ولا زالت قصته لها التأثير العجيب المليح الذي لا تمل الروح منها، سواءٌ من قِبل طالب العلم، أو من قِبل العوام، بل تعدّى ذلك في كثير من الديانات.

ومما يستدل به على هذا المعنى كما جاء في "صحيح البخاري"، برقم: (٦٥٩١)، ومسلم، برقم: (٢٢٩٨) من حديث حارثة بن وهب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في صفة الحوض: «**حَوْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالمَدِينَةِ**». فَقَالَ لَهُ المُسْتَوْرِدُ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ؟ قَالَ: الأَوَانِي؟ قَالَ: لاَ، قَالَ المُسْتَوْرِدُ: «**تُرَى فِيهِ الآنِيَةُ مِثْلَ الكَوَاكِبِ**». أي: كَثرَة وضياء، وقد جاءت في القرآن بالمصابيح وذلك من قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت].

فكما ذكرنا بأن الكواكب نجوم، وكما قال الشاعر في ضوء ولمعان النجم قوله:

كالكَوْكَبِ الدُّرِّيّ أخْلَصَ ضَوْءُهُ ... حَلَكَ الدّجى، حتّى تألّقَ وانجَلى

فتزيد إنارةً وجمالًا وتألُّقًا عند زيادة سواد الليل، وهذا يتوافق مع نبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومنها بصورة عكسية، وهو دلالة على التشهير ويُسمّع به من قِبل حسّاده، فعن جندب بن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**»، متفق عليه.

وإلى يومنا هذا والناس تستصغر امرأة العزيز، وكذلك إخوة يوسف مما قاموا به من رميه للجب، ومع فعلهم هذا دلالة أيضًا على أنهم عبّاد موحدون، وليسوا بأنبياء ولا علماء، وذلك من حديث فضل العالم على العابد، فإن الشيطان يتمكن للعابد، وقد عبث بهم الشيطان بما قاموا به نحو يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإن كان ذلك ثقيل حسب مكانته وسموه لكنه دلالة على شيء مليح يملكه، وكما سُئل أحد السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أين الحق**؟ فقال له: انظر إلى سهام العدو.

وأما من يقوم بتشهير نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ فإن عذابه عاجلًا يحل به؛ وذلك لأن الخليقة لا تستغني عن منافع الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر]، وكما عند مسلم، برقم: (١٩٢٠)، من حديث ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»، ومن قام بالدفاع عنه ممن مضى من عهد السلف وفي عصرنا ذاع صيته بقدر إخلاصه، فافهم ذلك.

ونبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ كان له الحظ الأكمل في الصيت الحسن ليس مخصوصًا في زمانه بل ذُكر عند الأنبياء الذين من قبله، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ

أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ [الصف].

وكذلك في سورة إبراهيم وغيرها من الأدلة من الكتاب والسنة، بل وفي الإسرائيليات وعند اليهود فذاع صيته قبل بعثته وفي عهده، وحتى قيام الساعة، وكذلك في الآخرة.

كما قالت لي امرأة: رأيت حوض الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وكان هناك أناس كثر، وكنت أنا من بينهم، فظهر رجل كان يلبس ثيابًا بيضاء، وكان الناس يصرخون رسول الله، وأنه سوف يسقيهم ماء من ذلك الحوض، وكان يحمل بيده وعاء على شكل كف اليد، وكان من كثرة الازدحام لا يستطيع أن يصلهم الماء، فكان يرمي بهم رميًا، وكان البعض يحط الماء في فمه، والآخر بين أيديهم، وأنا رمى به ووضع في ردائي، وكان ثقيلا جدًا حتى إن الثوب نزل إلى الأرض.

قلت: نذكر دلالة من دلالات، ونسأل الله الإخلاص، وأن يرزقنا من فضله وعلمه. فإن صدقت رؤياها: فالأخت انتظرت التعبير من الربيع كثيرًا حتى يرد على طلبها، وتشكو من مرض البيضاء، ويتم إرسال الدواء إليها، وهو مركب من الطب النبوي وذلك من عشبة، وسط زحمة الناس في طلبه، وأول أناس ينتفعون به هم أهل اليمن، ومن الناس من لا يقدر على تناوله، ومنهم من يتناوله ويجد تعبا بشدة مثل ما سيحصل للأخت، وتشفى بعده، فجرى ذلك، ويصل هذا الدواء لأغلب البلدان، ولمن عاداه سحقًا سحقًا، والله أعلم، ودليله من حديث الحوض وأيضا عدد آنية الحوض كعدد النجوم، وقولنا: عشبي لأن النبات تُسمى: كواكب، ومن قولها: رداء، أي دواء لداء. فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى.

المبحث التاسع: مَلَك يقذف في روع مَلِك

ومن الدلالات: دلالة على نور الفراسة والإلهام، فقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ محبًّا لإخوته، وذلك لبراءته منذ طفولته ولصفاء سريرته فعندما ذهبوا به لعله كان يشعر بحدوث أمر من قِبلهم، وذلك من قوله تعالى: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾ [يوسف]، لتخبرنهم بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بك حال إخبارك لهم، ومعرفته لإخوانه عند مجيئهم إلى مصر وهم له منكرون، فإن التقي النقي الخفي ذات الروح الشفافة كالنور يدرك خفايا الأمور الباطنة من الظاهر، وقد تفطن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بما صنعوا، فقال: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف].

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أفرس الناس ثلاثة:

العزيز في يوسف، حيث قال لامرأته: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ [يوسف: ٢١]. وابنة شعيب حين قالت لأبيها في موسى: ﴿ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُ﴾ [القصص:٢٦]. وأبو بكر في عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، حيث استخلفه.

وفي رواية أخرى: وامرأة فرعون حين قالت: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ [القصص: ٩]. [مدارج السالكين (٢/ ٤٥٥)].

وهكذا كان السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ومنهم أبو سليمان الدَّاراني؛ فقد كان يُلقّب بـجاسوس القلوب، وذلك لقوة فراسته. [البداية والنهاية (١٠/ ٣١٨)]. وهكذا في حال الكواكب كونها لا تغشها شائبة فهي واضحة جلية صافية نقية، فمن أراد إخفاء الشيء في النهار فإن ضوء الشمس يُظهره، وكذلك في الدجى فنور القمر يطلع عليه،

وكلما كانت الروح صافية من محارم الله كلما كانت الفراسة والإلهام صائبة دامغة، قال الله تعالى في سورة النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور]، من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل حتى قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور]، ومن لم يرزقه الله هدى من الضلالة وعلمًا بكتابه فما له هدى يهتدي به، ولا كتاب يستنير به، وقد يهيئ الله للمؤمن ملكًا يقذف في روعه ويُلهمه الحق والسداد، وهذا في مضمار السبق بالمكانة الأولى، وهم قليل، فإن الإلهام على مراتب ثلاثة:

الأول: ملهم عن طريق العلم، وهو أن يكون للرؤيا عدة احتمالات فيُلهم المعبر الاحتمال الصحيح عن طريق خبرته، وهذه المرتبة تجعل الإلهام فرع والعلم أصل، فلا يستغني الملهم عن العلم.

والثاني: ملهم عن طريق معرفة حال الرائي، وهذا يُلهم مقاصد الرؤيا من خلال معرفة حال الرائي بأن الصواب لن يكون إلا كذا وكذا، وهذه المرتبة تجعل الإلهام فرع والمعرفة أصل.

والثالث: الإلهام المجرد، وهذا لا ننكره، ولكنه نادر، وصاحبه ليس من مرجعيات التفسير كما تقدم ذكره، وقد يكون المفسر ممسوسًا ونظنه ملهمًا فيغلبنا الشيطان ويضحك علينا، فمن رزقه الله حُسن جمال العينين وحفظه رُزق السداد في التفسير.

المبحث العاشر: رُبّ حيلة أنفع من قبيلة ورُبّ فخ أنجد من أخ

ومنها دالة على الفطنة والذكاء والدهاء، ومنها الحيل المحمودة، وهذا جرى في أحداث قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما أمر فتيانه أن يجعلوا بضاعتهم في رحالهم، وكذلك أمر الصواع، وهذه الأمور أنجد لوقوع الأحداث على الصورة الحسنة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى ﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف]: قالَ شَيْخُنا: مِمّا قَدْ يُظَنُّ أنَّهُ مِن جِنْسِ الحِيَلِ الَّتِي بَيَّنّا تَحْرِيمَها ولَيْسَ مِن جِنْسِها قِصَّةُ يُوسُفَ حِينَ كادَ اللهُ لَهُ فِي أخْذِ أخِيهِ كَما قَصَّ ذَلِكَ تَعالى فِي كِتابِهِ، فَإنَّ فِيهِ ضُرُوبًا مِن الحِيَلِ الحَسَنَةِ:

أحَدُها: قَوْلُهُ لِفِتْيانِهِ: ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف].

الحيلة في الاصطلاح: عرفها ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: ومعناها: نوع مخصوص من التصرف والعمل الذي هو التحول من حال إلى حال هذا مقتضاه في اللغة، ثم غلبت بعرف الاستعمال على ما يكون من الطرق الخفية إلى حصول الغرض، وبحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفطنة، فإن كان المقصود أمرًا حسنًا كانت حيلة حسنة، وإن كان قبيحًا كانت قبيحة، صارت في عرف الفقهاء إذا أطلقت قصد في الحيل التي يستحل بها المحارم، كحيل اليهود، وكل حيلة تضمنت إسقاط حق الله أو الآدمي فهي تندرج فيما يستحل بها المحارم.

وعرفها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي نوع مخصوص من التصرف والعمل الذي

يتحول به فاعله من حال إلى حال، ثم غلب عليها بالعرف استعمالها في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل بها الرجل إلى حصول غرضه بحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفطنة، فهذا أخص من موضوعها في أصل اللغة، وسواء كان المقصود أمرًا جائزًا أو محرمًا، وأخص من هذا استعمالها في التوصل إلى الغرض الممنوع منه شرعا أو عقلا أو عادة.

ومما يُستدل به على فطنته وذكائه سؤاله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

ومكانة الكواكب لهذه الدلالة كما جرى من نبي الله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع قومه قال تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾ [الصافات].

فنظر إبراهيم نظرة في النجوم يدبر مكيدة للتخلص من الخروج من قومه، والحيل غالبًا تُصنع في الليل أو خفية، وفيها تستر، وهذا اشتقاقٌ من إحالة الليل نهارًا، والنهار ليلًا، وذلك لمنفعة العباد قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ [الزمر:٥].

يدخل الليل على النهار، ويدخل النهار على الليل، فإذا جاء أحدهما غاب الآخر، وذَلَّل الشمس، وذَلَّل القمر، وكذلك عند حادثة الكسوف تجدها: هو توسط الأرض بينه وبين الشمس لتغشى حقيقة القمر لكي يحصل الخوف للعباد للعودة إلى خالقها، وقس على ذلك في الخسوف، وكل ذلك بأمر الله تعالى، فافهم ذلك.

وقد صنّف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا اسمه: "الطرق الحكمية في السياسة الشرعية" وهو كتاب ماتع نفيس، وذكر وقفات عدّة عن القاضي إياس بن معاوية، **وقلت**: لو كان القاضي إياسًا عابرًا للرؤيا ربما ذاع صيته فيه، والله أعلم.

وهنا أضع فائدة ذكرها شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله، قال: جائز القول بـ:

أنا. واستدل من قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢ ﴾ [يوسف].

وقد كان نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ فيه من الفطنة والدهاء ما ليس عند غيره، وكذلك عند بعض أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ.



المبحث الحادي عشر: عذبة باطنها كذبة

ومنها: دالة على تُهمة السرقة، وهذا تحت مسمّى الفساد من قِبل من دل عليه الشمس أو الكواكب، وهو براء، وقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ ﴾ [يوسف].

وقد أسرَّ يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أيضًا رؤياه عنهم، وكذلك ما جرى من امرأة العزيز؛ لأنه يُعد فسادًا في حق الصّرح الملكي.

وهذا المعنى من الليل والنهار فهو يختلس منه شيئًا فشيئًا، ولذلك سمي: غلسًا؛ كونه يختلط آخر ظلام الليل مع الفجر، وأيضًا تأمل قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ ﴾ [الفلق].

قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله: والغاسق إذا وقب يدخل في ذلك القمر دخولًا أوليًا، ويدخل في ذلك الليل، والقمر آية من آيات الله، والليل يحصل فيه من الشرور الخفية ما لا يحصل في النهار لما في ذلك من الظُّلمة، فكم من صاحب شر إذا أراد أن يتستر بشره إذا به يفعل شره في الظلام، ويدخل في ذلك من يسرق أموال الناس، ومن يسرق منازل الناس.

قلت: وهذا يُعد من الفساد، ولذلك ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠ ﴾ [الرعد].

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسمع هذا، ويسمع هذا، على حد سواء، ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وعند أهل اللغة: سَرَقٌ. سَرِقَ الشَّيْءُ: خَفِيَ، بَقِيَ مُسْتَتِرًا. ومن وجه آخر كما قيل: إن القمر يستمد نوره من الشمس، وهذا الأمر مخفي في إدراكه، وللمدّعي نقول له: أنّى للقمر أن يُفسد مصلحة العباد إلا بأمر الله وهو لا يُحب الفساد.

ومن سعى بدليل عذب وباطنه عليل اعتل بعلة حسية ومعنوية لا يهتدي إلى دواء له.

واعلم أن السرقة في المنام الأصل فيها دال على الفساد، وذلك من قوله: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يوسف].

ودالة أيضًا على فساد أخلاط البدن خرج عن الاعتدال إن كان مريضًا، فإن برز اللون الأحمر في شيء من السارق أو في أحداث المنام فهو في الدم، وإن كان اللون الأصفر فهو في الصفراء، وإن كان أبيض اللون فهو البلغم، وإن كان أسود اللون فهو السوداء، وإما إن كان دون البدن فالأحمر سفك الدماء، والأصفر أمراض وأسقام ونحو ذلك، والأبيض يعود للمياه، والأسود للدخان.

كما قال لي رجل: هناك امرأة رأت لصًّا دخل من نافذة المطبخ، وأخذ قطعتين من صدر الكنافة. **قلت**: ماذا كان لون لباس اللص، فسألها؟ **فقالت**: أسود. **قلت له**: عليها أن تتفقد أنابيب غاز المطبخ. **فقال**: قد جرى قبل قليل حيث انفجرت أنابيب الغاز، وسلّمها الله سبحانه تعالى.

وآخر يقول: رأيت سارقًا لا أعرفه سرق عليَّ الجنبية. **قلت**: تشكو من معدتك

ومهموم بسبب شِدَّة وحاجة في جاهك أو مالك. **فقال**: صحيح. **قلت**: عليك بالاستفراغ، وسيفرج الله همك. ودليله: أن موضع الجنبية في وسط الجسد.

وقالت امرأة: رأيت أن سارقا سرق ذهبي. **قلت**: حصل لك نكد مع زوجك، وذلك بسبب حسد، فكان كذلك.

وللسرقة أحكام أخرى ليس هنا بسطها.





المبحث الثاني عشر: حُجب القمر بالسّحب

ومن الإشارات: دالة على التستر أو الغطاء لأجل السِّتر، أو المصلحة، فتجري فوائد وأرزاق ومنافع من حيث لا يدركون ممن ذلك، فهو متستر عنهم، أو خُفي عنهم مصدر معيشتهم، والمسك كيف خبأته وقد ظهر عليك وبان.

فإن مغيب الشمس واختفاء القمر إنما لنفع الخليقة كلها، وهذا من تدبير الملك العزيز على عباده منهم الصالح والفاجر، وعند أهل اللغة: حين توارَتْ بالحِجابِ. الحِجابُ ههنا: الأُفُقُ؛ يريد: حين غابَتِ الشمسُ في الأُفُق واسْتَتَرَتْ به، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص].

وقال الشاعر:

تَرَاءَتْ لنا كالشَّمْسِ تحْتَ غَمامةٍ ... بدَا حاجِبٌ منها وضَنَّتْ بِحاجِبِ

وحَواجِبُ الشمس: نَواحِيها.

وقال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حاجِبُ الشمس: قَرْنُها، وهو ناحِيةٌ من قُرْصِها حِينَ تَبْدَأُ في الطُّلُوعِ، يقال: بَدا حاجِبُ الشمسِ والقمرِ.

وقول الشاعر:

إِذا ما غَضِبْنا غَضْبةً مُضَرِيَّةً ... هَتكْنا حِجابَ الشمسِ أَو مَطَرَتْ دَما

وهكذا جرى من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع إخوته من أمر البضاعة المتقدم ذكرها، وقد مكروا به في الصغر، وما صدر منه من التستر إلا لأجل مصلحة لأمر حسن، وكما في الدعاء: «**وامكر لي ولا تمكر عليَّ**»، والمكر: احتيال في خفية، وهنا لأجل المصلحة وجلب منفعة، أو لدرء مفسدة، وقيل أيضًا: أن يوسف

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يتقنع لكيلا يَفتتن الناسُ بحسنه، وقد يُبتلى المرء ببدنه ويتغيّر خلقه بسبب نظرة، والحاكم قد يحكم الرعية وهو خفي عنهم، ويزعمون أنه مقتول، وهم لا يشعرون كما جرى في بلد من البلدان، والله أعلم.

فائدة مليحة:

ربما يجري من الرائي تستر اسمه، وكل من له صلة به على من دل عليه الشمس أو الكواكب، وقد جرى ذلك من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على إخوانه، وكذلك من نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ تجاه قريش عندما سُئل: من أنتم؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ: «**نحن من ماء**» ثم انصرف.

وجعل الشيخ يقول: نحن من ماء!! من ماء العراق، أو ماء كذا، أو ماء كذا. [رواه ابن هشام في السيرة (١/ ٦١٦)].

وهنا كانت المصلحة للدين الإسلامي، وفرق مما قام به يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك إنما لمصلحة خاصة بأقاربه.



المبحث الثالث عشر: معدن نفيس وإن اصفرَّ أو ازمَهَرَّ

ومن العلامات: دالة على سلامة القلب من الفتن، وعلى رجاحة العقل، فيتجرد من الدنيا وزينتها مع إقبالها إليه، وذلك من قوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

ولا يقبل زينتها وبهجتها، وهذا دال على ثباته وأصالة معدنه، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف].

فرفض ذلك وهو شابٌ يافعٌ جميلٌ، وبعيد عن أنس أهله، وهي ذات حسن وجمال ومنصب ومال، فلم تقدر الشمس على زمهرة واصفرار المعدن النفيس، وإن دُفن فلا تُغيّره أغبرة ما حوله، فالعفة رفعة، والمحنة بعدها منحة، وأيُّ منحة ورفعة وإجلال نالها يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا أيضًا من زهده، وقد ذكر بعض أهل التفسير أنه كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجوع في سنين القحط لكي يشعر بالفقير، وهذا من كمال المروءة إذ تمتنع عن الشيء المباح لك مع القدرة عليه لكون جارك مضطرًّا إليه لعدم القدرة.

والمتأمل إلى الكواكب وعلوها ورفعتها فإنها صفة للسلامة من الآفات الرديئة، والصعود إليها سلامة وأمان، وهكذا في الاعتبار، وكما هي هداية للعباد فهي لسلامتك فيما سُخرت له على الخليقة وذلك لحفظ مصالحهم وهذا بأمر من الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا تأملت في نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لوجدته من أخير المعادن أبًا وجدًا حتى آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقد عُرضت عليه الدنيا ما لم يُعرض لنبي قط قبله، ولكنّه اختار الرفيق الأعلى، وهذا من كمال تواضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفي زماننا تجدهم من صفوة الصفوة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**».[رواه مسلم، برقم: (٢٦٣٨)].



المبحث الرابع عشر: الناس على دين ملوكهم

عليك أن تدرك أحوال الناس، فهذا أصل ينبغي عليك أن تفهمه وتقوم به أثناء سيرك في طلب العلم، وقد تقدم ذكر ذلك في أول آيات السورة، فكما أن الله خلق هذه الكواكب وسخرها لنفع المخلوقات فجعل النهار له أعمالًا يقوم به الخلق حسب طبائعهم، وجعل الليل له أعمالًا دون ذلك، ومن خالف ذلك جرى له معضلات عدة، وبما أن الشمس والقمر كانتا دلالة على الملوك كان أثرهم ملموسًا على رعيتهم، ولما كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ طبيبًا ماهرًا، وكذلك بالحسابات (التواريخ) صار هذا مطبوعًا في أهل مصر إلى يومنا هذا، فمصر في الطب يتوافدون إليها المرضى من بلدان بعيدة في زماننا، وأما الحسابات فإنك تجد أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة في أرض الحجاز أو اليمن وغيرها يستجلبون عمالة مصرية في إدارة أموالهم، فإنهم يظهرون الدرهم الخفي وإن كان في جحر ضب، وهنا دال على ما ذكرنا من حال الناس في كل بلد، فانظر إلى يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كيف عبّر للسجينين على ما يليق به حالهم، وأيضًا إلى رؤيا الملك، وعندما كان حال أهل كنعان مختلف على حال أهل مصر عرفهم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولم يعرفوه؛ لتغير هيئته، وذلك من قوله: ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨﴾ [يوسف].

وكما جرى من تعبير ابن سيرين للرجلين مع أنها رؤيا واحدة في رموزها، وقد كان من الحرص النبوي الشريف للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ العمل بهذا الأمر؛ ودليل ذلك مما وصى به نبينا محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عندما وجَّهَهُ إلى

اليمن، فقال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**...» الحديث. [رواه مسلم، برقم: (١٩)].

ولهذا كان من حكمة الله تعالى على نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قبل أن يبعثه أن يسلك طريق التجارة برفقة عمه، ثم التجارة لخديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وهذا فيه حِكَمٌ جليلة؛ فمنها معرفة معادن الناس وأحوالهم والخبرة لأمور شتى ونحو ذلك، وهذا أمر جهله كثيرٌ من طلبة العلم في زماننا، فتجده في العقيدة حسنًا، وهذا أمر لا ننتقده، ولكن تجده في الأخلاق سيئًا، وإذا نزلت عليه نازلة مما حوله أو فيما يتعلّق بالدعوة من جاهل ونحوه تجده يتخبَّط، بل ويزيد الطين بِلَّة، وهذا ملموس، وقد جرى لبعض الإخوة ذلك، وحينها يستنجد بشيخ قبلي، أو ممن له خبرة في حل هذه المعضلات.

ولما كان بعض الأكابر من طُرقهم استقطاب الناس بالسحر كما في زماننا فقد تفشى السحر في البلدة، وحلّت التفرقة بين الولد وأبيه وإخوانه وأخواته، وإلى الله المشتكى، والله المستعان.



المبحث الخامس عشر: التدبير نصف المعيشة

ومنها دالة على الحكمة، ومنها التدبّر، فينبغي لطالب العلم أن يفهم العلوم الشرعية لكي يحكم بعد تدبر وتأمل في الكتاب والسنة عن علم وبصيرة، وارتباط الكواكب بحسن الاستنباط، ورجاحة القلب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران]، فمن عظمة خلق السماء ومنها الكواكب تدعو للتفكير في آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيحصل نماء للقلب وجمال الفكر، وهذا خير كثير لمن رزقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك، وكذلك كما جرى مع نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقد كان يدعو ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اللهم يا معّلم آدم وإبراهيم علمني، فإنَّ طلب إجابة المسألة من العالم يعتبر طلب فهم العلم، كما فعل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع أبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولهذا تجد هاتين الصفتين ذُكرتا مرات عدة في سورة يوسف، فعند نُصح يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليوسف عقِب قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦﴾ [يوسف]، وصفة المخلوق ليس كصفة الخالق، وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف:٢٢] أعطيناه فهمًا وعلمًا، ولذا على طالب العلم أن يحكم بإتقان وتفصيل لا سيما العابر، ولا يمر مرور الكرام، وانظر إلى تعبير يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرؤيا الملك، فقد رسم لها أهدافها وأدارها بحكمة وتدبر وإتقان، وكما سيأتي بيانه أنه قيل: إن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان أيضًا مهندسًا معماريًا، وانظر إلى من سلف كيوسف هذه الأمة: ابن سيرين، والشهاب العابر، وغيرهم، في عبورهم تجد فيه من التفصيل والتبيّين بُعْدَ نظر وتأمل وبصيرة، فهذا الأمر أصل في

غاية الأهمية؛ فإن الله قد يقذف في روع العابر ما لا يتفطن له من دروس مضت وهم نُدر، وكذلك إذا تأملت إلى تصرف يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع إخوانه عند مجيئهم فقد اتخذ تدابير مرسومة للغاية وجرى له مراده.

ولذا تجد في الآية الأخيرة من سورة يوسف وهي قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾ [يوسف].

وإن كانت الآية تحمل معنىً آخر، ومما زاد هذه القصة ملاحة كونها من القصص القرآنية المفصّلة، فأحيانًا تحكي أحداث يوم، وأحيانًا أحداث أيام، وأحيانًا أحداث أشهر، وكذلك سنين، وكأن روحك فيها، وهذا حُسن وجمال في كلام الله تعالى، ومن حكمة الباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنْ فصَّل قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لكي تكن عظة وعبرة لنبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ ولأمته خصوصًا عند بدء دعوتهم، والله أعلم.

وارتباط هذا المعنى من إشارة الكواكب هو تسخير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ للشمس وللقمر بمنظومة متقنة من غير خلل، ولو جرى ذلك لفسدت مصالح ومعايش العباد والحيوان والطيور، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ ﴾ [الرحمن]، الشمس والقمر قَدَّرهما يسيران بحساب متقن؛ وقوله: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ ﴾ [الرعد]، وانظر إذا جرى أمر الكسوف أو الخسوف ما المطلوب من العباد؟ فكيف إذا جرى شيء في سريانها؟ اللهم يا معلّم آدم وإبراهيم ويوسف علمني.

المبحث السادس عشر: كوكب دُرّيٌّ في موكب كواكب

ومن العلامات: دالة على التزيّن في البهاء والجمال.

ولذا فمن رآه في المنام أو رأى نحو رؤياه وهو حسن العينين ربما رُزق الفراسة، وقوة البصيرة، وعلم الرؤيا.

ومن كان يملك حسن الشفتين رُزق ملاحة الكلام، وسحر البيان الحلال، وهذا تستشعر به من كلام يوسف في مواضع عدة لو أمعنت في ذلك كقوله: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾ [يوسف:٢٦]، وقوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] وغيرها، فإنك تجدها ألفاظًا فيها من الصفاء والبراءة والرحمة، ونحو ذلك من عذب الكلام.

ومن يراه وهو حسن الكفين رُزق البركة فيما يصنعه أو يدهش ويتألق فيما يكتبه، وعلى هذا فقس من جمال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بذاته، أو مما جرى له، وهذا كما هو حال الكواكب من جمال لمعانها وتزين السماء بها كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الملك:٥].

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. [رواه البخاري].

قال الشاعر:

كالكوكب الدري أخلص ضوؤه ... حلك الدجى حتى تألق وانجلى

وقيل عن النجم: لَمَعَ، تَأَلَّقَ النَّجْمُ، لَيْلٌ غَابَ بَدْرُهُ وَتَأَلَّقَتْ نُجُومُهُ.

فرؤياه إشارة على الجمال؛ كيف لا وقد أُوتي شطر الجمال.

وقد ذكر الإمام السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره": شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر؛ لأن الشمس والقمر يلحقهما الكسوف والخسوف والكواكب لا يلحق بهم.

وبما أن إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كواكب فدلالة على جمالهم أيضًا، لكن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أجمل منهم، ولا مقارنة، وهنا دلالة على أن الكواكب بينها أمور متشابهة مع بعضها البعض، ولذا تجد في كتابنا هذا دلائل متشابهة، ولكل دلالة لها مزيتها وخاصيتها، ومن الإشارات على إخوة يوسف دليل على أن بشرتهم بيضاء، وذلك من بياض الكواكب، فمن معاني الكوكب من كلام العرب: البياض في سواد العين، فيقال: بياض وبياضة، وكوكب وكوكبة، وسائر الكواكب تُذَكَّر إلا الزُّهرة تؤنث كما ذكر ذلك الأزهري، ويقال لبياض الكوكب في سواد العين إذا ذهب بصره كما جرى ليعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما ذكرناه مزية في الجمال ويزداد جمالًا بالتقوى، ولا يغرنك بياض أعداء الإسلام أو صفرة بشرتهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون:٤]. وإنما لطبائعهم وأمزجتهم الفاسدة الرديئة.

وهنا إشارة إلى أن أم يوسف وهي راحيل كانت ذات حسن وجمال؛ كيف لا والقمر يستمد نوره من الشمس.

وقد ذكر **ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "البداية والنهاية" **قال**: فخطب إليه راحيل، وكانت أحسنهما وأجملهما. [البداية والنهاية (١/ ٤٤٩)].

وكذلك كانت جدته سارة كذلك، فاكتسب جماله الباهر منها أيضًا، ولعله اكتسبه

أيضًا بسبب عِفَّته أو كون البلاء حلَّ به منذ الصغر، والله أعلم.

وقد جاء عند البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله، قد فضل عن الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب. قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف، ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه...**». وقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كوكبًا يتلألأ في موكب كواكب إخوانه، وتجد في الحديث ذكر القمر، وتدل على مزية القمر على سائر الكواكب، ونحن في بحثنا هذا تارةً نتكلم عن القمر إشارة ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتارةً لأبيه، وتارةً لمعانٍ أخرى، وكذلك في الشمس، فتنبّه لذلك.

ومما يَعضُد ما سبق ذكره من قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [يوسف]، فبعض المفسرين قال: إن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خشي عليهم من العين، وذلك لجمالهم، وهنا يُنبّه أولاده من الحسد، وهذه المرّة الثانية، والأولى كانت عند نصحه ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا إن دل فإنما يدل على عظم هذا الداء واستصعاب معالجته إلَّا أن يشاء الله، وأكثر ما ابتلي الناس به في زماننا هو من هذا الباب، نسأل الله السلامة والعافية، ولذلك فإن الرقية بهذه السورة نافعة للمحسود.

وقد زيَّن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فوق جماله بالنبوة والعلم والملك، وبه انتفعت وتزينت مصر وأهلها.

ولقد اجتمع في نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ الجمال كله، قال الله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب]، فجمع له الوصفين ليكتمل الجمال

والإجلال وليلتحم الضياء بالنور فيشرق للناس أجمع، وقد وصف الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ وجه نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ بقولهم: **بل كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا**. [رواه مسلم، برقم: (٢٣٤٤) من حديث جابر بن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ].

ومما يُستدل به أن القمر يدل على الجمال قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ: «**أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ**». [رواه البخاري، برقم: (٣٢٤٥)، مسلم، برقم: (٢٨٣٤)].

وهكذا كان أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ كالنجوم، وقد كان أحدهم يعلن إسلامه بمجرد رؤيته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ؛ فقد سُئل عبد الله بن سلام رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن سبب إسلامه فقال: تأملت وجه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ فأيقنت أنه ليس بوجه كذاب. [رواه الترمذي، برقم: (٢٤٨٥)].

والبعض من عمله أو بسبب خُلقه، وقد جاء من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قالت: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**» [رواه أحمد، برقم: (٢٥٣٠٢)]، فلا شك ولا ريب أنه أبلغ إذ أن كلام الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ليس بمخلوق، وأما الكواكب فهي من مخلوقاته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وكان من شدة حرص الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ نيل بركته من بدنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ، فكانوا يسارعون في أخذ شعره ووضوئه حتى النخامة، وهذا دليل على ما وجدوه من جماله وبركته، ولو من أثره صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ، وهذا أبلغ وأجمل وأطيب، فافهم ذلك.

المبحث السابع عشر: زينة كواكب

ومن العلامات: دالة على نيل علوم عدّة كالعقيدة، وعلم الطب، وعلم التعبير، والحديث ونحو ذلك، أو بما دلت عليه الكواكب؛ لأن النجوم كالعلماء، وهي هداية، وكلما توسع طالب العلم في العلوم زاد جماله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾ [الصافات]، وهذا من تعدد الكواكب واختلافها، كاختلاف الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس]، فالتزيّن بالشيء الواحد لا يزيد من ملاحة الزينة الشيء الكثير، وإنما باختلاف متعدد كحال اختلاف النجوم في الليل في لمعانها وأحجامها، وكذلك اختلاف الشمس عن القمر، فيصحب ذلك من ظلمة وضياء وقصر ليله وطول نهاره ونحو ذلك، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علوم عدّة، منها التوحيد، وقد ذكرناه، وكذلك علم الرؤيا، وعلم الحساب، وكذلك الهندسة المعمارية، وهذا مستنبط من تخزين الحنطة، وغير ذلك من العلوم النافعة على العباد، فافهم ذلك.

ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ جاء بكل العلوم النافعة للعباد في دينهم ودنياهم.

ومن هذا المعنى فمن رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نستنبط أن الرؤيا الواحدة أحيانًا تشير إلى دلالات متعددة، وتتكرَّر بمعالم مختلفة، وعبورها لمعنى واحد ونحو ذلك.

وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية الأمر والسعي إليه، وكذلك دالة على الزيادة التي جرت ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، سواء كانت زيادة في أنواع الشدة أو زيادة في

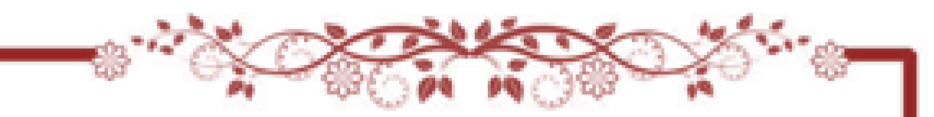
أمور عدّة من الخيرية، فافهم ذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت أني أشرب ماء زمزم، ثم رأيت رؤيا أخرى: أن هناك من أعطاني عطرًا.

قلت: أنت سقيم، وتُشفى بدواء من عطَّار، فكان حاله كذلك.







الباب التاسع:
محجّة بيضاء

المبحث الأول: يُعطى سيفًا أزهريًا.

المبحث الثاني: سحر لا يتحمّله أحد.

المبحث الثالث: قد يخفق أو يفشل لكنه موعود.



المبحث الأول: يُعطى سيفًا أزهريًا

ومنها دالة على النصر، فيُعطى سيفًا له قوته في تأثيره الجلي على أهل الأهواء بالبرهان والدليل القاطع، فقد قطع تأويلهم الباطل، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾ [يوسف]، وهذا من جهلهم وكبريائهم، وقد ألجمهم يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالتأويل الصحيح، وأيضًا في السجن في إنكاره للشرك وأثبت لهم الحُجة الواضحة، وأيضًا من بعد ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ﴾ [غافر: ٣٤]، والبيّنة ما كانت واضحة جليّة كالنجم.

وعلى الاستدلال المبهر، وذلك قوله: ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾ [يوسف].

وصلة الدلالة والاستدلال والإشارة من الكواكب من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾ [الأنعام]، فهي مخلوقات تدل على عظمة خلقها.

وتجد في آخر سورة يوسف قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف]، وهنا دلالة على النصر، وأتت الآية في أواخر السورة وكأنها إشارة إلى أن النصر يأتي بعد ترادف الشدائد والصعاب والمحن، فتفطن لذلك.

ومما يُستدل على هذا المعنى من الكواكب من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ

ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾[الملك]، دلالة على صد ونبذ الأرواح الخبيثة، ومنها الشياطين، فالمصابيح هنا هي النجوم كما ذكر بعض أهل التفسير، فهي ترجم الشياطين عند استراقها للسمع لكي توسوس إلى أعوانها.

فإن قيل: كيف تكون النجوم زينة وهي رجوم لا تبقى؟

قلت: قيل: إن الرجم من أنفس الكواكب، ولا يسقط الكوكب نفسه إنما ينفصل منه شيء يرجم به من غير أن ينقص ضوؤه ولا صورته.

وقس على ذلك تشبيهًا النجوم بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ردع وطرد أهل البدع من قِبل نجوم هذه الأمة حتى قيام الساعة، ولله الحمد والمنة.

واللون الأزهر عند أهل اللغة: هو كل لون أبيض صافٍ مشرقٍ مضيء، وهذا شبيه بالكواكب وهي النجوم، وقد جاء في صفة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نحو هذا.

والقمر: يُقال: قمر أزهر.

والقلم شبيه بالسيف من أوجه عدّة، وكما قيل: قلم القاضي يقتل. وقد قيل: القَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ: مَا يَكْتُبُهُ القَلَمُ فَهُوَ لِسَانُ الْمَرْءِ.



المبحث الثاني: سحر لا يتحمّله أحد

ومن المعاني النفيسة وهي على أوجه عدَّة:

منها: دالة على حُسن البيان، والقلم وملاحة الكلم، فَيُلهم صنعة نفيسة من نُدر النُّدر يقوم بها مما دلت عليه الكواكب من مفاهيم شتى، وقد جاء في الحديث: «إنَّ مِنَ البيَانِ لَسِحْرا» [رواه البخاري، برقم: (٥١٤٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا]، وهذا الحديث قد يُفسَّر على معنيين: إما على سبيل المدح، وهذا الذي نتحدث عنه، ودليله أن من شدَّة جمال ما جاء به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ قالوا: عنه ساحر، وأيضًا يأتي ببيان بليغ يُسحِر الناظر أو القارئ أو المستمع، وهذا شبيه بجمال نور الكواكب، فإنها تستجلب الروح للفكر عند التأمل فيها، فمن رزقه الله شطر الجمال رُزق عذب ذلك من لسانه وقلمه ونحوهما، ومما جرى ليوسف قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾ [يوسف]، وقد ميّز الله بدء قصته بقوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣]، وإما على سبيل الذم فهو ميل القلوب وخروجها عن الاعتدال فيُفسد الروح والبدن.

ولما كان نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ كالشمس والقمر نال من الله جوامع الكلم، وفي طيّات حديثه أسرار ولطائف نفيسة حتى قيام الساعة.

ومنها: دالة على فتن يُبتلى بها، فإن كانت نعمة وبذلها في نفع العباد من عمل يقوم به بيديه أو بكلامه؛ لأنهما العضوان لعمل العُقد، فإنه يقع في النفوس ويدهشها، وذلك من قوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٦﴾ [يوسف]، فعليه بالإحسان، وهو الشكر، وبه يُسحر الطالب منه بسبب خدمته، فيحصل منه

الدعاء بصرف الفتنة عنه، أو يُغتر ويُفتتن ولا يثبت إلَّا من ثبته الله تعالى، ويصدر عليه ثناء حسن من صاحب معدن جيد، أو غِيرة وحسد من صاحب معدن رديء؛ لأن النفوس لا تستوعب مما وهبه الله إلا القليل من أهل العلم، وإن كان بلاء ولعله يُبتلى بمرض مزدوج ظاهره حار وباطنه بارد أو عكس ذلك، فلا يقدر أحد على تحملّه، فإما يموت بعد أمر الله تعالى، أو يجزع ويسخط ويخرجه عن الاستقامة، أو يلهمه الله الصبر، ومن ثم يبرأ ويستخلص من بلائه دررًا نافعة للعباد، وقد يبدأ عليه البلاء ومن ثم ما ذكرته آنفًا، وعلى هذا فقس بما بقي من أوجه أخرى، حسب هذا الفصل.

ومن الذي يتحّمل ويصد فتنة الدنيا، أو كامرأة العزيز مع جمالها ومكانتها ومالها مع إحسانها ولطفها، وأنت في حال ضعف، وقد جعلتك نافعًا لها وولدًا لها حتى بلغت أشدك وملاحتك وهُيئ لك خلو المكان وقولها: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ [يوسف:٢٣] ؟!

وهكذا حال الشمس إن زادت في حرارتها فلن يتحمّلها أحد، بل حتى الرؤية إليها لبضع ثوان فإنها تؤذي البصر، وإذا نقص حرّها فحالنا للمرض والتلف، وقس على ذلك في القمر إن اختفى أو استمر بدرًا، فإنه يحصل نكد على الخليقة كلها، ولهذا كان من نعيم الجنة أن لا شمس ولا قمر فيها، ولما كان الليل والنهار مرجعهما إلى الشمس والقمر كان ديمومة أحدهما نكد، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [القصص:٧١]، فمن يأتي بضياء النهار إلا الله، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [القصص:٧٢]، ومن يأتيكم بليل تسكنون إليه بعد عناء النهار إلا الله تعالى، وتزيّن

الدنيا يعود إلى جمال الكواكب، بتسخير من الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومن الأمور العجيبة مما جاء في الإصابة لابن حجر أن الصحابية سنا السلمية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لما بلغها أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يريد أن يتزوجها فَسُرَّت بذلك، حتى ماتت من الفرح.



المبحث الثالث: قد يخفق أو يفشل لكنه موعود

ومن الدلالات المليحة: دالة على الاضطراب عند السير لبلوغ المرام، ولعل ذلك بسبب من دل عليه الكواكب من المعاني والإشارات المذكورة في هذا الكتاب، ودالة على ظهور العداء لا سيما في أول الأمر مع خفة تأخذ القلب، واضطراب بعض أموره، أو يغيب أو يضعف عند الشدائد لكنه موعود بالوصول إلى القمة والظهور عند دجى الليل، فإن لم نُخفق لن نصل، ولعل تعبير يعقوب ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان من أجل أن لا يحدث ذلك في ولده يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونحو هذه الفائدة فلعل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جرى له شيء من ذلك، إما عند رميه في الجب، أو في السجن، أو عند مواجهة سنوات القحط، والله أعلم.

ولما كانت الرؤيا جزءًا من أجزاء النبوة كان تأويل الأنبياء في الرؤىٰ حقًا بلا شك، وما دونهم يخطئ ويصيب، والناس فيه على درجات متفاوتة، وقد جرى ذلك لأفضل صحابي بعد الأنبياء؛ وهو أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند تعبير رؤيا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال له: «**أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا**» [رواه البخاري، برقم: (٧٠٤٦)، ومسلم، برقم: (٢٢٦٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا]، واختلف أهل العلم في تفسير هذا الجواب.

وصلة الكوكب بهذا المعنى فعند أهل اللغة يقال: سير الليل الخَفْقتان، وهما أَوّله وآخره، وخفَق الشيءُ: غاب، وخفق النجم: مال إلى المغيب، وأَنشد الأَزهري:

وأطعن بالقوم شطر الملوك   حتى إذا خَفَقَ المِجْدَحُ

وخَفقَ النجمُ والقمر، وكذلك الشمس؛ يقال: ورَدْتُ خُفوقَ النجم، أَي: وقت

خُفوق الثُّريا، تجعله ظرفًا وهو مصدر، والخَافِقانِ: أُفُق المشرق والمغرب.

قال ابن السكيت: لأن الليل والنهار يَخفِقان فيهما.

وفي التهذيب: يخفقان بينهما.

قال أَبو الهيثم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخافقان المشرق والمغرب، وذلك أن المغرب يقال له: الخافِقُ، وهو الغائب، فغَلَّبُوا المغرب على المشرق، فقالوا: الخافقان، كما قالوا: الأَبوان.

قال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإِخْفاقُ أن يغزُو فَلا يغنم شيئًا؛ ومنه قول عنترة يصف فرسًا له:

فيُخْفِقُ مرَّةً ويَصِيدُ أُخْرَى ... ويفجع ذا الضَّغائن بالأرنب

ولكن ليعلم وليدرك طالب العلم أنه موعود بخيرية على قدر إخلاصه وهمته وعزيمته، وما يجري من هذا القبيل فأحيانًا يكون من الشيطان، وأحيانًا يكون بسبب رهف الروح. فتفطن لذلك.

وقد جرى لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عند بدء الوحي أن جاءه الملك فرجع يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا-، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ رضي الله عنها وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**». [رواه البخاري، برقم: (٣)، ومسلم، برقم: (١٦٠)].





الباب العاشر:

الزّمن



المبحث الأول: وقت الربيع.

المبحث الثاني: الساعة الحادية عشر.

المبحث الثالث: تحفة زمنية.

المبحث الرابع: شمس أم قمر.

المبحث الخامس: وهل يبدأ الحساب من وقت الرؤيا أو من وقت عبورها؟

المبحث السادس: عالم بالحساب.

المبحث السابع: يتقارب له الزمان تطبيقها....

المبحث الأول: وقت الربيع

نتعلم أن الوقت للرؤيا وللعبور كذلك له تأثير بليغ؛ فالشمس والقمر دلالة لمرجعية الزمان، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت] فهما دلالة على الزمان، وارتباط الزمان مع علم الرؤيا، فإنه جاء في "صحيح البخاري" برقم: (٧٠١٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ**»، فهنا اقتراب الزمان وآخر الزمان، واختلف أهل العلم في معنى اقتراب الزمان على ثلاثة أقوال:

منهم: من ذهب أنه قرب القيامة.

ومنهم: من ذهب أنه زمن التكهل كونه سكن عنده نوازع الشهوة، وصارت تخايل الظنون الفاسدة بعيدة عنه، ولذلك جاء في الحديث: «**وَأَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا**». [رواه الطبراني في الأوسط، برقم: (٣٩٣)].

ومنهم: من ذهب أنه تقارب زمان الليل والنهار، وهما الشمس والقمر وقت استوائهما، وهو أن يكون وقت ساعات الليل والنهار متساويين.

وهذا القول أقوى؛ لأن فصل الربيع تعتدل فيه الأمزجة، وغالب الرؤىٰ فيه سليمة من الاختلاط، وذلك لتساوي ساعات الليل والنهار، وساعات الزمان تقاس من الشمس والقمر.

وكما أن وقت الربيع فيه تساوي لساعات الليل والنهار كانت أحداث قصة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مائة آية، وذلك حتى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ



وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ [يوسف].

وإذا رأيت الآية الواحدة والخمسين كانت أول الفرج له، وما قبلها كانت عناء وشدائد، فصارت خمسين عامًا ما يرمز للشمس والنهار من شدائد، وبعدها خمسون راحة وسكون لما يرمز للقمر مع سكون الليل.

والرؤيا تعتبر إذا كانت سليمة من حديث النفس ومن عبث الشيطان، وليس الحكم في زمن مخصوص فحسب، فنحكم عليها بفسادها أو صلاحها، وهذا من حال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في رؤاه لو تأملت ذلك.

وأما وقت تعبير الرؤيا فالذي ينبغي أن يعبر فيه الرؤيا هو عند الانصراف من صلاة الغداة، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، "في مسند الإمام أحمد"، وهذا الزمان فيه حِكم عدة:

منها: بعد إثر عبادة جليلة، وهذه العبادة هي الصلاة من ركائزها الأساسية الوقت وبدونه غير مقبولة، ومعلوم أن الوقت يُعلم من الشمس والقمر، وهو النهار والليل، وصفاء ذهن العابر أقوى قبل كد ونصب النهار، وكونها مهيأة بعد راحة الروح والبدن بعد أخذه قسطًا من النوم والقيام بتلك الفريضة.

ومنها: أن الرائي يستدرك الرؤيا من قبل أن يحصل النسيان خصوصًا أصحاب الأمزجة الصفراوية والسوداوية.

ومنها: أن النفس جبلت على حب شروق الشمس بعد ذهاب ظلمة الليل، فيحصل انشراح وراحة عند العابر وغير ذلك من الحكم، فافهم ذلك.

المبحث الثاني: الساعة الحادية عشر

اعلم أن الحكم على الوقت ليس محصورًا في رؤيا الكواكب على ما تقدم ذكره؛ بل الحكم جارٍ على كل إشارة لها صلة بها، وَوُجِدَت لأجل ذلك الشيء، فكل صِنعة تُعتبر لما صُنعت له، فالساعة دالة على الوقت مما جاء عنها في القرآن الكريم والسنة النبوية، سواء بما يتعلق في يوم القيامة أو بما يتعلق بأمور أخرى، كما جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في "الصحيحين"، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً**». الحديث، وحديثنا هنا عن ساعة الوقت العددية في المنام، وقد بحثت وبحثت عن هذه الإشارة في كتب التعبير فيمن سبق ومن العلماء المعاصرين فلم أجد إلا عبورًا على وجه العموم، ولم أر منهم من وضع لها تأويلًا زمنيًا يتعلق بحال الرؤيا، ففتح الله عليَّ بهذه القاعدة، وكان ينقصني الدليل، فمضى عام وأنا أبحث عن استنباط من دليل والحمد لله أن تيسر لي ذلك، فكما أن الليل والنهار لهما بداية ونهاية وقس على ذلك في الوقت لهما، ومعلوم أن النهار اثنا عشرة ساعة، وكذلك الليل، وقد يزيد وينقص باختلاف الفصول، فالحُكم على الساعة العددية في المنام له بداية ونهاية، ونُدرك ذلك من حال الرؤيا، وحال الرائي، ووقت الرؤيا، وإلا لن تصل للتأويل الدقيق، ومن ثم احكم على أصول التأويل، وهنا نستنبط من رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الحدث إذا صاحبه قرينة زمنية أو ساعة عددية في المنام دل على ما ذكرنا، وهو الحدث منذ نشأته وحتى منتهاه، وأحيانًا يكن منه ما مضى،

وما بقي منه، أو يكون منذ بداية الحدث ونحوه لوقت ماضي أو لحاضر، أو لوقت آت، وهذا مستنبط من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من حال الشمس والقمر، وزمن الحال حتى زمن المآل، ومما يَعضُد هذه القاعدة بمفهوم مغاير يوافق تأويل الساعة العددية في المنام مما جاء عند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونُ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ أَوِ الْخُوصَةِ**»، وقد اختلف العلماء في معنى تقارب الزمان على أقوال عدة وأقواها: أن المراد به التقارب الحسي أو التقارب المعنوي.

أما التقارب المعنوي: فمعناه ذهاب البركة من الوقت، وهذا قد وقع منذ عصر بعيد، وغير ذلك من المفاهيم على ما ذكره أهل العلم للتقارب المعنوي.

وأما التقارب الحسي: فمعناه أن يقصر اليوم قصرًا حسيًا، فتمر ساعات الليل والنهار مرورًا سريعًا، ونحو ذلك مما ذكره أهل العلم.

والشاهد من هذا الحديث وهو الذي نريد أن نصل إليه هو استنباط دلالة لتأويل الساعة العددية في المنام، من معنى الحديث، فدل على أن الساعة أحيانًا تدل على السَّنَة، وذلك بأن السَّنَة تبدأ وتنتهي باثنا عشر شهرًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة:٣٦]، ومعلوم أن النهار اثنا عشر ساعة، ومثلها الليل فهنا توافق العدد فكان دلالة على ما سبق، وربما نصفها دالة على ستة أشهر، والرُبْع منها دالة على ثلاثة أشهر، وقس ذلك على الدقيقة فاعتبرها أحيانًا بالشهر، والثانية ربما دلت على اليوم، أو الشهر، ونحو ذلك، وهذا قياسٌ على مفهوم الساعة في

زماننا وكما قيل:

دَقَّــاتُ قلــبِ المــرءِ قائلــةٌ لــه إن الحيـــاة دقـــائق وثـــواني

وتدل الساعة أيضًا على الشهر، وهذا مستنبط من الحديث كذلك، وربما دل العدد المركب للدقيقة على السنة، ولكي تعرف لأجل ماذا أتى هذا التحديد من الوقت في الرؤيا فانظر إلى حال الرؤيا وحال الرائي ووقت الرؤيا وستدرك حينها الأمر منذ بدأ، أو كم بقي له، و زد من الدلالات الأخرى للمعدود.

ومدلول آخر من الحديث أيضًا يُفهم أن الشهر دال على السنة، وليس على الإطلاق، وربما اليوم دال على الشهر، وربما دل على سبعة أيام، أو دال على ذلك اليوم المحدود في المنام، وربما دلت الساعة على أجل من دلت عليه، وغير ذلك من الأحكام، وهذه دلالات زمنية مستنبطة من الأحاديث خارجة عن موضوع الساعة العددية.

فاعتبر العدد من حال الرائي وحال الرؤيا ووقتها.

كما قال لي إنسان: رأيت فلانًا يقول لي: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾ [هود]، وكانت الساعة السابعة والنصف.

قلت له: بينك وبين فلان أمر قد ضقتما منه، وهذا الأمر إن مضى له سبع سنين، يبدأ الفرج بعد ستة أشهر، ويكن في شهر رجب.

وقالت امرأة: رأيت فلانا اتصل عليَّ وكانت الساعة الثامنة.

قلت: سيصل فلان إليك عند تمام السنة الثامنة منذ سمعتم عنه، ودالة على الزواج، فكان كذلك، فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى.

وعلى هذا فقس واستنبط أحكام وطُرق مختلفة لم نذكرها هنا خشية الإطالة،

وتدل الساعة إن لم يصاحبها عدد بالزواج، أو خبر، أو إنجاز وعد، وتدل على نكد وذلك من القرائن الدالة على ذلك، وكلما كانت الساعة أقرب إلى الفجر أو من ساعات الضُّحى أو أول النهار أو ساعات القيلولة؛ كانت حسنة، وقس على ذلك في مجيء الرؤيا في ساعات اليقظة لهذه الأزمنة، والله أعلم.

كما قال لي أحد الإخوة: رأيت أن الشيخ أبي عمرو الحجوري اتصل عليَّ، وسألني عن أخبار الدعوة، وكان مدة الاتصال عشر دقائق، وسبع وعشرين ثانية.

قلت: سيزوركم الشيخ أبو عمرو الحجوري بعد عشرة أشهر وسبع وعشرين يومًا، ومجيئه في أول النهار، فاحفظ عندك الرؤيا وتعبيري حتى ذلك الحين، فجرى ذلك كما ذكرنا.

واعتبر القَرْنَ بالسنة، أو عشر سنين من حيث الزمن، وذلك اشتقاقـًا، أو من محو الأصفار حسب الهيئة المعاصرة لمثل هذا العدد المُركب، وهذا جائز.

كما قال لي مسجون في غير بلده: رأيت ذا القرنين أنه من اليمن.

قلت: لعل خروجك يكون بعد عامين، ويكون ذلك في شهر يبدأ بـذو، وتعود إلى موطنك وهو اليمن، فجرى ذلك، ودليله أن القرن دلالة لمدة من الزمن توافقت مع دلالة زمنية أخرى، ودالة على أن ذو القرنين من اليمن وهو أول التابعة، وكان كذلك كما ذكره ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "البداية والنهاية" عن السهيلي، والله أعلم.

وهذا الباب فيه سعة لا ينقطع من استنباط فوائد وغرائب وعجائب، ويتطلب منك إلى تدقيق وإمعان، وسيأتي البسط على ما تقدم ذكره من دروس العدد في رؤيا الملك إن شاء الله تعالى، أو نجعلها في كتاب يتعلق بالعدد والحساب إن شاء الله تعالى.

فائدة: لعل السبب عند أئمة التعبير القدامى في عدم شرح هذا الحديث على مفهوم علم التأويل أنه لم تكن تأتي رؤى في عصرهم وفيها ساعة عددية، وذلك للبركة الحاصلة في زمنهم، وكانت العرب تقدر الأوقات بالأعمال؛ كقولهم: قدر حلب شاة، وقدر نحر جزور؛ قيل لزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية. ولعل سبب كثرة مثل هذه الرؤىٰ في زماننا إشارة لاقتراب الساعة، وأيضًا مما نشعر به من عدم البركة مما ذكره أهل العلم في تعليقهم على الحديث، والله أعلم.



المبحث الثالث: تحفة زمنية

وكما ذكرنا آنفًا أن الساعة دالة على السَّنة فاعتبر لمن رأى باقي الكواكب على زمن مروره على كوكب الأرض فاعتبر الساعة بالسَّنة، فكما قيل: إن اليوم لكوكب المشتري تسع ساعات، فدال لمن رآه على تسع سنين لما دلت عليه الرؤيا، ولمن رأى كوكب زحل دال على عشر سنين؛ لأن اليوم فيه عشر ساعات، وقس على ذلك باقي الكواكب، وربما من رأى القمر دال على شهر أو اثني عشر سنة، وذلك من الاثني عشر ساعة كونها عدد ساعات الليل، وهذا يوافق للمدة الزمنية لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ منذ هاجر من مكة حتى قُبض أجله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وذلك لكونه قمر، والله أعلم.



المبحث الرابع: شمس أم قمر

إذا دلّت قرائن الرؤيا على توقيت للحدث فاحسب على السنة القمرية، ولما كان بنو إسرائيل هم الأولون اعتمدوا توقيت الأحداث على السنة الشمسية، وذلك من ميلاد عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك من قبل ولادته، وفي رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدأ ذكر الشمس وختم بالقمر، وهنا الأفضلية والمنقبة لنبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولأمته، ويعتمد في الحساب على هلال الشهر، وهي السنة القمرية، وبدأ تقييد العدد السنوي من هجرته صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كما في "الصحيح" عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا**». فلم يقل إنا لا نقرأ كتابًا ولا نحفظ، بل قال: لا نكتب ولا نحسب فديننا لا يحتاج أن يكتب ويحسب كما عليه أهل الكتاب من أنهم يعلمون مواقيت صومهم وفطرهم بكتاب وحساب، ودينهم ... اهـ

وفي تأويل الرؤيا إلّا إذا كان شهود الرؤيا واضحة وخصصت بتوقيت شمسي، أو حسب حال الناس اليوم فقد صار في الغالب على أشهر السنة الشمسية فهذا قد يجري حسب الحال، وقد تأتى على هذه الصورة وتحتاج إلى تأمل لتجد فيها ما يشير إلى التوقيت على السنة القمرية، كما في رؤيا الملك، فالسنة هي حسب السنة القمرية، ودليله أن نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عندما دعا على قريش بسبع كسبع يوسف فإنها باعتبارها على القمرية في زمن نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ولعل في زمن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان كذلك لتوافق الدعاء، وأيضًا أن منها أربعة حُرُم منذ خلق

السماوات والأرض، والله أعلم.

تحفة ربيعية:

جاء في الحديث من قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**.» [رواه البخاري، برقم: (٣٣٥)].

فإن سأل سائل: ما هو المغزى من تحديده لشهر؟

قلت: قد علّق بعض الفقهاء على الحكمة من ذلك، وإضافةً إلى أقوالهم وننفرد بهذه الدلالة: كون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ شُبِّه بالقمر ومعلوم أن عُمر القمر منذ هلاله حتى انقضائه هو شهر، وهذا يوافق تحديد ذلك، والله أعلم، ونسأل الله الإخلاص والسداد.

فائدة: إذا نظرنا من باب القياس باعتبار الشمس للأم، والقمر للأب، فإن الرجل يرجع اسمه لأبيه وهو القمر، فيقال: يوسف بن يعقوب، ولم يُطلق يوسف بن راحيل، فكما أن المرجعية في ذكر النسب فالأصل قياس الوقت حسب السنة القمرية إلّا إذا وُجد شرطٌ في الرؤيا فلا بأس، والله أعلم.



المبحث الخامس: وهل يبدأ الحساب من وقت الرؤيا أو من وقت عبورها؟

تحدثنا في دروس ماضية أن المدار لتأويل الرؤيا على أصول ثلاثة، والإجابة على هذه المسألة نضعها على ذلك المدار، وتأملت في بعض الرؤى فإنه يبدأ من زمن الرؤيا، وهذا في الغالب، وذلك مما جرى من تأويل يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لرؤيا السجينين، وكذلك لرؤيا الملك، ومنها يبدأ من زمن التأويل لا سيما إن أخطأ العابر الأول، أو بسبب آخر لحكمة من الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومنها يكن بعض الوقت قد مضى منه قبل أن تأتي الرؤيا، وأما الرؤىٰ المرتبط وقوعها بشرط فإنها تقع بعد القيام بما يتوجب عليه كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عندما سُحِر، فأتته الرؤيا وقام وسارع في العمل بما دلت عليه رؤياه، وسيأتي البسط أكثر في رؤيا الملك. والله أعلم.

وأمّا الرؤيا الدالة على مصيبة ففي الغالب تقع عُبِّرت أو لم تُعبَّر، وقال بعض أهل العلم: إنها تقع خلال يوم أو يومين، كما ذكر ذلك الإمام ابن الوردي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فإن قلت: وأين تذهبون من حديث الرؤيا على رِجْل طائر؟

قلت: سيأتي الجواب في موضع آخر، وأمّا إن كانت كذلك ومع هذا الحديث إن صحَّ فإنه لا إشكال، فقد يقع سقوط الشيء من قدم الطائر بما بقي من زمن لها عند العبور إن كان بحكم تأخر تأويلها، أو قد يسقط الشيء من قدم الطائر بسبب حمله، ولا بد للطائر أن يضع قدمه يومًا ما، فتكون تلك المدة منذ حملها حتى وقوعه هي مدة الوقت، وعلينا أن نفهم أن مقادير الله ليست مرتهنة بالعابر، وإنما جعله الله مفسرًا لما تحمل في طياتها، أو بما عليه ونحو ذلك، والله أعلم.

وأحيانًا يُستنبط التوقيت من بعض الرؤىٰ الغير محددة بعدد؛ وذلك من قرائن يفهمها العابر، فافهم ذلك.

كما قالت لي امرأة: رأيت سَلْسًا على صدري.

قلت: بشارة تسمعيها وتثلج صدرك، وهي عودة ولدها بعد غيابه وبعد ثلاث جرى ذلك.

ودليله: **س**: يوم، **ل**: يوم، **س**: يوم. والسلس في اللّهجة الدّارجة هي القلادة.

وأخرى تقول: رأيت أني أقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر]؟

قلت: بشارة تُبشرون بها، وفرج بعد واحد وخمسين يومًا، فجرى ذلك.

ودليله من عدد الآية، ومعنى الآية، فافهم ذلك.



المبحث السادس: عالم بالحساب

ومنها دالة على إتقان وحذاقة في الحساب، ودليله طلبه لولاية خزائن مصر، وهذا يحتاج إلى معرفة ودقة في الحساب، ويَعضُد هذا قوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف]، أي ذو علم وبصيرة.

قال الشيخ عبد الرحمن حبنّكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عليم: أي كثير العلم المؤهل للقيام بهذا المنصب الخطير.

ومما يَعضُد ذلك أن نبيًا من الأنبياء لن يطلب هذه المهمة إلا وهو جدير بها، وأيضًا ثقة الملك به مع أنه كان عبدًا وسجينًا ومن غير بلدته إلَّا أنه تفرَّس به، ولعل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أثبت له خطة العمل حتى أدهش الملك، والله أعلم.

والأمور الدنيوية تعتبر اجتهادًا منهم، وتكون صائبة كما في حديث موسى بن طلحة، عن أبيه: قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «**مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟**» فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ: «**مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا**» قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللهِ شَيْئًا، فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ سبحانه وتعالى**». [رواه مسلم، برقم: (٢٣٦١)]، ولعل من هذا الحديث يُفهم منه أن بعض الأمور الدنيوية هي وحي خصوصًا إذا كانت فيها مصلحة، ولعل ذم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ في بادئ الأمر إشارة أن هناك طريقة أخرى للتلقيح كالرياح، أو أمور أخرى لم يدركوها كالذي كان



يشكو من الواهنة فكانت لها أدوية أخرى، ولم يتكلم بها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لذلك المريض في ذلك الموضع، وإنما كان علاجه التوحيد، والله أعلم.

ودلالة الكواكب على هذا الباب من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس:٥]، وقوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ [الرحمن]، يسيران بحساب متقن؛ ليعلم الناس عدد السنين والحساب، فهنا دالة على الحسبة والحساب ونحوه، كما عند أهل اللغة.

ومما حُكي عن العرب: على الله حُسْبان فلان وحِسبته، أي: حسابه.

والمتأمل في أحاديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تجدها تُحَدِّث عن كل الأحداث التي جرت من بعده، وحتى يومنا، وحتى قيام الساعة، فافهم ذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت في الفلك أخطبوطا أخضر اللون قادم إلى الأرض.

قلت: يحصل تخبُّط وفساد في الأجواء، وأحداث في الكواكب والبلدان والأكابر، ومنذر بجوائح قادمة على الزراعات وفيضانات، وكذلك أوبئة، وسرعة في الزمن، وذلك بسبب ذنوب العباد.

ودليله: أن حيوان الأخطبوط يعيش في المياه، وليس في الأجواء، واللون الأخضر يعود للزراعات ونحوها، واشتقاقًا منه تخبط وطب ومطبوب، فجرى شيء مما ذكرت، وجرى قدوم ما أطلق عليه بالمذنب الأخضر، وزعم اليهود أنه جرى مثله قبل خمسين ألف سنة، وقولهم هذا كذب، والمراد منه أنهم أعلم أهل الأرض، ودالة على سقوط جزئيات من النجوم وهي ما يسمى بالنيازك، والله أعلم بما هو آت.

المبحث السابع: يتقارب له الزمان تطبيقها...

ومنها: دالة على الوفاق والتسديد، كما في التواريخ، ويدخل في الحساب، ومنه التميّز في تأويل الرؤىٰ العددية، فالحساب هنا أعمّ من ذلك، كما **قال الزمخشري:** وفي ذلك منافع للناس عظيمة، منها علم السنين والحساب ﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾ النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ الذي له ساق. [التفسير (٦/ ٤٦١)].

والتواريخ في معرفة الأحوال وتحديد وقوعها خصوصًا الأحداث المرتبطة بدلالة واضحة إن وُجد ذلك بعد توفيق الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ له، وليس كل الأحاديث، ولا أعني هنا التنجيم، وينفرد صاحبها بقواعد وفوائد للأعداد، وهذا من تقارب الزمان له بعلم، فإنك تجد رؤيا يوسف عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فيها عدد، وفي رؤيا الملك كذلك، وأيضًا استنبط خروج السجينين من رؤاهم الوقوع بعد ثلاث كما ذكر ذلك بعض أهل العلم، فتحديد الوقت في بعض الرؤىٰ له دلالة من رؤياه للشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [الرعد:٢]. فجري الشمس مختص بآخر السنة، وجري القمر مختص بآخر الشهر، قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس]، والآية المتقدم ذكرها، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٦]، وتحديد الأيام والشهور عبر الشمس والقمر فتجده غالبًا يتوافق في تحديد الوقت للأحاديث، ويكشف عن المُبهم بتأييد من الله، ويوفقه لعلمٍ يتناقله جيلًا بعد جيل، كما هو الحاصل من رؤيا يوسف عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وتأويله، وقد كان موفقًا ومسددًا فيما اختص به من تحديد الوقت للرؤى التي في

السورة.

وعند أهل اللغة يقال: مَضى طَبَقٌ من النهار، وطَبَقٌ من الليل، أي: ساعة، وقيل: أي: مُعْظَم منه؛ ومثله: مضى طائفة من الليل. وطَبِقَت النجومُ إذا ظهرت كلها، وفلانٌ يَرْعى طَبَقَ النُّجوم، وقول العباس في النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: إذا مَضى عالَمٌ بَدا طَبَقٌ؛ فإنه أَراد إِذا مضى قَرْن ظَهَر قَرْن آخر، وإنما قيل للقَرْن طَبَقٌ؛ لأَنهم طبَق للأَرض، ثم يَنْقرِضون، ويأْتي طَبَق للأَرض آخر، وكذلك طَبَقات الناس كل طَبَقة طَبَقت زمانها. والطَّبَقة: الحال، يقال: كان فلان من الدنيا على طَبَقات شَتَّى، أي حالات. قال ابن الأَعرابي: الطَّبَقُ الحال على اختلافها. والطَّبَقُ والطَّبَقة: الحال.

وهنا وقفة مليحة لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بعد أن ذكر مراتب الأقلام قال:

القلم العاشر: قلم تواريخ العالم ووقائعه، وهو القلم الذي تضبط به الحوادث، وتنقل من أمة إلى أمة، ومن قرن إلى قرن، فيحصر ما مضى من العالم وحوادثه في الخيال وينقشه في النفس حتى كأن السامع يرى ذلك ويشهده، فهو قلم المعاد الروحاني، وهذا القلم قلم العجائب، فإنه يعيد لك العالم في صورة الخيال، فتراه بقلبك وتشاهده ببصيرتك. [التبيان في أقسام القرآن(١/ ٣٠٩)].

قلت: كلامه يؤيد لمن ذهب بتفسير الآية: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:٦] دالة على أحاديث الأنبياء والأمم والكتاب.

وإذا أَلْهَم الله طالب العلم ذلك فإنه يؤيد بهذا القلم، وهذا مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما ذكره ابن القيم يحتاج إلى تأمل عميق من صاحب روح شفافة تقية نقية، فإنه من رُزق نحو رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو الكواكب فهي جليلة نفيسة.

الباب الحادي عشر:
تُحف



المبحث الأول: ...وتطبيعها.

المبحث الثاني: قميص الدواء وقديسية يوسف.

المبحث الثالث: البَراء والبَرأة والبراءة.

المبحث الرابع: ربيعية نفيسة.

المبحث الخامس: مليحة.

المبحث السادس: صواحب يوسف.

المبحث السابع: انشقاق القمر.

المبحث الثامن: الإعراب والعبور.

المبحث التاسع: تُحفة فريدة.

المبحث العاشر: التأويل بالمعتقد.

المبحث الحادي عشر: السجود في المنام لهذه الأمة.

المبحث الثاني عشر: البدر.

المبحث الثالث عشر: لا تقسُ في رؤياي.

المبحث الرابع عشر: احذر غِيرة مفسّر وحسد عالم.

المبحث الخامس عشر: نصيحة في الصبيحة.

المبحث السادس عشر: لا يُغني حذر من قدر.

المبحث السابع عشر: هل رؤيا يوسف عُبرت أم لم تُعبَّر؟

الجزء الأول: الصفوة والعلم.

الجزء الثاني: التعبير والتحقيق.

الجزء الثالث: اختلاف الليل والنهار.

الجزء الرابع: التبيّين.

الجزء الخامس: الأسباب.

المبحث الثامن عشر: تُحفة نفيسة.

المبحث التاسع عشر: الرؤيا مرآة صاحبها.

المبحث العشرون: الثّريا.

المبحث الحادي والعشرين: هداية من رب الكواكب.



المبحث الأول: .. وتطبيعها

ومنها دالة على علم الطبائع، فيدرك ماهيتها وزمنها وغير ذلك، وعلم الطبائع أو الأمزجة قد جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك لأهميته، فإن المخلوقات ومنها الجبال والأودية والنباتات والسموات والكواكب لكلٍّ له طبيعته الخاصة، ومرجعية ذلك:

الحرارة، وهذا مستنبط من الشمس، والبرودة وهذا مستنبط من القمر.

ويشتق منهما اليبوسة والرطوبة.

ويشتركان في اليبوسة، وكذلك في الرطوبة، فهي مفردة، ومنها مركبة، والحديث عنها يطول، وليس هنا بسطه، وانظر إلى بلاغة كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام].

فذكر الرطب واليابس، وهما جامعان لكل المخلوقات العلوية والسفلية، وهذا من عِظَم بلاغة كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتفطن لذلك.

وأزمنة الفصول تدخل في ذلك، وكل فصل له خاصيته بما يلائمه وما يضاده، وما قام به يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من التعامل مع طبيعة الحنطة وطبيعة تخزينها، وما إلى ذلك؛ دليل على أنه كان خبيرًا في ذلك، وعنده علم به، ودليل ذلك من تعبير رؤيا الملك وما أرشدهم إليه، وذلك من قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يوسف]، فإن الحنطة وطبائعها المختلفة حسب أجناسها وتخزينها أربعة عشر عامًا يتطلب لمن يقدم على هذا العمل العظيم

خبرة تفوق المعرفة، وذلك من طبائع المكان الذي يُدَّخر فيه لسنوات وغير ذلك من الأمور.

ومعلوم أن الطبائع بما فيها ماهية المادة هو الأصل، والعجيب كون طريقة التخزين لم يسبق لأحد أن سلكها في زمانه، وكذلك كونه في زمن قادم يتطلب إلى مخاطرة كون العباد مرهونون بهذا الأمر الجديد عليهم، ولا زالت الطريقة اليوسفية متوارثة إلى يومنا هذا، وإذا تأملت إلى رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ففيها كواكب، فهذا يدل على أن الخبرة في هذا الفن له مكانته لكونها كواكب عِدَّة، والله أعلم.

ومما يُستدل به على ارتباط الكواكب بالشجر من قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦﴾ [الرحمن]، هنا إشارة للصلة والانتفاع الحاصل بين النجم والشجر، والكواكب وما على الأرض وذلك بتسخير من الباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وكذلك من معاني الكواكب أنه يدل على النبات، كما ذكر ذلك شهاب الدين، وكذلك قول أبي حنيفة: إنما الكوكب نبات معروف، وهذا كله جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والحديث عن هذه الفائدة يطول بنا المقام هنا، وباختصار فعلم الطبائع هو أصل في غاية الأهمية، وهي الطبيعة للشيء، أو الأمزجة، أو علم الأخلاط وصلاحها وفسادها، فكانت دلالتها على الخبرة الزراعية، قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل].

فالزراعة تحتاج إلى خبرة لمعرفة كل ثمرة متى تُزرع، ومتى يتم حصادها، وغير ذلك مما يتعلق في معرفة طبيعتها وزمنها المتوافق لما ذكرت، وهذا من طبيعتها وتطبعها حسب الليل والنهار.



قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلم النجوم ينقسم إلى قسمين:

الأول: **علم التأثير**، وهو ما يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، فهذا محرم باطل؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ**» [رواه أبو داود، برقم: (٣٩٠٥)، وقال الألباني: صحيح]، وقوله في حديث زيد بن خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**» [رواه مسلم، برقم: (٧١)]، فالأحوال الفلكية لا علاقة لها بالحوادث الأرضية.

والآخر: **علم التسيير**، وهو ما يستدل به على الجهات والأوقات، فهذا جائز، وقد يكون واجبًا أحيانًا، كما قال الفقهاء: إذا دخل وقت الصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم علامات القبلة من النجوم والشمس والقمر...اهـ[القول المفيد (٢/ ٥)].

وذكر بعض أرباب الطب: أن الفاكهة إذا تعرضت لضوء القمر فإنها في النهار يكن ظاهرها حسنًا، وكذلك في مذاقها وغير ذلك مما في كتبهم.

وقد كان نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أعلم الناس بهذا العلم، ومن هذه الأحاديث في "سنن أبي داود" من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: يَأْكُلُ الْبِطِّيخَ بِالرُّطَبِ فَيَقُولُ: «**نَكْسِرُ حَرَّ هَذَا بِبَرْدِ هَذَا، وَبَرْدَ هَذَا بِحَرِّ هَذَا**»[رواه أبو داود، برقم: (٣٨٣٦)، وقال الألباني: حسن]، وكذلك إرشاده لإحدى النساء بتناول عشبة الصَبِر في الليل، وهذا إن دل فإنما يدل على حِذقه وإمامته في هذا العلم، فإنه لا يتوافق حر المدينة وحر النهار والحرارة الغريزية مع حر الصّبِر في آن واحد، فقد تهلكه، فتفطن لذلك.

وقد ذلّل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الكواكب والشجر، وأضف إلى ذلك الحجر

والحيوان، ومن ذلك انشقاق القمر له، وتكلّم الحجر من قبل أن يُبعث عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومما يُستدل به أن اليهود عندهم خبرة في هذا العلم، أنهم رأوا نجمه حين وُلد النبي صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وكذلك مما قام به الساحر لبيد اليهودي بعد معرفة طبائعه، وفي زماننا ما يقومون به من بث الأطعمة المغلَّفة المضرة على الأبدان وذلك من اختلاف في تركيب طبائعها تناقض طبائع البدن، فتخرجه عن الاعتدال، وهذا نحو ما قامت به المرأة اليهودية من دس السم في الشاة لنبينا صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يزال هذا دأبهم ومكرهم، ومن ذلك بث الأوبئة الفتاكة، فتنبّه لذلك.



المبحث الثاني: قميص الدواء وقديسية يوسف

ومن المعاني النفيسة: الدالة على إمامته في الطب، ولا نظير للطب النبوي، وعليك أن تتعلَّمه، ومن يمدح ويثني على الطب اليوناني فقد أبعد النجعة، ومثل هذا لعله لم يطلع أن اليونان أخذوا الطب من بلاد مصر، وإنما صارت مصر إلى ما صارت إليه من الطب في تلك القرون إلَّا مما خَلَّفه الدين الحنيف عن طريق رسله، ومنهم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقد وجدت نحو قولي هذا في كتاب الطب للإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأصل كل خير منذ أبينا آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى قيام الساعة هو من خيرات الدين الحنيف، وهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ومما يُستدل به أعني به في الطب ومرجعيته ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ أن هذه الفائدة منحوتة في أحجار آثارهم الفرعونية، وأراد اليهود تغيير الحقيقة كما هو دأبهم، وأحالوها لرجل يسمى بـ: امحوتيب أو يويا أو يوني، وقد ذكروا من سيرة هذا الرجل أن المرضى كانوا يتوافدون ويزدحمون إليه، ومما زاد الطين بلة فقد ذكروا أنه كان عزيزًا عند الملك، وكان مهندسًا حيث بنى الأهرام أو إحداها، وكان حسابيًا، وما ذكروه إنما يتوافق مع حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأيضًا تجد توافق بين اسمه يويا أو يوتي في الحرفين الأول مع الحرفين الأول ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

وزد إلى ذلك أن نبتة الريحان المعروفة في كل بلد وهو كل نبات طيب الرائحة كما ذُكر في كتبهم أنّها يُطلق عليها بـ (قديسية يوسف)، وإذا تأملت إلى اللفظة: ريحان، مع تسميتهم تجد توافق من ريح يوسف عندما قالها يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو قوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٩٤]، فليس من

المستحيل أن هذا الاسم له صلة منذ ذلك الوقت، واستدلال آخر على صلته بالطب هو عودة النظر لأبيه وذلك من قميصه، ومعلوم أن الثياب في زمانهم كانت تُصنع من الجلود، أو من الشجر، وهذان لهما طبائع، ولهما تأثيرهما، ودالة على براعته، والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تأريخه" (١/ ٤٩٥)-: وهذا من خوارق العادات. اهـ

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الناس كانوا يقولون: إنَّ أصل الطب من المنامات. اهـ

وكأنّه يقصد حال الناس قبل الإسلام، وهذا يَعضُد لطب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وما اشتهر به في تأويله للرؤيا.

والعجيب عندما كنت أكتب هذا البحث أتتنا رؤيا وهي: كأن قيّم مدرسة سهيل يقول: إن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو "يوني" أو "يوتي". انتهت الرؤيا، ولم أكن من قبل قد اطلعت على هذا الاسم، ولم أسمع به، وعندما قمت بالبحث عن هذا الاسم وجدت ما ذكرته آنفًا، ومثل هذه الأمور التي لا تدخل في الأحكام الشرعية كهذه المسألة فإن حصل تعارض بين ما نقلوه وبين رؤيا صادقة مع وجود أدلة من القرآن والسنة تعضدها وتوضح الإبهام، فإنه يستفاد مما ورد في الرؤيا، والله أعلم.

وأمّا حجتهم أن الجسد المحنط في التابوت لا يملك جمالًا كما وصف جمال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ!؟ فهذا من حماقتهم، وتلك ليست جثته، فَجُثَثُ الأنبياء لا تأكلها الأرض، ولا السباع فكيف تم تحنيطها؟!

وأما إشارة الكواكب بهذا الفصل فالآية من قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦ ﴾ [الرحمن]، وأيضًا أمر السجود في هذه الآية وفي رؤياه سجدت له الشمس

والقمر والكواكب وأيضا قول أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما الكواكب نبات معروف. فالدواء غالبًا من النبات، وهذا يُعزز من هذه التُحفة لمن تفطن إليها، والله أعلم.

وقد كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إمام الأطباء في تطبيب القلوب والأبدان، ويكفي من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، وهذه الآية في سورة الأنبياء مما جعلها ميزة تميّز بها عن سائر الأنبياء، ولا يتسع هنا المقام للحديث عن تطبيبه للقلوب والأبدان، بل حتى كان طبيبًا للجذع فصلوات ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين.

كما قال لي شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله: رأيت أني طبيب، وكان عليَّ سمّاعة الطبيب، وأعالج الناس.

قلت: يرتفع ذكرك في تداوي قلوب السائلين في مسائل العلم، وأيضًا تذب عن السنة من مرضى القلوب من أهل الأهواء والبدع.



المبحث الثالث: البَراء والبَرأة والبراءة

ومنها: دالة على صُنعة دواء مفرد أو مركب أو علم نفيس ويُذاع صيته لما فيه من النفع على القلوب والأبدان وذلك على يديه، وهو في حال لا يُعبأ له، ويُعادى من موطنه، ويُثنى ويُشكر عليه من غير بلدته، فيرزقه الله صنعة دواء لأغلب الأدواء المستعصية يتوافق لكل زمان ومكان، فأصل الدواء بالضد كما هو حال الضدية بين الشمس والقمر، وبين الليل والنهار، وما يصنعه مستنبط من الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

والأحاديث الدالة على الأدوية المفردة أو المركبة كثيرة، سواء كانت للقلوب أو للأبدان، فمنها أصول ومنها فصول، علمها من علمها وجهلها من جهلها، وهذه الدلالة من طبائع الشمس والقمر، أو من الليل والنهار، وإذا تأملت إلى الطب النبوي لوجدت أن أدويته للأمراض الحارة أو الباردة أو لليابسة أو الرطبة، سواء في طب الأديان أو الأبدان.

فيوفقه الله على أمر بديع من صنعة نافعة للعباد، وذلك بسبب إخلاصه فيُثنى عليه خيرٌ، ويكون سلامةً على القلوب والأبدان، وقد يظنه الجاهل والحاقد من الشعبذة.

ودلالة هذه الفائدة مستنبط من حال الشمس وحال القمر، فإن الأمراض بمسمياتها ناتجة عن مرضين، فهي إما حرارة (الشمس)، وإما برودة (القمر)، وهذا ما يُسمى بالمادة وإما يبوسة ناتجة عن الحرارة أو رطوبة ناتجة عن البرودة، وهذا ما يُسمى بالكيفية كما هو عند أرباب الطب، ولمن رأى الكواكب أو القمر كان لمرض البلغم أو السوداء أقرب، وبقدر بياضه بقدر العلة تجري عليه، هذا إن كان مريضاً.

وعند أهل اللغة: لَيْلَةُ البَراءِ: أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ، آخِرُ لَيَالِي الشَّهْرِ، آخِرُ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ، لَوْ كَانَ البَرَاءُ لَهُمْ نَحْسًا لَفَرَّقَهُمْ.

والمقصود: يُرزق الرائي شيئين أو أكثر لنفع العباد، وما يتعلق بيوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والطب فقد تقدم ذكره. **قال لي إنسان**: رأيت فلانًا في يديه قطعة فيها تراكيب يركّبها، وكأن اسمه شكري عبدالسلام. **قلت**: بما أن الاسم الأول مفرد وهو شاكر، والآخر علم مركب، فقد يُرزق صنعة دواء مفرد، ويُذاع صيته به، أو مركب من الطب النبوي، أو كتاب في الجرح والتعديل، وذلك فيه السلامة للبدن والروح من الآفات والأذى، وأيضا علوم نافعة، ومعنى شكر: عِرْفانُ الإِحسان ونَشْرُه، وهو الشُّكُورُ أَيضًا. **قال ثعلب**: الشُّكْرُ لا يكون إلّا عن يَدٍ، وذلك من عبد متقن، ولئن فتشت فيمن رئيت له نحو هذه الرؤيا عن رؤيا الكواكب لعله أتته من قبل، ودليله قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان]، والله أعلم.

كان أحد إخواننا الأفاضل له بضع سنين منذ تزوج ولم يرزق بأولاد، فأرشدته إلى دواء السنا والسنوت والذي أطلقنا عليه باسم "البيت الجديد"، وهذا الاسم له دلالة على ما يوافق الجسد والعافية وذلك من كلام رب العباد، فقال لي: إن زوجته رأت رؤيا وفيها: رأيت القمر، وقلت: إن دوائي له صلة بالقمر.

قلت له: ذلك المركب من الطب النبوي وعليها أن تتناوله على ثلاثة أجزاء، جزء في يوم السابع عشر، وجزء في يوم التاسع عشر، وجزء في يوم الحادي والعشرين، وذلك من الشهر القمري. ففعلت ذلك وحبلت بعد بضعة أيام، ولئن بحثت عن اسم الزوج لوجدته محمدًا، فكان كذلك، فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع: ربيعية نفيسة

وهنا نكتب فائدة في الطب، وهو معرفة الدواء من الظاهر، وكما أن البياض في العين يسمى كوكب فإنك إذا تأملت إلى عُشبة الصَّبِر من ظاهرها فهي شبيهة بالشمس وأشعتها، ومزاجها حار يابس، فكانت دواء لمن يشكو من برودة ورطوبة القمر، فتفطن لهذه الفائدة المليحة، وسيلهمك الله بفوائد عجيبة إن شاء الله تعالى.



المبحث الخامس: مليحة

وهي أنه من أحداث الرؤيا قد ندرك شيئًا من حال الرائي، أو نستنبط من اسمه وسِنّه وغير ذلك، فمن رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نعلم أن معرفة الأيام والشهور والسنين عبر الشمس والقمر، كما في سورة يونس وغيرها، فنفهم من ذلك أنه كان من حِرَف نبي الله يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الحساب والطب على ما ذكرنا، وكذلك تجد صفة حُسنه من جمال الشمس والقمر، وهذا من عجائب وغرائب التعبير إن أمعنت في الرؤيا من غير الاطلاع على حال الرائي.

كما قال لي إنسان: أراني تحت قدمي لغمًا فإذا رفعت قدمي سينفجر، فجاء أخي صلاح وأزاح ذلك اللُّغم.

قلت له: تعمل في الجيش، وتشكو من بطنك، وعليك أن تصلح المفسد بالاستفراغ ومنه العَرَق، وهو المشي، فإنك كثير الجلوس، فكان كذلك.

وآخر -وكنا مع أناس- يقول: رأيت أني بين الملوك والأمراء.

قلت: مهنتك في الأمن السرّي أو ما يُسمّى بالاستخبارات.

فقال: أجْهَرت بمهنتي بينهم، سامحك الله.

ولمّا شبّه الله تعالى نبينا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالقمر المنير فإنه يُعلم من ذلك أنه كان أزهر اللون، وقد تكلمنا في معنى: أزهر، وكما في "الصحيحين" عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: سمعت أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يصف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: «**كَانَ رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ....**» الحديث.

ومعنى أزهر اللون: هو الأبيض المستنير، وهو أحسن الألوان.

والزُّهرة: البياض النَّيِّر، ويُفهم من القمر أيضًا أن وجهه كان مستديرًا كالشمس والقمر، وهذا يوافق ما جاء في صفة وجهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

كما قالت لي امرأة: رأيت ابنتي على ربوة خضراء.

قلت: تُبتلى وتصبر واسمها مريم أليس كذلك.

قالت: بلى.

ولذا فهذا الفصل ينبثق منه فصول عدّة، بل ومختلفة للحكم بعجائب وفرائد وغرائب، فافهمه.



المبحث السادس: صواحب يوسف

فالعرب من عادتها إطلاق الأسماء الكثيرة على من كان ذا شأن عظيم ومنزلة رفيعة، وهذا شبيه بحال الكواكب من منزلتها الرفيعة، فلكل كوكب من اسمه نصيب، ومنذ قرون وأسماء الكواكب لم تتغيّر، وذلك لمكانتها ورفعتها، ومن أمثال العرب: الاسم دال على المسمَّى، ولكل شيء من اسمه نصيب، ولما كانت الكواكب دالة على الملك والأبوين والإخوة والأقارب ونحو ما تقدم ذكره كان اسم كل كوكب دال على معناه في التأويل، وقد تحدثنا عن الشمس والقمر خصوصًا والكواكب عمومًا، وبقي الحديث عن الكواكب بسرد خاص لكل كوكب وباختصار.

لو قيل: هَب للبدر اسمًا آخرَا ما اخترت إلَّا أن يكون محمدًا!

فاحكم على من رأى الكوكب بدلالات عدّة من الأسماء أو المعنى، وبما أُتصف به، وغير ذلك من أصول التأويل، فقد جاءت بها السنة، كما في "الصحيحين" من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ**». [رواه مسلم، برقم: (٢٢٧٠)] فاعتبر الرفعة من رافع، والعاقبة من عقبة، وقد طاب من ابن طاب، ومن صفة الرطب كذلك وهو من ظاهره وباطنه، وهو نضوجه كونه قد طاب، وهذا الحديث فيه أيضًا فوائد جمة في علم التعبير، والطب وغيرها من العلوم ليس هنا بسطها، ومن الحديث تجد الزمن الموافق على تفسير الثمار حسب فصولها.

وقد وردت مسميات لبعض الكواكب في كتاب الله؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ** ﴿٤٩﴾ ﴾ [النجم]، وقد تحدثنا من قبل بأمر الشمس والقمر، وقد ذكر ابن إسحاق في "السيرة" وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: **والله إني لغلام يفعة، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب: يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك ما لك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد فيه**، وهنا دلالة على التأويل من حيث الصفة.

مليحة: ومن التأويلات الحسنة في الكواكب:

اعتبر الكوكب الوارد في المنام بما قبله وبما بعده.

مثال: المشتري قبله المريخ، وبعده زحل، فالمريخ يدل على الصلاح؛ لأنه أصلح الكواكب للعيش بعد الأرض، وكذلك يدل على رفعة، وهو أوسطها، فدلالة على الوسطية، ومن اسمه يُشترى أي يصير صاحبه محبوبًا عند الناس كونه يُشترى، ويكون صاحبها له جولة على من حوله، وأيضًا يقوم بتغطية نجومهم.

وأما ما بعده فإنه زحل وهو كوكب النار فيدل على حرب ضروس، فاعتبر النجم وافقه فيه حسب ما نُقل عنه مع أصول التأويل، ومن هذه النجوم:

الثُّريا: تدل على الإخوة، أو سبعة منهم، أو ممن دل عليه النجوم، أو الخدمة، أو الأموال، كسبعمائة أو سبعة آلاف درهم، أو السُّبع منها، أو الجواهر، وكذلك دال على الشُّعَب للشيء المضيء، وعلى العالِم والرجل الحازم ومنارة المسجد، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من ذلك، وسقوطها أو أحد منها موت أو نكد ممن دل عليه، كما حكي عن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ من رؤيا المرأة التي قصّت رؤياها عليه،

فكانت الرؤيا تشير إليه فعبّرها بموته بعد سبع، فجرى ذلك، وتدل أيضًا على موت في الأنعام، وقلة الثمار ونحو ذلك.

بنات نعش: دلالة على البنات والنبات، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من ذلك، أو الانتعاش بعد الشدة، فيقال: نَعَشَ شجرةً: أنهضها وأقامها، نعش الربيعُ الحدائِقَ والبساتين، نَعَشَه اللهُ: جبَره بعد فقره، وقد نعش الله به مصر وأهلها، ودالة على مغسلة الموتى، أو قريبة من الأكابر، أو الطاحون، أو دلت على الرقص، أو اقتراب الأجل إما سبعة أيام أو أربعة أيام أو إرث، وغير ذلك.

الزُّهرة: تدل على امرأة أو دنيا، أو لذة وعلى الجمال والسرور، أو زواج، أو حمل، وهي امرأة جميلة ليس بينه وبينها قرابة، وقد يدل على امرأة ملك، وما ذكرناه لا يشترط رؤية النجم، بل اعتبر من الاسم، وإن كانت مجهولة.

كما قال لي إنسان: رأيت امرأة اسمها زهرة، ولي أكثر من عشر سنين لا أعرف عنها شيء.

قلت له: هل تشكوا من مرض منذ عشر سنين؟

قال: نعم.

وتدل على نجاة أهل التوحيد في زمن الهرج والمرج، وإن نقصت أعمالهم من النوافل، ويقال: زهر الوجه أو القمر: أشرق وتلألأ، زهَر وجهه للنَّبأ السَّار، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الجمال والسرور وكونه رسولًا وعزيز مصر فإنه لا محالة من الزواج ببنت أكابر، كما جرى ذلك لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعًا.

كما قال لي إنسان: رأيت كوكب الزُّهرة يقترب سريعًا من القمر وارتطم به جزئيًا.

قلت: ربما تحصل خصومة مع أحد أقاربك، وربما يحدث كما في الرؤيا من كوكب الزُّهرة تجاه القمر، أو حدث حيث يصدر صوتًا مزعجًا ثم يكشف الله ذلك، وهذا بسبب ذنوب العباد، والله أعلم.

الشعرى: دال على أمر باطل، أو امرأة لا خير في دينها، ولا في أحوالها، وتدل على مرض، وعلى علم النجوم، وغير ذلك، وقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع امرأة العزيز وكهنة الملك.

عطارد: دال على الرجل المعطاء لمن رآه، أو العطارة، أو الكتابة، أو علم، أو منفعة، أو ثناء حسن، ونحو ذلك، وجرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من ذلك، وربما من المقربين لمن دلت الشمس عليه، أو كان الحدث بعد ثمانية وثمانين يومًا.

المريخ: دال على الأمراء والأكابر، وعلى الحروب، أو سفك دماء، أو شرور، أو طلاق، أو هدم منازل ونحو ذلك، وهذا يدخل في الجوائح عندما تحل سنوات عجاف، وربما كان الحدث في الشهر الثالث من السنة الشمسية.

كما قالت فتاة: رأيت كوكب المريخ في يدي وأكلت منه.

قلت: مقربة لأبيك عند الأكابر من العلماء ونحوهم، وزواج لك برجل رفيع.

المشتري: دال على بيع وشراء، وعلى المخازن والأملاك، أو تدل على عابرٍ للرؤيا، وأيضًا على صاحب بيت مال كبير من الأكابر، أو علو شأن، ويدل على العبادة، فأعط كل نجم ما هو خاص به بقدر ما يليق به الرائي، وقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الشيء الكثير.

زحل: دال على الشدائد والخسارة والفقر ونحو ذلك، وهكذا قس كل نجم على حسب حاله واشتقاقه إذا وجدت لذلك عبورًا متوافقًا مع القرائن، وقد جرى

ذلك في السبع العجاف للبلدان المجاورة لمصر، ودليله مجيء إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أرض كنعان.

السهيل اليماني: هو عالم، أو طالب علم بجوار فقيه يسلك طريقته، وربما كان من اليمن، ودال على أمر يسير، ومن اليُمن والإيمان، وتسهيل الأمور، وعلى الهداية والرفعة والفائدة والرزق، وتبدل في الأحكام والحُكَّام والأحوال ونحو ذلك، واعتبر الجهة التي كان فيها النجم.

كما قال لي طالب علم: رأيت فلانًا (وهو طالب علم) في مدرسة سهيل وكان "بروفيسور"؟

قلت: بدأ يطلب العلم في اليقظة وانظر إلى مآل الرؤيا حتى صار بروفيسور وهذه اللفظة وإن كانت من اللغة الغربية لكنها صارت مشتهرة بين المسلمين وتطلق على أعلى مرتبة علمية، واعتبارها معنىً بعد تغيير اللفظة من لغتهم إلى العربية، وكذلك اشتقاقًا فيرتفع ذكره ويكن مرجعية لطلبة العلم، وذلك لعلوم شرعية ومنها التفسير لبعض السور والأحاديث، ولعل بلدان الغرب تنتفع بما سيقوم به، ولك نصيب تنال منه أعني الرائي، ودليله من المدرسة واسمها، وتلك الصفة: من الرتبة الرفيعة، وعلى هذا فقس في النجوم وأعط بقدر ما يليق به، فالأكابر من النجوم أشراف الناس، والصغار أدنى، والمذكر ذكور، والمؤنث إناث، فافهم ذلك.



المبحث السابع: انشقاق القمر

لا تعتبر قاعدة الانشطار في الشيء الصَّلب؛ أعني فيما لا يشتق منه معنىً واضحًا كالقمر، ولفظ الليل والنهار، ولفظ البقرة والجسد والبدن، أعني شطر اللفظة إلَّا في النادر إذا تمكَّنت من ذلك، وذلك لندرة حدوثه، ونحوه فيما لا يُشتق من هيئته وصفته، وهذه فائدة لمبتدئي تعلم هذا العلم، وكما هو معلوم من انشقاق القمر في عهد نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لكنه عاد إلى حاله السابق، وهكذا قس في تشطير لفظ: الأرض أو الشمس؛ فإنه مخالفٌ طبعًا ولفظًا إلا أن يشاء الله سبحانه تعالى.

وإن حدث ذلك للعبور كان ذلك نكد ممن دل عليه وذلك لعدم توافق شطره، فإن اعتبرنا كذلك في الشمس أو القمر من رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان دليلًا على موت أحد أبويه، ولم يجرِ ذلك منذ رؤياه وحتى مآلها، وهنا إشارة أن أمه راحيل كانت على قيد الحياة حتى دخولها مصر مع القمر يعقوب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والله أعلم.

وقد يُشتق من اللفظ: كوكب: كي بك، ومن النواة: نوى، وذلك إذا توافق الخروج لعبور صحيح مع توافق الحال، والله أعلم.

تحفة ربيعية: ولما كان الانشقاق والتصدع في القمر دال على وجع الرأس، ودل القمر على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وانشق له في أول دعوته، كان من أول علامات مرض موته وجع رأسه، كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما اشتكت من رأسها، فقال لها: «**بل أنا والله وارأساه**». وهذا من التوافق العجيب، فافهمه.

المبحث الثامن: الإعراب والعبور

اعلم أن كل كلام الله تعالى له معنى، وما من حرف إلَّا وله دلالة، فلا تهمل أحرف الكلم في الرؤيا، فالحكم عليها في التعبير شبيه بالحكم عليها في الإعراب، وهذا يهمله الكثير من المعبرين، ومن رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (واو) العطف من قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ [يوسف] فصار أبواه تحت حكم إخوته من المآل، وهو السجود، ومن المعنى عطف يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على ولده، فكان يشفق ويخشى عليه، وتأتي عطف بالتوجه إليه، وهو ما جرى من توجه يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من كنعان إلى مصر، وعلى هذا فقس، ولأهمية ذلك فلولا الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢﴾ [الشمس]، لما كان قسمًا، وقد أقسم الله بأشياء عظام في هذه السورة.

وإذا فتشت بين التعبير وعلم النحو لوجدت فوائد ملاح نحو ما تقدم ذكره، فإن اللفظة: إعراب مشتق من التعبير أو العبور، فذاك للفصاحة والوضوح للكلام، وذاك لوضوح معالم الاختلاف حتى تكن جملة مفيدة، فإن كانت الرؤيا ناقصة بحيث كونها ليست مُرَكَّبة مفيدة فهي ناقصة من قبل الرائي عمدًا أو سهوًا.

واعتبر الاسم والفعل والحرف وعلامات ذلك، فالماضي مضى والأمر قادم والمضارع ما زال قائمًا عليه، فلا تهمل الحرف، فله اعتبار ودلالة مفيدة.

واعتبر المفعول المطلق بشيء حسي أو معنوي وابحث فيه ولا تهمله، وعلى هذا فقس بين الإعراب والعبارة.

المبحث التاسع: تحفة فريدة

فعلامة النصب دل على: منصب، وعلامة الخفض عزل، ولما كانت ألفاظ رؤياه كل أحرفها منصوبة وهي شبيهة بصفة الكِبر ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف:٤] جرى لهم في الأخير الكسر من اللفظة ﴿سَاجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف].

وكذلك من هيئة السجود الخفض كان المآل وهو التوقير والتذلل له، وعلامة الرفع علو أو موت أو فراغ عمل، وعلامة الوصل صلة، وعلامة الجزم حزم في الأمور، وعلامة التشديد ضيق وعسر، فما دل على الكلام أو غيره في المنام من هذه العلامات شيء إلى دين الرائي أو دنياه، وكذلك إن نقص، فاحكم بذلك.

واعلم أنه قديمًا وُضِعَت قاعدة مختصرة لتعبير الرؤى حيث تُفسَّر الرؤيا من أول حرف لها كما قالوا: الباء منها بركةٌ أو بكاءٌ أو بؤسٌ أو نعيٌ أو بلاءٌ، والسين: سؤددٌ أو سُكرٌ أو سلامةٌ، أو سفرٌ أو سبيٌ، أو سجنٌ أو سيئةٌ، والميم: مُلكٌ أو مَلكٌ أو مسألةٌ أو موتٌ، والألف: أخذٌ أو أملٌ، ونحو ذلك على بقية الأحرف، وهذه القاعدة فيها نظر وتُحكِّر من الاتساع والإدراك والبحث عن أسرار هذا العلم التي لا تتوقف، والله أعلم.

قال لي إنسان: رأيتك يا أبا الربيع أني أرسلت لك رؤيا وطلبتُ تأويلها، وقلت لي: إن الجيم (ج) دلالة على النجاة من النار. **قلت**: يحصل لكم خلاص من شدة أو فتنة ونجاة من تعب، أو من امرأة رديئة وذلك بإرشادات من قِبل أبي الربيع، فجرى ذلك.

المبحث العاشر: التأويل بالمعتقد

نَتَعَلَّمُ أن من أصول تأويل الرؤيا حسب الزمان والمكان والمعتقد، ولما كانت الشمس والقمر مرجعية لمعرفة الزمان وعلى المكان كان لابد من العبور وفق كل زمان ومكان بما يتوافق مع حالهم ومعتقدهم وتقاليدهم وإلا فلا، وهذا شبيه بِصِلَة الشمس والقمر بمن حولهم باعتبارهم كالملوك أو العلماء ونحوهم على من هو دونهم، ويسلكون حسب معتقدهم، ومن ذلك: (السجود) **ومعناه لغةً:** الخضوع، والتذلل، سَجَدَ يَسْجُدُ سجودًا؛ وضع جبهته بالأَرض.

واصطلاحًا: وضع الجبهة على الأرض، أو ما اتصل بها من ثابت مستقر على هيئة مخصوصة في الصلاة.

وقد جاء السجود في رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك عند مآل الرؤيا، وهو تحقيقها في الآية مائة من السورة، وقد سجدوا له كما سجدت له الكواكب والشمس والقمر.

والسجود هنا ليس لعبادته، وإنما سجود تحية وتوقير، فإن إخوة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خضعوا له، وكذلك على رضى والديه، وهذا من معنى السجود، وأيضًا لشأنه العظيم وهذا من العَظَمَة؛ لأنه في زمنهم كانوا لا يسجدون إلا لعظيم كالملوك ونحوهم؛ لتعظيمهم، وليس لعبادتهم وإشراكهم مع الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فقد كان السجود بمعنى التوقير مباحًا في عقيدتهم، وقد كان سائغًا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير، ولم يزل هذا جائزًا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا مضمون قول قتادة وغيره، وهذا يعلمنا درسًا في العقيدة أن

الخروج على الوالي يؤدي إلى مفاسد عدة، وهذا ما جرى من حزن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتردي حال إخوة يوسف، ويعلمنا أيضًا أن بعض الرؤىٰ تقع كما كانت في المنام.

يسأل سائل: تشيرون أحيانًا بالشمس لامرأة العزيز، فأين السجود منها تزامنًا مع رؤيا يوسف؟

قلت: نعم، قد جرى، وذلك من قولها: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف]، وهذا توقير وإجلال منها.

وأيضًا فإن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صار من بعدها مُعظمًا، فليس بمستحيل أنها كانت تسجد له إعظامًا بعد أن أقرت بمكانته وعفته، وإذا اعتبرنا الشمس بالمعيشة فقد ذُلِّلت له من قِبل الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بما ألهمه الله في تأويل رؤيا الملك، والله أعلم.

وأما السجود لغير الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في ديننا الحنيف فهو مُحرَّم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت].

وهنا لا يكن السجود إلا لله تعالى، وقد سرد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره" قصة سجود معاذ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ مما جاء في "سنن ابن ماجه"، بسند صحيح، وكان قبل أن يعلم النهي عن ذلك، والله أعلم.



المبحث الحادي عشر: السجود في المنام لهذه الأمة

وأما السجود في المنام دل على الخدمة والتذلل والخضوع والحاجة إلى من دل عليه، واعتبر حسب معتقد الساجد ولمن سجد، فإن سجد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ دل على براءة له من الكبر، ويخضع له أعداؤه وينال ما يتمناه في الدين والدنيا سريعًا ويقيم حدود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وفرائضه.

أو دل على خدمة من دل عليه الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ ومن سجد للأشجار أو القبور أو الأصنام دل على خدمة ميت أو جاهل لا ينفع معه الخير، أو قريب لعله أخرس، أو مريض، وقد أتعب الساجد في خدمته، وربما دل السجود للشمس على معتقد فاسد لدى الساجد، أو دل على نبأ لم يتفطن له، وعلى هذا فقس.

واحكم بما اقتضت الأحكام حسب معتقده، فإن سجد المسلم إلى غير جهة العبادة أو جالسًا أو نائمًا وهو قادر على القيام فدليل على فساد دينه، وبدعته، فإذا سجد من غير عذر دل على التقصير منه، أو دل على سفرٍ أو مرضٍ، ومثل هذه وجب عليه ذلك، وهذا مأخوذ من الأحكام الشرعية، وعلى هذا فقس على سائر العبادات.

وأما إن كان الساجد مجوسيًا وسجد للنار دل على خدمته لمن دل عليه وقضاء حاجته ونحوه، وإن سجد إلى جهة قبلة المسلمين دل على إسلامه أو خدمة من دل عليه.

وأما إن كان الساجد حيوانًا أو شجرةً أو صنمًا أو نحو ذلك للمسلم دل على الخدمة، أو طلب العفو، أو أخبار عجيبة، أو التقرب ممن دل عليه، أو كان الساجد جاهلًا، وربما جرى لمن سُجِد له ذل وأمر رديء وعاقبة سيئة، أو دل على الرخصة

للساجد وخلاص من شدة، وعلى هذا فقس.

واعتبر موضع السجود فإن كان في أماكن العبادة دل على أمر في عبادته، أو أمر حسن، وإن كان في دكانه متجهًا نحو القبلة دل على أمر يسعى للوصول إليه على حق، وإن كان مخالفًا جهة العبادة فهو على خطأ، وعلى هذا فقس.

كما قال لي إنسان: رأيت أعمامي يُصَلُّون إلى غير القبلة، وكانت عماتي ينظرن إليهم وينكرن عليهم ذلك.

قلت: عماتك لديهن ورث من بعد هلاك الوالد وما زال عند أعمامك، وحصل منهم مطل ويدَّعون أنهم على صواب.

فقال: صحيح.

قلت: يُنصح هؤلاء ففيهم خير على أن يُغيِّروا على ما هم عليه، فجرى ذلك.

وآخر يقول: رأيت الشيخ ابن حزام الفضلي يصلي ويُشعر أثناء ذلك.

قلت: يُفتَن، ويُضل من يقوم معه، ويتكلم بأباطيل، ومنها يثني على أهل أهواء والبدع، فجرى ذلك.

ولمن رأى أن الله يصلِّي له فهو ثناء وذكر حسن ونحوه ممن دل عليه الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أو دل على خلاف ذلك، وعلى هذا فقس.



المبحث الثاني عشر: البدر

تأمل في الشيء المُفضَّل أو الأكثر وضوحًا في المنام فهو أمر في غاية الأهمية، وأعطِ كل إنسان بقدر ما يليق به، وهذا مستنبط من ضوء النجم، وبروزه وتألقه؛ لأنه من الأشياء العلوية، فإنه ذكر الكواكب بصفة الجمع، وانفرد بذكر الشمس والقمر على وجه الخصوص، وذلك لمزيتهما، ثم عَقَّب الأمر وهو المآل لهذه الكواكب ألا وهو السجود؛ فتجد رموز رؤياه كلها أجرام سماوية، وتدل على ترابطها إلَّا السجود، ولو تأملت مجريات قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لوجدتها أنها تصب نحو هذا الأمر، وكان في الختام تفضيل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على إخوته.

ولذا إذا كانت الرؤيا غير مترابطة مع بعضها فهي في الغالب حديث نفس أو من الشيطان.

وفائدة تَعضُد قرينة التَّمَيُّز في الإشارة كما ذكر ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما تقدم ذكره، وقد جعل الله لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ الأفضلية والرفعة على باقي الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فقد شبَّهه من حيث الإضاءة بأعظم الكواكب إنارةً ونورًا، وهما الشمس والقمر كما تقدم ذكره من تشبيهه بالشمس والقمر.

وقد علَّق ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا التشبيه، **فقال**: تشبيه بالشمس عند الإشراق.

قال أبو الربيع الطاهري: وعند حرِّها نكد على المخالفين عن هديه، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ ﴾ [الأحزاب]، وبعثناك داعيًا إلى توحيد الله وطاعته بأمره، وبعثناك مصباحًا منيرًا يستنير به كل من يريد الهداية،

ونحو ذلك من الآيات، ولم يجعل هذه الصفة أو خصّها ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذه من لطائف وأسرار القرآن الكريم، وكان كالبدر فما أجمله.

فإن قلت: أليست الشمس من محتوى رؤيا يوسف؟

قلت: بلى، ولكن ذُكرت في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على العموم، ثم السجود، وأما نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في مثل هذه الآيات على وجه الخصوصية والتَّمَيُّز والتفضيل، وهو الإنارة، وقد وصف بأعظم وصف وهو إنارة الشمس عند الإشراق للمؤمنين، وعند حرِّها شديدة على المخالفين، كما أسلفنا، وقس في البدر عند ليلة كماله، ولم يجمع لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قط في مثل هذا التشبيه.

والمقصود أنه ينبغي على طالب العلم أن يفكّر ويحوم أكثر حول الإشارة الفريدة البارزة، ولهذا عندما كانت رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ متفردة وأكثر ميزة وعظيمة أحداثها جعل الله قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإخوته لها شأن عظيم، وجعلها من القصص الحسنة لما فيها من العبر، وقصة نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أفضل وأعذب وأنفع وأمتع وأطيب قصة.



المبحث الثالث عشر: لا تقسُ في رؤياي

ومن الحِكَم: أن يحكم القاضي على المحمل الحسن كما فعل يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع رؤيا الملك، وسيأتي البيان أكثر من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا في رؤيا الملك -إن شاء الله تعالى-، وكما جاء في الحديث من قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا»، وكونها بشرى فهي من باب أولى.

وعلى العابر أن يتزود من العلوم الشرعية، ودليله من نصح يعقوب ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك من دعوة التوحيد للسجينين من قِبل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك مما قام به لمواجهة سنين القحط، وأيضًا ما يتعلق بعلم الطب خصوصًا في زماننا، وقد كثرت الأسقام وتكررت الرؤىٰ للمريض فلم يدرك جوهرها عابر فطن ولا لمن رأى أنه في ضرر، والله المستعان.

وكما أن النهار يبدأ بإشراق يوم فيه فأل حسن ونفع؛ فكن كذلك في تفسيرك، ولا تكن قاسيًا كشدتها وحرِّها، وكذلك كن كسكون الليل مع ملاحة بدره، وأيضًا عندما كانت سبعًا شدادًا لم تكن السنة التي بعدها سنة سمينة، وإنما عام فيه يُغاث الناس، فكانت الخيرية والفوائد أكثر، وعلى هذا فإنه ليس هناك ما يستدل به أن الرؤىٰ تعبر على الظن السيء.

وأما تأويل نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ لرؤياه للسيف والبقر هو محض خير لأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، ولابد من ذلك، فإن هذا الدين لم يصل إلينا بسهولة، بل بُذلت أرواح ودماء لنصرته، وكانت لهم عزة ورفعة في الدارين، وعلى هذا فقس في الرؤيا التي

تشير إلى نكد فهو خير للمؤمن إما تكفير ذنب، وإما لرفعة وكلاهما خير.

وكما أن الرؤيا جزء من النبوة، فهي محض خير ورحمة، وتأتي الرؤيا بشارة، وفيها تحذير كما في رؤياه، وكلما كانت معالمها أرفع كالأجرام السماوية كانت أنفع، وهذا مستنبط من رؤياه، وقد تأتي الرؤيا بشارة وفيها حديث نفس ومن الشيطان، وعلى العابر أن يغربلها ويعبر المُصفَّى منها.

وارتباط الكواكب بهذا المعنى هو أن من نعم الله على العباد أن جعل في النهار حرارة الشمس معتدلة غير محرقة لكيلا تُتْلِفَ الحرث والنسل، وكذلك قس في ضوء القمر، وهذا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عباده وقد سخرهما لمنافع خلقه وليس لإلحاق الضرر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص].

ولهذا فإن هذا العلم لا يناله من كان لا يَرحم ولا يعطف على الآخرين، وبقدر قسوتك بقدر حرمانك للخير، واجعل نصب عينيك قبل أن تحكم أن القضية قضيتك أنت فاحكم بما تُحب أن يُفتى لك، وقد لا تريد أمرًا والله يريده وما عليك إلا عبوره، فافهم ذلك.



المبحث الرابع عشر: احذر غِيرة مفسّر و حسد عالم

ومن الحِكَم: فإن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يبدأ بتفسيره على وجه المباشرة، وإنما بدأ بالنصح، وحذَّر للحفاظ على يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما فيها من خيرية قادمة رفيعة، وهذا من باب قضاء الحوائج بالكتمان خصوصًا إن كان من تخشاه عابرًا للرؤيا؛ لأن الرؤيا سيجري حكمها.

وقفة:

والمتأمل في القصة ففيها تحذير للعابر أن لا تلتهب نيران الغيرة في نفسه إن نال العابر الآخر حظوة عند النساء.

وهنا إشارة لعابر الرؤيا أن يبدأ بالنصح والتحذير والإرشاد، وذلك من قوله: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف]، وذلك لأهميته؛ لأن الرؤيا النفيسة الحسنة بقدر حسنها وخيرها وجمالها يُحسد عليها المرء ممن حوله؛ إما من الأقارب، أو ممن هو مشترك معه في ذلك الأمر، وإن كان الأمر مذمومًا فبقدره يحصل السرور عند أعدائه، وطالب العلم التقي الملهم الماهر يتنكد من بعض إخوانه حسدًا على ما أنعم الله عليه من العلوم، ولعله كان أصغرهم أو أتى متأخّرًا في طلب العلم، أو على رؤيا قصَّها لهم فيبدأ فيهم داء الحسد، ولهذا جاء عند الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُقَصُّ الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ**»، وهنا ليس محصورًا أن يكون عالمًا بتعبير الرؤيا إذ لو كان كذلك لحصل له النكد، كونه يعرف العبور فيحسده عليها، أو أنه يشير إلى الفقيه العالم للعبور؛ لأن العبور من العلوم الشرعية،

فقد يعبرها له حسب فهمه، أو يرشده لعابر حبيب ونحوه؛ لأن العالم إذا أظهر حسده على عالم آخر نقص إلى طالب رديء، وربما فُتن وانسلخ، وما أكثرهم في زماننا، أو العالم بعبورها، وهو حبيب ولبيب وناصح لك، وهذا أرجح.

ونار الحسد والغِيرة مفتعلة كما في حر ولذع الشمس كما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قِبل إخوانه، وكذلك من امرأة العزيز كونهم استمدوا شيئًا من طبائعها.

والحسد في ديننا مُحرَّم كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا تَحَاسَدُوا..**» [رواه البخاري، برقم: (٦٠٧٦)، مسلم، برقم: (٢٥٥٨)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ]، وكذلك في الأمم السابقة، ودليله من جواب يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خشية الكيد، وهذا دليل على أنه مذموم كذلك، **وكما قال أحد السلف**: ما خلا جسد من حسد، لكنّ اللّئيم يبديه، والكريم يخفيه.

وترك الحسد وتطهير القلب منه يحتاج صاحبه إلى التوحيد، وهو الرضا بما أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا هو الدواء كونه بالضد، ويحتاج أيضًا أن يحب للآخرين كما يحب لنفسه؛ لأن ترك الحسد ثقيل على الروح، والموفق من وفقه الله، ولذا تجد من قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن إخوانه بعد مرور نيف وثلاثين سنة، وما زال في نفوسهم شيء تجاه يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم يصغر كبرياؤهم مما جرى لأبيهم، وبما وصل بهم الحال، وذلك من قولهم: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف]. ولكن كانت عادة الكريم منه الحلم، فكتم ذلك في نفسه، فافهم ذلك.

المبحث الخامس عشر: نصيحة في الصبيحة

وكما اشتهر طالب العلم الفلاني، وهو كالنجم بشيء انفرد وتميَّز به، فلا نلتفت لغيره، فعلى العابر كذلك أن يقص رؤياه لعابر عالم حبيب لبيب مشهور بصلاحه وأعلم منه، وهذا يدركه الكثير من المعبرين، وهذا مستنبط من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع إخوانه، وكانوا أعرف الناس بتفسير الرؤيا، وكذلك طلب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ التفسير من أبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم يقصها عليهم، فإن رؤيا العابر يعجز في الغالب عن تأويلها بنفسه، وذلك كونه يراها حسب منظوره، وهذا خطأ فالمؤمن مرآة أخيه.

ولهذا فإن أمر الرؤيا تؤخذ بعين البصيرة، وعليك أن تحفظها في جعبتك بعد أن تقصها لعابر فيه ما ذكرت فتنبّه لذلك.

ومن الأحاديث التحذيرية أيضًا في لفظ آخر: «**وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا لَبِيبًا أَوْ حَبِيبًا**». [رواه الترمذي، برقم: (٢٢٧٨)]، وعند أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من حديث أبي رزين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال: صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا تَقُصَّهَا إِلَّا عَلَى وَادٍّ، أَوْ ذِي رَأْيٍ**»، والعالم إن لم يكن ناصحًا حبيبًا لبيبًا فحاله إلى وبال، بل ونخشى عليه من القسوة، فقد جرت الغيرة في إخوانه وهم مفسرون للرؤيا، وجرى الحسد فيهم، ولأن التفسير من العلم الشرعي، وكما أن الرفعة درجات متفاوتة، وكذلك قدر الرؤيا فأعط بقدر ما يليق به.

واعلم أنه قد يُحرم العبد بعض خيرية الرؤيا لعدم السؤال عن عبورها، أو صُرفت عنك بسبب ذنب أصبته، أو بسبب جزعك، والله أعلم.

تنبيه: الغالب في أمر الحسد عند بعض أهل العلم إنما هو حسدٌ من عند أنفسهم مأخوذٌ من الكبر لا سيما إن كان المحسود أصغرهم سنًا وعلمًا، كحال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، خصوصًا إذا حصل له التبجيل والثناء من الآخرين، فأيُّ حسد وصل بهم وهو أصغرهم بحيث قال أحدهم: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾ [يوسف:٩] على وجه المباشرة! فالواحد منا تمنعه روحه من قتل حيوان صغير ضعيف فكيف بأصغرهم وهو أخوهم؟!، وذلك قد كان تلألأ بدره منذ هلاله.

فالحاسد إذا أظهر حسده تطبعت نفسه بالحرارة واليبوسة، وذلك من الشمس، فكان حاله ومآله صفراء، وذلك لخلو برودة أو رطوبة النفس من البيضاء، وأيضًا إذا وُفق المحسود بفهمٍ وعلمٍ وهذه الصورة هي السائرة منذ القرون الماضية حتى يومنا هذا وتعرفون كم عانى الإمام البخاري والإمام أحمد وكذلك ابن تيمية ونحوهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وكم عانى شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله من حسّاده من البرامكة ونحوهم من الداخل، ومن أعداء الدين من الخارج، وليس من دولة واحدة، وإنما دُول فأبى الله إلَّا أن يرفع قدره، ويذاع صيته في أرجاء المعمورة، وستعلم وتتعلَّم الأجيال عن كوكب الحجوري كيف أضاء في دجى الليل منذ هلاله؛ وكيف صار بدرًا، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الرفعة والعلو ما هو معلوم، فمثل هذه الرؤىٰ هدية من الباري سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولا تُقدّس الرؤيا بذاتها، وليحمد الله عليها، وهذا مستنبط من جواب يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أول الأمر.

وعليك أن تعلم هذا المفهوم لدى الرائي، وقد جاء عند البخاري، برقم: (٦٩٨٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ**»، ولهذا عليه ألا يقصها إلا لحبيب

أمين يحب له كما يحب لنفسه، ومثل هذا من نُدُر النُّدُر. وافقه في إشارات الحسد في المنام المعنوية والحسية، وهي شبيهة بإشارات الظُّلم؛ لأن الحاسد معتدي ومعترض على مقادير الله.



المبحث السادس عشر: لا يُغني حذر من قدر

ولقد قدَّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخيرية ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع ما قام به إخوانه من الغدر بحجة تفضيل أبيه له ولأخيه، ومع قيام يعقوب بتحذير ابنه يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا أن الله شاء أن يجري له ما أراد، وعلينا أن نفهم أن قيام إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من نَبْذِه ونحوه إنما بسبب المحبة، وليس بسبب الرؤيا، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ [يوسف:٨]، إذ لو كان بسبب الرؤيا لما ذكروا أخاه الأصغر، فحسدوه، فكيف لو علموا بِمَكْنُون هذه الرؤيا المليحة، ولكن كما أسلفت كان بغضهم له بسبب محبة أبيهم، وتفضيله بذلك عليهم، ولو أمعنت في سن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأعمارهم، وكان أصغرهم سنًا لأدركت أن الحقد إذا غشى على القلب أخرج صاحبه إلى شاكلة الأنعام، نسأل الله السلامة والعافية، ولن يمنع الحاسد شيئًا أراده الله لك، ولكن عليك بدرع التحصين تجاه ما يصدر من الحاسد؛ لأن الشيطان يجول ويصول لغليان الحسد حتى يطغى على الاعتدال، ولهذا قال يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند أول الأمر: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [يوسف]، وعند آخر المطاف قال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قوله: ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ﴾ [يوسف:١٠٠]، وكلما كان الحاسد من الأقارب أو المعارف أو من شركاء في ذلك الشيء كان تأثيره أشد بعد أمر الله تعالى.

ومن الحِكَم أيضًا: اعلم أن الشيطان لطالب العلم إن لم يقدر عليه صال وجال على من حوله لكي يُنكِّد عليه، وكم من عالم أو عابر ابتلي ببدنه، أو بزوجته، أو

بإخوته، أو بولده، أو بصديقه، أو من المعارف، فإن طالب العلم يكن الشيطان له بالمرصاد خصوصًا إن كان مُلهمًا حاذقًا في فك رؤى المرضى، أو التي فيها مصالح للمسلمين كرؤى الحُكَّام والعلماء ونحوهم، فإن لم يقدر عليه أتى إليه من قِبل أقاربه وممن حوله، ودليل ذلك كما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما أخبر ساقي الملك عند خروجه أن يذكره عند ربه قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ٤٢﴾ [يوسف]، ومعلوم سعي الشياطين من استراق السمع وتريد العلو والوصول إلى النجوم، وأنّى لها ذلك.

ومن قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجد أن القمر كان عليه أن يتحمَّل من شدة الشمس وحرِّها لكي يصل لذلك النور في دجى الليل، وليس له غنى عن الشمس؛ لأن القمر يستمد نوره من الشمس، وبقدر نوره يكن الحمل عليه بنحوه، فافهم ذلك.

ومن الحِكَم: أن الحسد في الغالب يصدر ممن ليس بالحسبان، فلم يكن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يظن أن هذا الغل يصدر منهم، وهذا مستنبط من تقارب الكواكب من رؤياه، ومن كان يظن أن أبا لهب عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سيظهر كل ذلك الحقد والغدر، فإذا كان الحذر لا يغني من القدر ممن هو بعيد؛ فمن باب أولى يأتي من الصديق المحبوب لديك ونحوه، وإن أتتك رؤى تنذرك منه فإن سجية صاحب القلب الطيب يظنها من الشيطان، أو حديث نفس، أو يفسرها تفسيرًا على محمل الخير، وقد أطلنا في أمر الحسد، وهذا بقصد منا؛ وذلك لعظم خطورته، خصوصًا عند طلبة العلم.

المبحث السابع عشر: هل رؤيا يوسف عُبرت أم لم تُعبر؟

تجد رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تختلف عن باقي الرؤىٰ المذكورة في السورة من حيث معالمها، وكذلك عبورها إن كانت عُبرت كما هو مآلها، فإنك تجد إشاراتها رفيعة علوية، وجواب يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مخالفًا على طريقة عبور الرؤىٰ المذكورة في السورة.

وهل جواب يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُعتبر تعبيرًا لرؤياه؟

أم أخفى بعضًا وعبر بعضًا منها؟

أو عبرها على العموم وليس بالخصوص؟

أم اكتفى بما أوحى الله إليه، وتكلم بما ذُكر في السورة، وإذا كان عبرها بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:٦]؟

فما معنى قول يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾ [يوسف:١٠٠]؟

فإن بعض المفسرين قالوا: إن هذه الآية تعبير رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مرافقًا لتفسير يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والمتأمل في تفسير يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليس فيه أن إخوته سيسجدون له!!

والجواب سيكون على أجزاء عدّة مسلسلة، وهي:

الجزء الأول: الصفوة والعلم

علينا أن نفهم جزءًا من جواب يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونتحدث هنا عن أقوال أهل التفسير في معنى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يختارك ويصطفيك لنبوته. [التفسير (٤/ ٣١٨)].

وقال الإمام الطبري: يصطفيك. [التفسير (١٥/ ٥٥٩)].

وبعضهم قالوا: ومثل ما رأيت من الرفعة والحال الجليلة يختارك ربك ويصطفيك من بين إخوتك، وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يصطفيك بالنبوة.

وقوله: ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف:٦] قال مجاهد وغير واحد: يعني تعبير الرؤيا.

وقال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلّمه من عبر الأحاديث، وهو تأويل الأحاديث، وهو قول عن قتادة، وقال ابن زيد: العلم والحكمة، والبعض قال: تأويل أحاديث الأنبياء والأمم والكتاب.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره": لعله اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. [شرح مقدمة التفسير (/ ٢٨)].

وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذلك.

واللفظة: "أحاديث" لا ينزوي لمعنى الرؤيا المنامية؛ لأن هناك حديث النفس والشيطان فلا تأويل لهما، بل لعل المعنى أعم من ذلك، وإن كان في الرؤيا فلعلها تشير إلى أحداثها، ولها تأويل، وإن كانت حديث نفس أو من الشيطان فتأويلها يكن الحكم عليها بالفساد، والله أعلم.

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "التحرير والتنوير": والأحاديث يصح أن تكون جمع حديث، بمعنى الشيء الحادث، فتأويل الأحاديث: إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها بإدراك حقائقها على التمام، وهو المعني بالحكمة، وذلك بالاستدلال بأصناف الموجودات على قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحكمته، ويصح أن يكون الأحاديث جمع حديث بمعنى الخبر المتحدث به.

فالتأويل: تعبير الرؤيا سميت أحاديث؛ لأن المرائي يتحدث بها الراؤون، وعلى هذا المعنى حملها بعض المفسرين، واستدلوا بقوله في آخر القصة: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ﴾ [يوسف:١٠٠].

قلت: والظاهر أن المعنى أعم من تخصيصه للرؤيا، فيدخل فيه تعبير الرؤيا، وكذلك مما في اليقظة من أحاديث، وذلك من قوله: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف:٣٧].

فهنا دلالة للتأويل لغير تعبير الرؤيا، وهو من علم الله علَّمه إياه، ولعل ذلك يندرج من تأويل الأحاديث، وأيضًا مما جرى في عهد نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وهي حادثة الكسوف، فكان تفسير هذا الحدث ليس كما ظنَّه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنه بسبب موت إبراهيم، فجاء التفسير الصحيح لهذه الحادثة من نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أنها آية من آيات الله يخوف بها عباده.

وسُئل أَبو العباس أَحمد بن يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التأْويل، فقال: التأْويل والمعنى والتفسير واحد. والله أعلم.

الجزء الثاني: التعبير والتحقيق

ثم ننتقل إلى الآية مائة وذلك كونها مرتبطة برؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأيضًا لأجل تدرك ما هو المراد إيصاله إليك، قال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ ﴾ [يوسف:١٠٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره": أي: هذا ما آل إليه الأمر، فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر، كما قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣]، أي: يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا به من خير وشر، وقوله: ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف:١٠٠] أي: صحيحة صِدقًا يذكر نعم الله عليه.

ونقل **الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن زيد في قوله: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣] يأتي تحقيقه، وقرأ قول الله تعالى: ﴿تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف:١٠٠]، قال: هذا تحقيقها، وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران:٧].

قال: ما يعلم حقيقته ومتى يأتي إلا الله تعالى.

إذًا: نتعلم ثلاثة أمور، وهي:

١- **الحال**: وهو حال أحداث الرؤيا في المنام.

٢- **المآل أو تحقق الرؤيا**: وهو ما آلت إليه الرؤيا في اليقظة، وصار واقعيًا بعد أن كان في العالم الغيبي.

٣- **التعبير**: هو اجتهاد يبذله القاضي؛ لأن العابر كالقاضي لكي يصل إلى ذلك المآل بقدر ما عنده من مكنة سبق ذكرها.

الجزء الثالث: اختلاف الليل والنهار

إذا تأملت إلى رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجدها تختلف عن باقي الرؤىٰ في السورة، ودليل ذلك فإن كل معالمها علوية إلا إشارة السجود، وذلك كونه المآل، وباقي الرؤىٰ تجد إشاراتها سفلية، وقس أيضًا في تعبير يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا إن صح القول أنه عبَّرها، وتعبير يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للسجينين وللملك فإن التفسير يختلف، وهذا واضح.

وهنا فائدة منفردة: لعل حب يعقوب ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدأ من بعد قص رؤياه له وتفرس فيها ظاهرًا من غير أن يعلم عن مكنونها من محن وابتلاءات، ودليله أن عتاب إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جاء بعد قص الرؤيا، وكأنَّ هناك فارق زمني بين الرؤيا وبين ما أقدموا عليه، وهذا الوقت بدأ به زيادة محبته له، والله أعلم.





الجزء الرابع: التبيّين

فبعد أن عرفنا معنى الاجتباء ومعنى الأحاديث، وكذلك الحال والمآل والتعبير؛ فعليك أن تمعن في تعبير يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرؤيا السجينين، فإنك تجد عبور يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لهما كان تفسيرًا دقيقًا، وجرى بحذافيره بعد أن قام بالنصح والإرشاد، وهذا الذي ينبغي على العابر، وتجده في رؤيا الملك فسَّرها مباشرةً، وقام بتفسيرها بحذافيرها، وهذا كما هو معلوم من تفسير الأنبياء أنه حق ويقع بما فسَّره، فإذا ذهبنا بقول من قال: إن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عبرها وتأملنا إلى تعبير يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرؤيا السجينين ورؤيا الملك فإنك تجد عبور يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان مختلفًا عن تفسيرات باقي الرؤىٰ، ولهذا فإن رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كانت مختلفة عن باقي الرؤىٰ، فهي كلها علوية، وباقي الرؤىٰ كلها سفلية، وعبور يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إن كان عبرها فهو عبورٌ مختلفٌ على عبور باقي الرؤىٰ الواردة في السورة، وجرى تحققها، والله أعلم.

وأما إن ذهبنا للقول بأنه لم يعبرها فإنك تجد ذلك في مواضع عدَّة، وهي:

من قوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ ﴾ [يوسف]. وقد بيَّنا تفسير بعض الألفاظ من الآيتين.

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: فهذا وقوعها الذي آلت إليه ووصلت. [التفسير (٤٠٥)].

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "التحرير والتنوير" (٢٣/ ٢١٨): ولم يعلم يوسف تأويلها إلا يوم أن قال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾. اهـ

وإذا تأملت فإنك تجد عندما عبَّر للسجينين وللملك لم يقل: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾؛ لأن والده عندما عَبّر له أطلعه بأنه سيكون عابرًا للرؤيا، فلم يتلفظ يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بذلك عند وقوع تفسيره لرؤيا السجينين ورؤيا الملك، وهذا دليل على أن مآل رؤياه كان مختلفًا عما عبره أبوه يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والظاهر -والله أعلم- أن من سياق الآية تجدها أنه لم يطلع من قبل على تعبيرها إذ لو كان اطلع عليه لعطف خطابه إلى ما عبرها له أبوه في نهاية المطاف، ولكن قال: ﴿جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾ [يوسف:١٠٠]، أي: صار مآلها في اليقظة، فهو يعني الرؤيا، وليس تعبيره.

وأيضًا لو كان عبَّرها يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعرف مكنونها لَمَّا حزن على يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولما توجع على فراقه، وذلك كونه يعلم أن من معاني الكواكب غيابها ثم عودتها، وهذا استنباط قوي، ولهذا فإن تعبير رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان مختلفًا أو فيه عدم وضوح للتعبير، والله أعلم.



الجزء الخامس: الأسباب

وهنا نسأل ما هو سبب اختلاف تعبير يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟

والظاهر -والله أعلم- لعل جواب يعقوب ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إنما كان جزء من التعبير، وأدلى بمفهوم عام، وليس مفصّلًا؛ لأن الرؤى في القرآن تأتي واضحة أو تأتي الرؤيا ويعقبها التعبير.

ولعل السبب أنه اكتفى بما أوحى الله إليه، ولعله كان يدرك إشارات رؤياه بأنها تحمل دلالات كثيرة فاختصر بما علمه، ولعل عبوره لها بتلك الصورة خشية على يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من إخوته، فقد ألقوا به إلى الجب بسبب محبته له، فكيف لو علموا بالرؤيا، وهم عابرون للرؤيا ربما قتلوه، وقد كانوا عازمين على قتله.

ولعل الحكمة من ذلك عدم اطلاع يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على تفاصيل الرؤيا من الباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لكي يصل إلى أعلى درجة في البلاء، وكذلك يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالأنبياء أشد الناس بلاءً، ثم الأمثل فالأمثل.

ولعل السبب كان هو عدم زرع الخوف في نفس يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحذّره وهو الأهم، وتكلم على العموم بما ألهمه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فيها من الخيرية.

ولعل السبب في ذلك هو أن التعبير كان ظنًا؛ والظن يخطئ ويصيب فحذّر وبالخيرية عمّ.

أو لعل الحكمة من عدم تفصيل التعبير ومعرفة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بما يُضمرون له لعدم معرفتهم بذلك إذ لو عرفوا بما يُدبرون له لقاموا بتغيير مكرهم بما هو أشد، فإن الحاسد إذا عرف المحسود عن حيلته فإن الحاسد سيقوم بصورة

أخرى وأشد من الأولى، وغير ذلك من الأسباب، والله أعلم.

وأيضًا لو أمعنت في الابتلاءات والمحن التي مر بها يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنها تنطوي لأجل الارتقاء للاصطفاء، فإن المرء لا يُمكَّن حتى يُبتلى، ولكن لم تكن مفصَّلة، ولذا فرَّق بين تعبير الرؤيا وتحقيق الرؤيا.

وهنا نخرج بفائدة وهي: أن الرؤيا يقع تحقيقها وهو مآلها ولكن علينا بالأسباب؛ لأن ترك العمل بالأسباب قدح في الشريعة، كما قال شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسيأتي الإيضاح أكثر في الأجزاء القادمة إن شاء الله تعالى.

وفائدة أخرى: على هيئة صيغة مختصرة لأسباب النوم ومراحل تعبيرها، وهي: النوم مبكرًا، ثم استغراق في النوم، ثم رؤيا أو حلم، ثم استيقاظ، ثم قص الرؤيا على العابر، ثم تعبيرها، فتكون الحصيلة تتحقق أو لا تتحقق.



المبحث الثامن عشر: تحفة نفيسة

ليس وجوبًا أن العابر لا يتمكن من التعبير إلا إذا كان والده عابرًا للرؤيا أو أحد أقربائه، ولعل من ذهب إلى هذا القول أخذها من حال يعقوب ويوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ وهذا القول خطأ.

بل لو أمعنت في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجد نقيض هذا القول، وهناك من ذاع صيته في التعبير ولم يكن أحد أقربائه عابرًا للرؤيا كأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوسف هذه الأمة، بل نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يكن أبواه مفسرين للرؤيا، بل الآية دليل على نقيض قولهم، وهو قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:٦] أي: علم من العلوم، وكما أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يكن شبيهًا لأحد الكواكب في رؤياه كان ذلك دليلًا على خلاف ما ذهب إليه البعض من قولهم: لابد أن يكون هذا العلم متوارثًا، والله أعلم.



المبحث التاسع عشر: الرؤيا مرآة صاحبها

ولها مفاهيم عدّة:

فمنها: إذا كان من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الكواكب أناس، وكما شُبِّه النبي صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بالقمر تشبيهًا، وكذلك أصحابه بالنجوم فإن الرؤيا على قدرها تبيّن معدن وسيرة صاحبها.

ومنها: جاء في الحديث: «**الْمُؤْمِنُ مرآة أخيه**». [رواه البخاري في الأدب المفرد، برقم: (٢٣٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُ عَنْهُ]، وعلى هذا قس في الرؤيا تُظهر لك حاله من حسن فيزيد منه، ومن قبيح فتنهاه لكي يعتدل، فهي تُبيِّنُ لصاحبها الجيد والرديء.

وكما أن القمر شبيه بالمرآة فينبغي لطالب العلم أن يتحلى بصفات حسنة باطنًا وظاهرًا، كما اتصف بها يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذه الصفات بعضها هبة من الله لعبده وبعضها مكتسبة، ونذكر بعض صفات يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من سياق السورة، وهي: الإخلاص، الحكمة، العلم، التقوى، الصبر، الصدق، الأمانة، العدل، الرحمة، التواضع، الإحسان، الفراسة، الإلهام، حدة في الذكاء، قوة في الحفظ، الإيثار، النصيحة، حسن الظن، الزهد، عدم نكران الجميل، الكرم، العفة، علو الهمة، العفو والصفح، الورع، الفطنة، كتم السر، الحلم، وغير ذلك من الصفات الحسنة.

ونبينا صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ كان أكملهم حُسنًا، فقد كان خُلقه القرآن، فإذا كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لقب بالصديق في قوله تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ**﴾ [يوسف:٤٦]، فنبينا صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ لُقِّب (بالصادق)، وهذا أبلغ، وكذلك



(بالأمين) من قبل بعثته، ويوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر الملك بأنه حفيظ أمين، وفرق بين الأمرين، ويكفي نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ بأن الباري سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم]، فقد كان خلقه القرآن، فافهم ذلك.

وقد جاء في الحديث «**وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا**». [رواه البخاري، برقم: (٧٠١٧)، ومسلم، برقم: (٢٢٦٣)، واللفظ له]، فمن صدق مع الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ومع الناس في السر والعلن قولًا وعملًا؛ فرؤياه حق، وأحق أن تتشبث بفوائدها، وصلة هذا المعنى بالكواكب من الشمس والقمر وذلك من إنارتها ونوره، ولصفائهما، والناس في هذا على درجات متفاوتة، ونظير ذلك في صدق العابر، فكلما كان أصدق كان تأويله أصوب وأدق، وذلك من قوله: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ [يوسف:٤٦]، فصلاح العبد وتقواه له تأثير كبير في الرؤيا، وبقي هناك مفاهيم أخرى فتفطن لها.



المبحث العشرين: الـثُّريا

دلالة أن الإشارات المختلفة دالة على مخرج واحد، فكما أن الكواكب ومنها الشمس والقمر إن اختلفت أو افترقت لكنها تتقابل وصُيِّرت إلى مصير واحد وهو السجود من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو معنىً مجملًا وإن كان فيه تخصيص لكن مآله كان إلى حدث عام، ونظيره ما جرى بين يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإخوته من الفرقة، وكان في الأخير الاجتماع، فاعتبر الجزء إلى سياقه العام، خصوصًا إن أتت الجزئية على حسب ما سيق في القرآن أو في السنة النبوية.

ففي القرآن الكريم قد يكون المعنى لعدَّة كلمات أو من الكلمات تدل على معنى واحد مثال: رأى أنه يقرأ أو يسمع قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبًا﴾ [يوسف:٤]، أو قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:٦] ونحو ذلك من السياق للحدث، فإنه يقع له بعض مما تقدم ذكره، ونظير ذلك إذا أتت كـ: حدث، حادث، أحاديث، نبأ، فدال على شيء مما سبق بيانه، ونحوه إذا أتت كـ: تأويل، وإذا أتت كـ: قصة، قصص فاحكم بأصول التعبير نحو ما ذكرنا إن كان يليق به.

كما قال لي إنسان: أراني أقرأ قوله: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ﴾ [يوسف:١٠٠].

قلت له: لك رؤيا قديمة وستقع وتُحسد من قبل إخوتك.

وقالت امرأة: رأيت تابوت موسى الرضيع على النهر.

قلت: فطمت رضيعك وتشعرين بحزن عليه.

فقالت: صحيح.

قلت: وسيكون لهذا الغلام شأن.

وأخرى تقول: رأيت قليلًا من الناس، وكان هناك رجل متكئ، وأرى جنبه وظهره ولا أرى وجهه، وفجأة قام وكنت أقول: إنه موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قلت: في الغالب لا ترين من زوجك إلَّا ظهره أو جنبه، وذلك لأنه مريض.

فقالت: صدقت.

قلت: ورُزقتِ بغلام ومرض بمرض الحرارة، وكاد أن يهلك، وأُدخل في الحضانة التي تشبه التابوت، ومكث أيامًا، وهو لا يرضع منك، وحزنتِ عليه، ثم عاد إليك.

فقالت: صحيح.

قلت: ويحصل رفعة لأبيه، ولعل في وجهه عيب، وهو خامس إخوانه وأوسطهم، وأنت تعاني من النسيان.

فقالت: صحيح.

قلت: ويهلك جبابرة طغوا في البلد عما قريب.

وعلى هذا فقس في الحدث حسب السياق، والله أعلم.



المبحث الحادي والعشرين: هداية من رب الكواكب

ومن الدلالات المليحة والغريبة والفريدة هو تأويل كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأحاديث نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إن أتى في المنام على الاشتقاق والمعنى والأسماء وغير ذلك من الأصول، وهذا قد يبدو غريبًا لطالب العلم، ولكن هذه القاعدة دلالتها من رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لو أمعنت فيها، فإن المتأمل في رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذُكرت في القرآن الكريم وصار عليها أصول التعبير بنحو ما ذكرنا من معاني الكواكب والشمس والقمر، وكذلك حتى مآلها من أحداثها التي جرت في السورة، وكما جرى في رؤيا الملك، وهذا كله إشارة لنا أننا نحكم على كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكذلك على أحاديث نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة.

كما قال لي إنسان: رأيت أحد الإخوة يقرأ قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١]، وكنت أنظر إليه، ثم اتجه إليَّ وقال لي: بقي مائة وعشرون يوما، فمكث الأخ خائفًا، ويعد المائة والعشرين يوما ولم يجرِ شيء.

قلت له: هل كان والده في سفر، وكان ينتظر عودته وعاد بعد مائة وعشرين يوما من الرؤيا.

فقال: نعم.

قلت له: هذا هو التفسير، وذلك بأن الله يُفسَّر بالوالد والملك والعالم ونحو ذلك.

وآخر يقول: رأيت أني أقرأ قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧] أو نحو ما يحث على الصَّبْر.



قلت له: تشكو من مرض، وقد ضاق بك الحال، أليس كذلك؟

فقال: بلى.

قلت له: عليك بعشبة الصَّبِرِ، فبرأ.

وعلى هذا فقس في الأحاديث، وهذا مسلك لم يسلكه أحد من قبل ومن بعد حسب علمي، وذلك من فضل الله عليَّ فاعمل به.



الباب الثاني عشر: الرفعة والإجلال





المبحث الأول: عبد العزيز ابن عزيز.

المبحث الثاني: فخار ملؤها صفراء وبيضاء.

المبحث الثالث: إذا جادت الكواكب عليك فجُد بها.

المبحث الرابع: اختلاف الشمس والقمر.

المبحث الخامس: ما أسعد أهل السنة به.

المبحث السادس: تُحف من يوسف.

المبحث السابع: ما من مسألة إلَّا وهدايتها من الكتاب والسنة.

المبحث الثامن: اجتماع بعد غياب.

المبحث التاسع: تاج مُكلَّل.

المبحث العاشر: هذا ليوسف ولابنه.

المبحث الحادي عشر: القمر يتسع.

المبحث الثاني عشر: رؤياك يا قمر قمر.

المبحث الثالث عشر: دواء ربيعي.

المبحث الأول: عبد العزيز ابن عزيز

ومن المعاني الحسنة: الدالة على العزِّ والتحدي، فقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عبدًا لعزيز مصر، ولم ينزع ماء الحياء من وجهه، فأعزَّه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وصار يُنادى بالعزيز، ورفضه لامرأة العزيز بعد تهديده بالسجن دلالة على الشموخ مع أنه عبد لهم، وهي زوجة العزيز ونظيره رفضه لإجابة الملك حتى تظهر براءته، وهذا يدل على الإفحام والعزِّ والثقة بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وذلك من خُلُقِه الشريف، وهذا من نُدُر النُّدر في زماننا عندما تسمع أن هناك من النفوس إذا ظُلِمت تجردت من عروض الدنيا مع إتيانها هرولة، والمتأمل للكواكب فحالها ذات قدر ومنزلة رفيعة، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ [الواقعة:٧٥]، فقد أقسم الله بمواقعها، وهذا يدخل في إحدى معاني العز، وكما جاء في "صحيح البخاري"، برقم: (٣٣٧٢)، و"مسلم"، برقم: (١٥١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**»، وفي "مسند الإمام أحمد"، برقم: (٨٥٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ كُنْتُ أَنَا لَأَسْرَعْتُ الْإِجَابَةَ، وَمَا ابْتَغَيْتُ الْعُذْرَ**»، وقد عاش في عز في قصر العزيز، وكان يُنادى بالعزيز.. كما في السورة.

ومما يُستدل به على التحدي من إشارة الكواكب قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يا عماه، والله لوْ وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ما تركتُه**»، وإن كان الحديث ضعيفًا، فللحديث طريقٌ آخر ما جاء عن عقيل بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: جاءت قريش إلى أبي

طالب فقالوا: أرأيتَ أحمد يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا فانهَهُ عن أذانا، فقال: يا عقيل ائتني بمحمد، فذهبتُ فأتيته به، فقال: يا ابن أخي إن بني عمِّك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم، وفي مسجدهم فانتهِ عن ذلك، قال: فلحَظ رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ ببصره -وفي رواية فَحَلَّقَ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ بَصَرَه- إلى السّماء، فقال: أتَرون هذهِ الشَّمس؟ قالوا: نعم، قال: ما أنا بأَقدرَ على أن أدَعَ لكُم ذلك مِنْ أن تُشْعِلوا لي منها شُعْلة - [يعني: الشمس] -، قال: فقال أبو طالب: ما كَذَبنَا ابنُ أخي قط - [أبدا] -، فَارْجِعوا. رواه الطبراني وأبو يعلى، وحسَّنه ابن حجر، وحسَّنه كذلك الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٩٢).

ومما جرى بين إبراهيم عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ والنمرود، وذلك من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [البقرة].

وإذا تأملت نداء إخوانه له لوجدته بذلك حتى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ﴾ [يوسف:٩٠].

وإذا تأملت من بعد ذلك في السورة فلم يُذكر في السورة أن نادوه بالعزيز من بعدها، ولعل ذلك من تواضعه لهم، والله أعلم.

وتأتي العزيز بمعنى: الغلبة، وقد جرى له ذلك، وأيده الله بذلك من قبل، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف].

وتأتي بمعانٍ أخرى، ولما كانت العزة بغير الله مذمومة كان جزاء ذلك إلى ذل وهوان، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩﴾ [النجم]، ونحوها من الآيات.

وربما كان اسم الرائي أو اسم أبيه عبد العزيز، أو عبد الكريم، وإن كانت أنثى فيؤنث كعزيزة أو كريمة، أو نحو هذه الصفة، فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى.





المبحث الثاني: فخار ملؤها صفراء وبيضاء

ومن المعاني المليحة: الدالة على الغنى، وذلك من الذهب والفضة ونحوها، ومنه غنى النفس، وارتباط هذا المعنى بالشمس والقمر، فإن الأموال قديمًا كانت من الذهب والفضة، ومنها الدينار والدرهم، وهي شبيهة بالشمس والقمر، فتلك صفراء ذهبية كالشمس، والأخرى بيضاء فضية كالقمر، فدلالة أيضًا على البيع والشراء، وهي التجارة كما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع إخوانه، وكما أشرنا سابقًا بدلالة المعيشة، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [النحل:١٢].

وسخر الله لكم الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا، والنهار لتكسبوا فيه ما تعيشون به، وسخر لكم الشمس، وجعلها ضياء، والقمر وجعله نورًا، والنجوم مذللات لكم بأمره القدري.

وقد جرى على يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في بدء أمره فكان حاله لا يُعبأ له، قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾ [يوسف]، ثم ملكه الله وأعزّه وأغناه، حيث قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [يوسف].

ومن قوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠١﴾ [يوسف].

فهنا مُلك وعلم وغنى النفس؛ لأن الهمَّة عالية وسامية، ومع ذلك كان يجوع ليشعر بجوع الفقير في سنوات القحط.

ونبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان غني النفس مع ما كان يمر به من شدة، ومع ذلك لم يلتفت إلى زهرة الدنيا، وعُرِضت له في بادئ الأمر من قِبَل كفار قريش فأعرض عنها، وفي آخر عمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عُرِض له الملك والدنيا فلم يقبل إلَّا الرفيق الأعلى، وهو رب الشمس والقمر، ورب كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والأموال في المنام: دالة على مكتوب أو عودة غائب، أو منفعة من الأقارب، أو على الأموال، ونحو ذلك، وهذه جرت ليوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعلى هذا فقس فيما يشبه النجوم كالبيض وشبيهه، فافهم ذلك.



المبحث الثالث: إذا جادت الكواكب عليك فجُد بها

ومنها: دالة على الكرم والجود، وذلك من طبائع معدنه أو تخلّق به من آبائه، وليس الكرم والجود محصورًا بالمال، بل هو أوسع من ذلك لكيلا يُحرم منه الفقير، والغني إن صدقت النيّة من قبل ومن بعد، وأفردنا هذه الدلالة كونها صارت مفقودة في زماننا إلا ما رحم ربي، والله المستعان.

ومعنى الكريم: الشَّريف الطَّاهر الرَّفيع المنزلة، وهذا شبيه بالكواكب ورفعتها ومنقبتها وتَشرُّف قدر الشمس والقمر من بين الكواكب في مواضع عدَّة من القرآن، ومنه في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فصاحب الكرم لا يمنُّ إذا أعطى، وتكثر منافعه وفوائده.

وقد سخر الله الكواكب والشمس والقمر لنفع العباد، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الرعد:٢].

ذلَّل الشمس والقمر لمنافع خلقه، ويقال: جادت السماء بعد جفاف، أي: أمطرت بغزارة، وهو شبيه بعام الغيث بعد سنوات القحط.

ومن صور الكرم: الجود، فعندما أتى إليه الساقي لتأويل رؤيا الملك لم يعاتبه عما بدر منه من نسيان أمره.

ومنها: لما كان الجود أحيانًا تطبع من الأب أو الجد فقد جادت عين يعقوب بالدمع على فراق يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولما جاد يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بخدمة العباد في تفسير رؤاهم وهو في كُربة جاد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه من جنس عمله.

وقد جاء في السنة كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الكَرِيمَ، ابْنَ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ**»، وذلك لأَنه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعِفَّة وكَرَم الأَخلاق والعَدل ورِياسة الدنيا والدين، فهو نبيٌّ ابن نبيٍّ ابن نبيٍّ ابن نبي رابع أربعة في النبوة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

ولم يجتمع لنبي توافق النبوة مترادفة إلى رابع جد إلَّا له.

ويقال: كَرُمَ السَّحابُ إذا جاء بالغيث، وإذا تأملت إلى معاني الكرم عند أهل اللغة لوجدتها في يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومنه الحلم والصفح عمن أساء إليه، وهذه الصفة اتصف بها يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجاه إخوانه، وذلك من قوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف].

ومع امرأة العزيز، ومن كرمه قوله أيضًا: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وَكَرَمِهِ فَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْبَقَرَاتِ الْعِجَافِ السِّمَانِ وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ مَا أَخْبَرْتُهُمْ حَتَّى أَشْتَرِطَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُخْرِجُونِي وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وَكَرَمِهِ وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ حِينَ أَتَاهُ الرَّسُولُ وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ لَبَادَرْتُهُمُ الْبَابَ**». [رواه عبد الرزاق في التفسير مرسلا عن عكرمة]، وهذا في غاية الكرم.

ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بلغ بالكرم أعلى مرتبة، فقد كان أجود من الريح المرسلة، وهذا أبلغ، ومن الأمثلة في كرمه منه: عطاؤه في حُنَيْن، ومنها عفوه على أهل مكة وغير ذلك مما في سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعندما سُئل أجاب بأنه

يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا من تواضعه فزاده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رفعة، وجعله أفضل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

وأما الحِلم فقد كان إمامهم في مواقف عدَّة في سيرته، ولما كان الصابر جميلًا كان الحليم كذلك، وربما زيادة، ولذا تجد اللفظة: (جميل) من القرآن الكريم في سورة يوسف، وكذلك لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ في سورة الحجر، من قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر]، فافهم ذلك.

والمتأمل في حال القمر يجده دلالة على الخُلق الحسن، كما أن الشمس دلالة على الجُود والكرم.

وهناك ارتباط بين الكرم والصبر، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا. [رواه ابن أبي الدنيا في الصبر والثواب، برقم: (٦)].

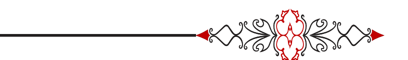


المبحث الرابع: اختلاف الشمس والقمر

ومن الإشارات من رؤيا يوسف اختلاف الرؤيا، ولكن على غير ما سبق ذكره، وهذا مستنبط من اختلاف الشمس والقمر، وكذلك اختلاف الليل والنهار، فتختلف باختلاف مذاهبها، وتنصرف عن أصولها بالزيادة الداخلة والكلمة المعترضة، وانتقالها عن سبيل الخير إلى سبيل الشر، باختلافات متعددة، وهذا في غاية الأهمية، وهو أصل كبير عليك أن تجعله نصب عينيك، ولا يجوز إهماله أصلًا، وبدون هذا الأصل تخطئ كثيرًا، ومن حكم برداءة ذلك فقد أبعد النجعة وليس بصحيح.

واختلاف الليل والنهار شبيه باختلاف أحوال الناس، فيختلف المنام باختلاف الأديان، ويختلف باختلاف الزمان، ويختلف باختلاف الكَمّ والكيْف، ويختلف باختلاف المعيشة والرزق، ويختلف باختلاف المكان والصنعة ونحو ذلك، ويختلف باختلاف اللغة، فلعل لغة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في زمانه لم تكن العربية، وكذلك مع أهل مصر، وتجد القصة في القرآن الكريم باللغة العربية، كما ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل عليهم الصلاة والسلام، بسفارة أشرف الملائكة عليه السلام، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه.

وهنا دلالة على أن الرؤيا إذا رآها العربي وفيها ألفاظ لغة أخرى فإن تفسيرها للعربية معنىً أو عربيًا من نطقها، وإن كانت عربية ومعناها عند صاحبها آخر فتُعتبر



على لغته.

مثال: السفرجل.

فيُعتبر للفارسي بَهي، وجمال وراحة، وللعربي دلالة على السفر والجلاء، أو العافية للمريض، وهناك فصول لهذا الاختلاف تحدثنا عنها في ربيع المنامات، وعلى هذا فقس الاختلاف في علم الرؤيا.



المبحث الخامس: ما أسعد أهل السنة به

ومن العلامات: الدالة على السَّعادة، فالسعيد من أخذ منه، فإن كان من أهل الصلاح ومن معدن نفيس فلا تُغيِّره أغبرة ممن حوله، ولا دخيلة شائبة، ويبذل قواه لخدمة العباد؛ لأن تقوى العبد وتوحيده ونَفَاسة معدنه له أثر كبير في الرؤيا، فحاله كالشمس عند إشراقها، وكالقمر يُستنار به لدرء تَخبُّط الأكابر والعلماء ونحوهم من فتن متلاطمة تسعى للنيل من العلماء والعامة؛ لتجعل البلاد جرداء، فحاله كالدواء فيهيئه الله تعالى لإرشاد من دل على الكواكب، وينحت سردابًا حتى تظهر سالمة على ظهر الأرض، وحاله أيضًا أينما حفر نبع الماء، وإن حفر في الصحراء فسعيد وسعادة لمن عاشره.

فالرؤيا وعابرها بمثابة طريق للخلاص من المعضلات وحل للمشكلات، وهذا ما جرى من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للأكابر والعباد والبلاد، فيا لها من سعادة جُلبت إليهم بسببه، ويا له من عبء ثقيل خَفَّفَه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عنه وألهمه الصبر والثبات، فهنيئًا لمن اصطفاهم الله نجومًا يُهتدى ويُسعد بهم، ولهذا اتصف بالكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم.

وكم من رؤيا تكررت وأُهملت وظلت إشاراتها في النسيان، ولو قُصَّت على عابر فطن لأخرج ما في جعبتها من فوائد وأسرار ملاح تُسعِد العباد والبلاد.

ولما كان نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يسلك الطريق الحسن من اسمه حين هاجر إلى المدينة كان على هذا النحو نصيب من اسم إحدى مرضعاته صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهي من بني سعد، فقد كانت سعادة البشرية منذ ولادته، وفي اتباع نوره

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والشقاء كل الشقاء لمن خالف وأعرض عن الطريق المستقيم، فإن الشقّي عند أهل اللغة: الضَّال غير المهتدي، فهو يتوافق لمعاني النجوم عند نورها أو اختفائها.

وكما قيل: ولكل شيء من اسمه نصيب، ومن الكواكب سعد وكما عند أهل اللغة: ويومٌ سَعْد، وكوكبٌ سعد، وُصِفا بالمصدر؛ وتقول: سَعَدَ يومُنا، بالفتح، يَسْعَد سُعودا. وأَسعده الله فهو مسعود. ولا يقال: مُسْعَد كأَنهم استَغْنَوا عنه بمسعود.

والسُّعُد والسُّعود، الأَخيرة أَشهر وأَقيس: كلاهما سعود النجوم، وهي الكواكب التي يقال لها لكل واحد منها سَعْدِ كذا، وهي عشرة أَنجم كل واحد منها سعد، وهذا من الاسم، والله أعلم.

والسعيد في الدنيا والآخرة من ابيض وجهه في الدارين، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ** ﴾ [آل عمران:١٠٦]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تبيّض وجوه أهل السنة. اهـ وقد تقدم ذكر ارتباط البياض بالقمر.

ولما كان إخلاص المرء سعادة عليه وعلى الناس جرى ذلك سعادة الناس برسول الله يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**». [رواه البخاري، برقم: (٦٥٧٠)]، فبإخلاصه كان سؤاله نفيسًا، ولما كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاليَ الهمة وصاحب إخلاص جرى لهذه البشرية السعد من الأحاديث المروية عنه، وصار محبوبًا ولا يكرهه إلا منافق، فتفطن لذلك.

المبحث السادس: تُحف من يوسف

على طالب العلم أن يُمعن في حاله الماضي والحال وما هو قادم؛ ليتفطن ويتعلَّم، وكذلك في رؤاه الماضية والحاضرة والقادمة، فإنك تجد رؤيا السجينين، ورؤيا الملك كل معالمها لها دلالة ومرجعية بشواهد رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإن خدمة السجينين شبيهة في المخلوقات التي هيأها الله لنفع وخدمة عباده، ومنها الكواكب، وانتفاع الأشجار والنبات بها، ومنها الفواكه والثمار والحنطة والطيور، وهذا من خدمة الساقي جوار الملك في الاعتبار، واستنباط عدد السنين من عدد الأبقار له صلة في الوقت، فكلما كانت معالم الرؤيا رفيعة كان ما دونها له دلالة بها، وقس على ذلك بعلم التوحيد، فإنك مهما بلغت من العلوم وكنت صفرًا في التوحيد فهو إلى زوال؛ لأنه لا يستمد العبد قوته وعلومه إلا بالإخلاص وإلا فلا، ودلالة ذلك من الكواكب هو تقارب الكواكب من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكأنها مترادفة أو متجاورة، وهكذا جرت أحداث من بينها رؤى مختلفة لكي يقع المآل للرؤيا الأولى الرفيعة العظيمة الشأن.

وكذلك كما تواطأت الرؤى لليلة القدر في عهد النبوة.

وسؤال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عند كل غداة: «**من رأى منكم رؤيا**» دل على الحرص والمتابعة والعلم كذلك، فافهمه.



المبحث السابع: ما من مسألة إلا وهدايتها من الكتاب والسنة

فكما أن الله خلق الكواكب ومنها الشمس والقمر وسخَّرها لمنفعة العباد ومن تلكم المصالح لحفظ صحة الأبدان، والمعيشة ومن دونهما يحصل نكد في ذلك وهذا كله بأمر الله سبحانه تعالى، ومما سبق ذكره من تشبيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تارة بالشمس وإنارتها، وتارة بالقمر ونوره وذلك لمعانٍ عدة ومنها الهداية، فاعلم أنه ما من مسألة أو معضلة إلَّا ولها مخرج من الكتاب والسنة كما جرى لحل معضلة الملك، وقس ذلك في تعبيرك للرؤيا.

وبما أن القمر ملازم للشمس في رؤياه، وظهور أحدهما في الليل، والآخر في النهار فدلالة على أنه لا تناقض بين الكتاب والسنة، وهذا من باب التشبيه.

وإذا تأملت إلى تفسير الرؤيا فمن أصول التأويل التعبير بالشِّعْر، فإن كان الشِّعْر مذمومًا فهو مردود، وصلة ذلك بهذه السورة فإنها نزلت عند بدء الإسلام، فكانت قصته ركيزة أساسية ومرجعية لكل طالب علم لما فيها من العبر والعظات من اليقين والصبر والمجاهدة والدعوة والعلم والمآل إلى الرفعة ونحوه، فكانت ركنًا وزادًا لأهل العلم خصوصًا لمن يطلب هذا العلم، وهو علم الرؤيا، بل ربما علم التعبير كله تجده في هذه السورة، والله أعلم.

واعلم أنه لا يؤخذ من الرؤيا أحكام فقهية، فقد اكتمل هذا الدين، وأتم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعمته على عباده.

قال الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشرائع لا تؤخذ من المنامات. [المحلى (٦/ ٢٠٨)]

وقد تأتي الرؤيا استئناسًا لطالب العلم بمسألة أشكلت عليه، فتأتي الرؤيا تُرشده

للخلاص مما هو فيه، كمرجعية إلى كتابٍ أو كلامٍ مسموع ونحو ذلك، كما جرى لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في المنام وأرشده بالشرط.

واعلم أن الرؤيا إذا كانت على الديمومة أضغاث أحلام أو من الشيطان فليراجع العبد حاله مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا مستنبط من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحاله، أو كان السبب لأمر آخر؛ وهو أن البدن يشكو من فساد أحد الأخلاط ولم يحصل الاستفراغ بأصوله المعلومة في الطب النبوي.

واعلم أنه ينبغي للعابر ولمن رأى أن يعتني بالرؤيا، وإن أتت مرة واحدة، وهذا من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويعتني كذلك إن تكررت، ودليله سيأتي في رؤيا الملك إن شاء الله تعالى.



المبحث الثامن: اجتماع بعد غياب

ومنها دالة على الاجتماع، فجرى لم الشَّمْلِ بعد الفرقة، فمن رؤياه نستنبط أنه كان لابد من افتراق عن الكواكب، وذلك من طبيعتها ومن ثم الاجتماع.

ونستنبط أيضًا قاعدة الجمع في العدد ونحوها من القواعد الحسابية، والدليل على معنى الاجتماع من الشمس والقمر، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨﴾ [الانشقاق]، فقد أقسم الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالقمر إذا اجتمع وتمَّ وصار بدرًا.

وقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ٩﴾ [القيامة]، فهنا صفة لاجتماعهما معًا، وإن كانت الآية لها تفسيرًا آخر، وجرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذلك، أعني الاجتماع بأبويه وأهله أجمعين كما تقدم ذكره.

ولما كان الشمس والقمر متلازمين كالصحبة والقرابة ويعبران بالأم والأب كانت الشمس متقدمة في مواضع عدة في محكم تنزيله حتى في سورة يوسف، وهنا دلالة على طاعة الأم في المقدمة من غير معصية الخالق، فما كان في الرؤيا مفضّل في القرآن والسنة عليك الاعتناء به، ولهذا جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» الحديث [رواه البخاري، برقم: (٥٩٧١)، ومسلم، برقم: (٢٥٤٨)].

وتجد في مواضع عدة من الوحيين؛ اقتران توحيد الخالق بطاعة الوالدين.

ولهذا من الأمور الحسنة والتي هي من سجية طبائع يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

وجرت منه عدم تشهير امرأة العزيز في السجن، وذلك كونه لم ينكر إحسانها إليه، ولم ينسَ قول العزيز: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ [يوسف:٢١].

ولم ينتقم من إخوانه.





المبحث التاسع: تاج مُكلَّل

ومنها: دالة على الفخامة والعَظَمَة والزَّهو، وبما أن الكواكب رفيعة عظيمة كانت دلالة على المنصب العظيم والمكانة الجليلة، وإذا تأملنا في رؤياه لوجدت أن العتبة الأساسية هي العظمة، والرَّبط بين هذا المعنى والكواكب؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضرب مثلًا لنوره وقرن ذلك بالكوكب، وذلك لعظمتها من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل، وذلك من قوله: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ [النور:٣٥].

وسبحان الله! وجلَّت عظمته؛ لا يصف نفسه إلا لعظمته بما يليق به من ذلك الشيء العظيم، قال سبحانه تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى]. فدالة على الرفعة والسلطة والمكانة العظيمة، ولعظم الكواكب أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها، وذلك من قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾ [النجم].

ولا يُقسم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلا بعظيم، ويُقسم بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الولاية والشرف والتقدير والعظمة، وذلك من قوله سبحانه تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ ﴾ [يوسف:٢١]، وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف].

وكذلك ما حصل من سجودهم له، ولا يُسْجَد إلَّا لعظيم، وكان منهم بمعنى

التوقير والإجلال له، فحاله كحال ملك رُصِّع تاجه بياقوت وياقوتة؛ أي: بإحدى عشرة جوهرة، وهنا رفعة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على إخوته، وإن كانوا مبجلين عُظماء عند قومهم، وذلك كونهم كواكب على ما أسلفنا لكن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان أرفع وخَصَّصَه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بذلك، وليسوا بأنبياء، ودلالة ذلك من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وجاء عند ابن ماجه، برقم: (٢٢٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»، وهذا يَعضُد فضل يوسف على إخوته، وأنهم عبّاد مؤمنون، وليس بينهم نبي عدى يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وارتباط صفة الزّهو بالكوكب بمعنى المنظر الحسن، وذلك من قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦﴾ [الصافات] ونحوها من الآيات.

كما قال لي شيخنا عبدالحميد الحجوري حفظه الله: بعد أن خرجنا من دماج رأيت الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله مرتفعًا كالقمر، وكان الشيخ ربيع المدخلي ينظر إليه ويشير لأصحابه.

قلت: يرتفع ذكر شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله، وعِزٌّ، وجَاهٌ له، وعلمه يكون نورًا يُهتدى به، وسيرجع الشيخ ربيع عمَّا بدر منه، ويشير لأصحابه باعتراف منزلة وقدر شيخنا يحيى حفظه الله ويطلبون منه العفو، والله أعلم.

فائدة: إذا تأملت إلى سورة يوسف وسورة النور؛ تجد بينهما دلالة مشتركة وهي الكوكب ونوره، **وقلنا**: إن سورة يوسف نافعة للمحسود، فمن هذه الإشارة المشتركة نستنبط أيضًا أن سورة النور نافعة ولها تأثيرًا قويًا لمن ابتلي بمس فاحش

وذلك للقرينة تلك، وأيضًا لما في السورة من وعيد شديد لأصحاب الفواحش من الزنا ونحوه، كما أن سورة يوسف فيها مذمة الحسد، والله أعلم.



المبحث العاشر: هذا ليوسف ولإبنه

ومن الحِكَم: الدالة على غلام فيه مما تقدم ذكره من الدلالات فيُرزق غلامًا عابرًا ماهرًا خصوصًا إن كان من رأى نحو رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عابرًا للمنامات، وتجري على الغلام أحداث جرت لأبيه من قبل، ويذاع صيت ابنه في الرؤيا وعلوم أخرى، وهذا من نُدر النُّدُر، ودليل ذلك من قصة يوسف وأبيه عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف].

ومن الأحداث كما جرى لأبينا إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من رؤياه وغربة ولده إسماعيل جرى ذلك ليعقوب مع يوسف عليهم الصلاة والسلام، وكما جرت سنين شداد في عهد يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جرى ذلك في عهد نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، لكننا العرب نعود إلى إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وليس إلى يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولكن الرَّابط هو الإسلام كما هو ارتباط الكواكب جوار بعض، ومشتركة في بعض الصفات وتفضيل بعضها.

ولعل ذلك إشارة أن بعض أحداث يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ستقع في النادر لمن رزقه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ذلك، وإذا تأملت إلى رؤى أئمة التعبير فيمن سلف فإنك تقرأ عن بعضهم يحكي رؤياه وفيها يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كرؤيا ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره ممن ذُكر عنهم في بعض الكتب.

وقس على ذلك في الأحداث من القحط والغلاء في أزمنة مترادفة، ومما يَعضُد

ذلك انظر إلى "البداية والنهاية" لابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما كتبه عن حياة صلاح الدين يوسف بن أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والتوافق العجيب ببعض الأمور شبيهة بما جرى ليوسف بن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأشعر الشعراء حول هذا التوافق، بل وتحدث صلاح الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك عندما التقى بأخيه بعد غيابه، فقال لهم: أنا يوسف وهذا أخي، وتجد التوافق حتى في الاسم، وهذا من الوقائع الملاح.

ومما يَعضُد هذا الفصل مما جرى ليوشع بن نون عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ المتقدم ذكره فهو أيضًا من أحفاد يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وإذا تأملت في عدد الأيام والشهور والسنين فإن تشابه الأعداد من عدد اليوم والشهر والعام في آن واحد يجري بعد كل مائة وأحد عشر عامًا.

مثال على ذلك: فإذا كان اليوم هو الرابع من الشهر الرابع ربيع الآخر من السنة الهجرية أربع وأربعين وأربعمائة وألف فإن نظيره وهو اليوم الخامس من الشهر الخامس جمادى الأول من السنة خمس وخمسين وخمسمائة وألف يجري بعد مائة وأحد عشر عامًا، وهذا دال على عدد الكواكب من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وارتباط الشمس والقمر بالأيام والشهور والسنين، فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

ربيعية:

ولما كانت الكواكب والشمس والقمر متجاورة في رؤياه ويعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان من دلالات القمر ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شأنه مفصلًا ومرارًا في أحداث سورة يوسف أكثر من غيرها من سور القرآن، وقد ضرب لنا أجمل درس في حسن الظن بالله، والله أعلم.

المبحث الحادي عشر: القمر يتسع

ومن المعاني للقمر: دالة على السَّعة، ولها معانٍ عدَّة؛ فإن القمر منذ هلاله يبدأ شيئًا فشيئًا في الاتساع حتى يصير بدرًا، والناس تنظر إليه وتتأمل بحرص، ولهذا ينبغي لطالب العلم أن يكون حاله كذلك في السعة في العلم والحفظ، فكما قيل: من طلب العُلى سهر الليالي، وتجد ذلك في يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾ [يوسف]، وإن كانت الآية تحكي أمرًا آخر على قول بعض المفسرين إلَّا أنه ينبغي لطالب العلم أن يكون عنده سعة في الحفظ مما يتعلَّمه ومراجعة ذلك، وهو أمر في غاية الأهمية، قال تعالى: ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾ [يوسف] فعرفهم وما زال حافظًا لهيأتهم.

والمعرفة بعلم، والعَريف والعارِفُ بمعنًى، مثل عَلِيم وعالم.

قال طَرِيف بن مالك العَنْبري: وقيل **طريف بن عمرو**:

أَوَ كُلّما وردَت عُكاظَ قبيلةٌ بَعَثُوا إلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ؟

أَي: عارِفَهم، والبعض تجده يشتكي من النسيان بعد أن كان متمكنًا، فمثل حاله كحال الشمس زاد حرُّها وذهبت برودة القمر، ولعله بسبب التقصير أو مادة رديئة في البدن خصوصًا أصحاب المزاج الصفراوي أو السوداوي، وتذهب بأصول الاستفراغ من الطب النبوي.

ومما يستدل به على الحفظ من الكواكب هو حفظ معيشة الناس بسبب هذه الكواكب التي سخرها الله لعباده ففيها منافع جليلة على الخليقة كلها، وتجد تقلُّب الفصول وزيادة في الحرارة أو البرودة، وما إلى ذلك، وهذا إنما لحفظ الأبدان

والمعيشة، وغير ذلك من المصالح.

وقد أحكم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأتقن بعلم من الله على حفظ الحنطة، وكما ظلَّت رؤياه محفوظة في ذهنه بعد عقود من الزمن.

وعِلمٌ بلا فَهمٍ ولا حِفْظٍ فهو كالإناء المثقوب، وقد تقدم ذكر بعض الآيات مما يَعضُد هذا الفصل، وأضف إلى ذلك إلى حال الشمس مع أصحاب الكهف كيف سخرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أبدانهم لحفظها.

وهنا فائدة: وهي إن كان الإنسان متقنًا لأمر فيحق له أن يثني على نفسه به، كما ذكر ذلك بعض أهل العلم.

وقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يملك سعة الصدر، وذلك بِاتساعه وقدرته على التَّحَمُّل.

قال ابن المقفع: فَلاَ قِوَامَ للرَّعِيَّةِ إلَّا بِحُسْنِ سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ وَسَعَةِ أَخْلاَقِهَا.

كما قال لي إنسان: رأيت القمر يقترب إلى الأرض.

قلت: منذرة بفيضانات ونحوها من الحوادث، فجرى ذلك.

ولن تتوقف هذه الآية إلا أن يشاء الله ربّ العالمين بلطف ورحمة منه.



المبحث الثاني عشر: رؤياك يا قمر قمر

ومن الحِكم أن رؤيا العلماء أو العابر الكبير ونحوهم ممن دل عليه الشمس والقمر، وزد إذا رأى نحو هذه الرؤيا؛ فإن في حياته وسيره وأحداثه هداية للناس، فحاله كالمدرسة للأجيال، وينهل منها طالب العلم، وذلك لرفعة معالمها، وكذلك رفعة لصاحبها بقدر شغفه للعلم، فإنك عندما تطالع في سيرة الأئمة من السلف تتزود مما جرى لهم عبرة وعظة، وتقوية للروح، وكذلك للبدن فهم كالنجوم تظل هداية للأجيال كرؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حفظها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منذ ثلاثة ألاف سنة، ولم نصل إلى حد عجائبها وأسرارها، ويكفي من ذلك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكرها في كتابه العزيز، وكأنها إشارةً لنا أن نُخلص في هذا العلم، وسيرفعك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقدر ذلك.

وطالب علم الرؤيا عليه أن يختبر حاله في الرؤىٰ التي في كتب أئمة التعبير من السلف فيُعبِّرها قبل أن يطالع في عبور المؤلف، ومن ثم سيدرك حاله ومستواه، فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى.





المبحث الثالث عشر: دواء ربيعي

فائدة: لشارب هذا الدواء إن مَنَّ الله عليك برؤيا في أي وقت من الأوقات فاقصصها لعابر عالم، فإنه قد تأتي ببشارة بالعافية، أو ترشدك بما يتوجب عليك القيام به؛ فإن معرفة المرض وكيفية علاجه قد يكون برؤيا صالحة.

واعلم أنه يتوجب عليك أن تصلح قلبك مع خالقك، فإذا صلح القلب صلح البدن، وإن ابتلاك الله بعلة من العلل فانظر إلى قدر الدنيا وما أعده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأهل البلاء، فإن ذلك يهون، والعاقل من يقدم الأعلى على الأدنى.

عليك أن تحضر سنا مكي وريقات وقم بتصفيته من الأعواد، ثم يُدق أو يُطحن ثم يغربل جيدًا حتى يصير كالغبار، ثم يؤخذ من هذا المطحون من السنا مقدار ملعقة طعام كبيرة، وتُعجن بالعسل بمقدار ملعقتين أو ثلاث ملاعق من العسل، ثم يُعْجَن حتى يصير مادة ليست بالصلبة ولا بالخفيفة، ويأكل منه المريض أو الصحيح من هذا المعجون ملعقة أو ملعقتين على الريق، ويمتنع عن الماء البارد والألبان والأجبان ومشتقاتها سائر اليوم.

والمريض يعيدها اليوم الثاني، وينبغي تناول هذا المركب في كل أربعة أشهر للصحيح، وذلك لما وصل بنا الحال من فساد في المطعم والمشرب وغير ذلك.

والحامل يمنع عليها هذا، وكذلك أثناء الحيض.

وللصغير من سن الرابعة فما فوق: ربع ملعقة أو ملعقة صغيرة، وهكذا للشيخ.

وأما الطريقة التي عهدها الناس بغليان السنا ونحو ذلك فإنها تنفع بعض الحالات، وما ذكرته هو الأنفع، ويفضل تناوله في يوم السابع عشر أو التاسع عشر

أو الحادي والعشرين من الشهر القمري.

وينبغي عدم تقيؤ هذا الدواء، وإذا شعرت بالتقيؤ عليك أن تشم البصل فهو يمنع ذلك، وهذه فائدة ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أو أضف عليه قليلًا من التمر الهندي.

وكذلك يستخدم كطلاء على ظاهر الجسد للأمراض الناتجة عن الرطوبة، وغير ذلك.

تنبيه: اعلم أن العامل النفسي إذا تناول الدواء بحب وشغف كان له تأثيرًا طيبًا، وإن كانت النفس لا تسيغه فإنه لن ينفعها وإن كان هو الدواء لذلك الداء، وبعض ضعفاء النفوس إذا قرأ هذا الطب النبوي يشعر بالضيق والقلق ونحوهما، ومثل هذا لا يلتفت إليه، فافهم هذا الدواء فهو لكل الأدواء عدى مرض الموت، وذلك من حديث السنا والسنوت، والله أعلم.

وجائز إضافة مادة أخرى أو مادتين أو أكثر كونها فرعية، ويُمنع إضافة مسهل آخر جوار هذا الدواء النبوي المبارك.

قلائدُ علمٍ أزهرت كالكواكب   كدرّ ابن يعقوبٍ بجيد الكواعب

لأخينا: نشوان الهبوب، نظمها الشاعر: حمود البعادني.

وأقول لك كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَلَّفْتُ هذه الكتب ولم آل فيها ولا بد أن يوجد فيها الخطأ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾[النساء] فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب أو السنة فقد رجعت عنه. اهـ "تأريخ دمشق".

نسأل الله الإخلاص والهداية والسداد

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، فما استنبطنا من المعاني والدلالات إلَّا يسير من غزير، وذلك لعِظَم كلام الله سبحانه تعالى، وكذلك لعِظَم هذه المخلوقات، والتي أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها لكي تفهم قدرها.

وإذا تدبرنا رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جيدًا لربما نستنبط فوائد كونية تخالف ما يدعيه اليهود والنصارى في عصرنا من حال الكواكب ومنها الشمس والقمر، ولن نستطيع حصر فوائدها الجليلة، ولهذا فإن رؤيا الكواكب تحتاج إلى فهم، وقد وجدت نفسي أنني لن أتوقف بتدوين أكثر من مائة وإحدى عشرة فائدة، واكتفيت إلى هنا خشية الإطالة والملل على طالب العلم، وأيضًا تجعلك مؤصلًا لقواعد وفرائد بعد فهمك لما تقدم ذكره.

تم تحرير الجزء الأول من كتاب:

"التحرير فيما جاء من رؤى سورة يوسف من الحِكَم والتعبير "

وبقي الجزء الثاني، والجزء الثالث إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

صنفه : الربيع العابر

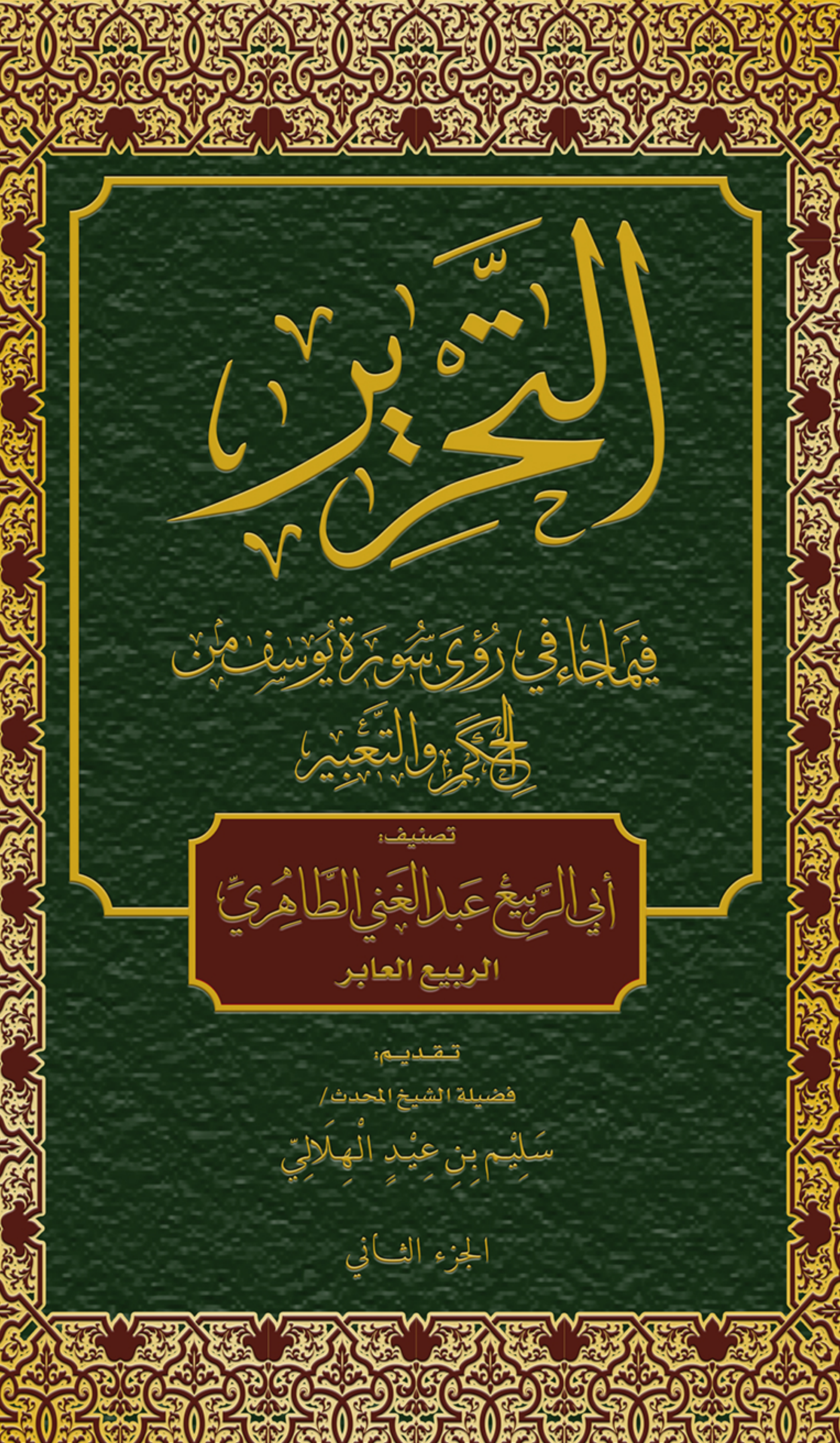
أبو الربيع عبد الغني بن صالح الطاهري.

اليمن



الفهرس:




التحرير
فيما جاء في رؤى سورة يوسف من
الحكم والتعبير
تصنيف:
أبي الربيع عبد الغني الطاهري
الربيع العابر
تقديم:
فضيلة الشيخ المحدث/
سليم بن عيد الهلالي
الجزء الثاني

التحرير

فيما جاء في

رؤى سورة يوسف من الحكم والتعبير

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

النسخة المعتمدة

التَّحْرِيْرُ

فِيمَا جَاءَ فِي

رُؤَى سُورَةِ يُوسُفَ مِنَ الحِكَمِ وَالتَّعْبِيْرِ

تَصْنِيْف

أَبِي الرَّبِيْع

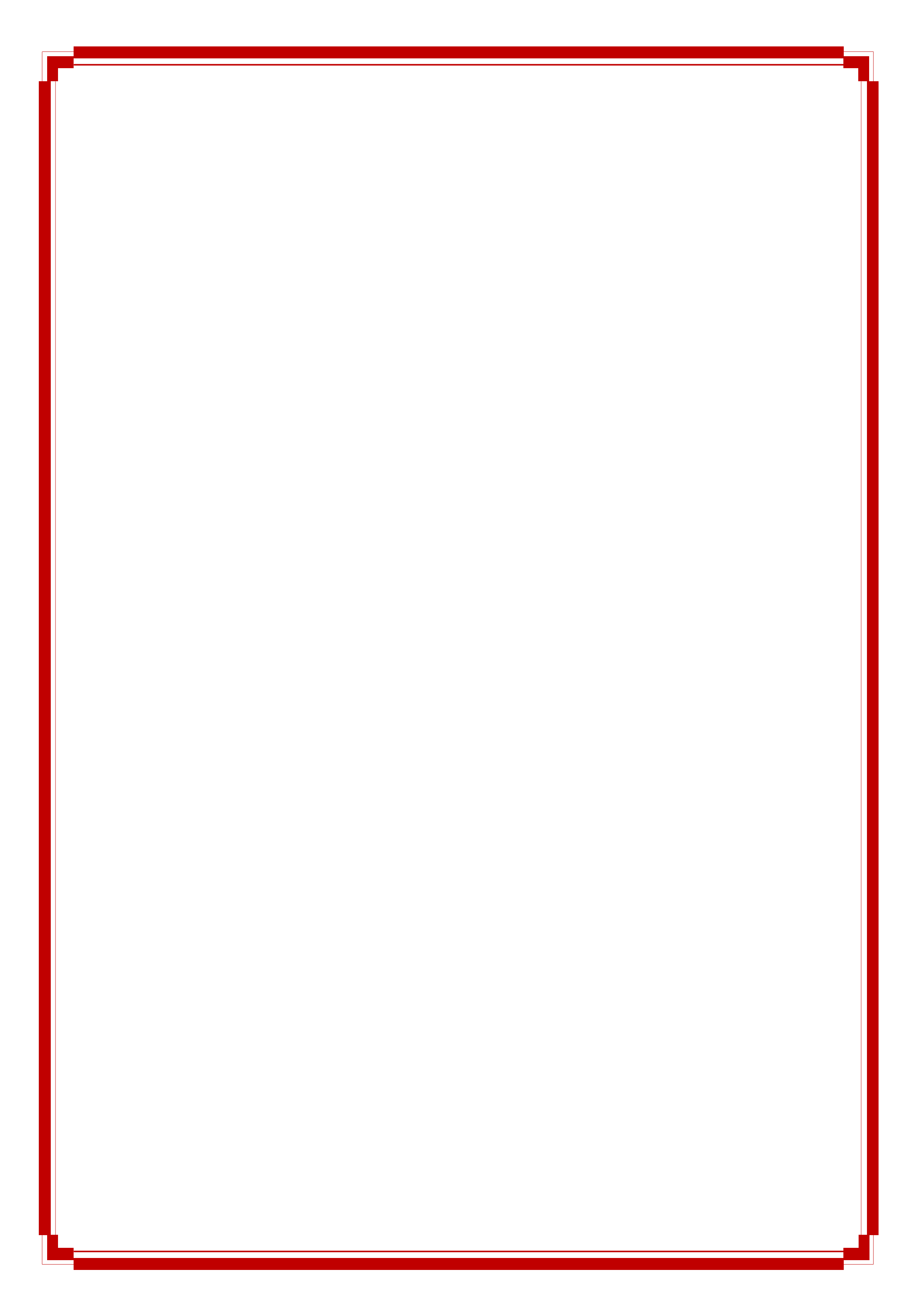
عَبْدِ الغَنِيِّ بْنِ صَالِحٍ الطَّاهِرِيِّ

تقديمُ فَضِيْلَةِ الشَّيْخِ المحدِّثِ

أَبِي أُسَامَة

سَلِيْمِ بْنِ عِيدٍ الْهِلَالِيِّ

الجزء الثاني





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الأول: مَدْرَسَةُ السِّجْنِ، وفيه مباحث.

الباب الثاني: الثَّمَرَةُ وَالطَّيْرُ، وفيه: مباحث.

مقدمة:

تحدثنا في رؤيا يوسف أن من معانيها السِّجن، واستنبطنا من رؤياه المدة التي مكث فيها في السِّجن بعد أن وجدناه ملائماً مع قول بعض أهل التفسير، وها نحن نتدارس الحِكَم من حياة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السِّجن بعد أن كان في قصر العزيز، وتأويله لرؤيا السَّجينين، ونَبَّهْتُ أنه على طالب العلم إن رأى نحو رؤياه أن يُمْعَنَ في الرُّؤىٰ التي ستأتي بعدها طيلة حياته، فلها صلة فيما هو آت له، وذلك لارتباط الأشياء السفلية بالعلوية، ومنها الشمس والقمر، وحديثنا كان عن رؤياه حتى مآلها.

وهنا الحديث سيختلف؛ لأنه سيكون عن تأويله للسجينين وفيه دروس نفيسة، وبالله التوفيق.

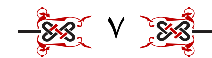
والمتأمل في رؤيا السَّجينين ليست شبيهة برؤيا يوسف؛ بل مُتشعبة، وتحتاج إلى دراسة، ومن ثم العمل، ومن أجل ذلك علينا أن نُمعن ونتدبر في كلام ربِّ العباد سبحانه وتعالى؛ لكي نستنبط دررًا ماتعة نافعة.

وذكر رؤيا السَّجينين في كتاب الله تعالى دليل على أنها لها أهميتها ومكانتها لهذه الأمة؛ وليست مجرد قصة نقرأها، بل إن فيها مفاهيمَ وحِكَمًا جمة، وكذلك في تفسير يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لهما.

وقد جعلت هذا الجزء في بابين، وذلك من حال الولوج والخروج من باب السِّجن.







الرؤيا الثانية والثالثة رؤيا السجينين

قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأَخَرُ
إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾
قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٖ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا
تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءٗ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ
ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾
يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ
قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ
فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾



بعض أقوال أهل التفسير:

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أَحَدُهُما سَاقِيَ الملك والآخر خَبَّازَهُ.

قال السُّدِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالآ على سَمِّهِ في طَعَامِهِ وشَرَابِهِ وكان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد اشتهر في السِّجن بالجُودِ والأمانة وصدق الحديث وحسن السَّمْتِ وكثرة العبادة صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ، ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السِّجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم.

ولما دخل هذان الفَتَيَانِ إلى السِّجن تآلفا به وأحباه حبـًا شديدًا وقالا له: والله لقد أحببناك حبـًا زائدًا.

ثم إنهما رَأَيَا منامـًا؛ فرأى الساقي أنه يعصر خمرًا؛ يعني: عنبـًا. وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إِنِّي أَرَانِي أَعصِرُ عِنَبـًا).

وقال الضحاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: يعني عنبـًا، قال: وأهل عُمَان يسمون العنب خمرًا.

وقال عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال له: إني رأيت فيما يرى النائم أني غرست حبة من عنب فنبتت فخرج فيها عناقيد فعصرتهن ثم سقيتهن الملك. فقال: تمكث في السِّجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتسقيه خمراً.

وقال الآخر وهو الخباز: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ ﴾ [يوسف:٣٦]، والمشهور عند الأكثرين ما ذكرناه أنهما رأيا منامـًا وطلبا تعبيره.

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ما رأى صاحبا يوسف شيئًا؛ إنما كان تَحَالَمَا لِيُجَرِّبَا عليه.

قال أبو الربيع الطاهري سَدَّدَهُ اللهُ: ما نقله ابن جرير فيه نظر، وذلك من القرائن الجلية من سياق الآيات، وسيأتي الحديث عنها. والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبرهما يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنهما مهما رأيا في المنام من حلم فإنه عارف بتفسيره، يخبرهما بتأويله قبل وقوعه ولهذا قال: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن﴾ [يوسف:٣٧].

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ﴾ [يوسف:٣٧]، في يومكما ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ﴾ [يوسف:٣٧] وكذا قال السُّدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعَنْ عِكْرِمة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَا أَدْرِي لَعَلَّ يُوسُفَ، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كَانَ يَعْتَافُ وَهُوَ كَذَلِكَ، لِأَنِّي أَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ حِينَ قَالَ لِلرَّجُلَيْنِ: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا﴾ [يوسف:٣٧]، قَالَ: إِذَا جَاءَ الطَّعَامُ حُلْوًا أَوْ مُرًّا اعْتَافَ عِنْدَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّمَا عُلِّمَ فَعَلَّمَ. وَهَذَا أَثَرٌ غَرِيبٌ.

ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ تَعْلِيمِ اللهِ إِيَّايَ؛ لِأَنِّي اجْتَنَبْتُ مِلَّةَ الْكَافِرِينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَرْجُونَ ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا فِي الْمَعَادِ. ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾ [يوسف:٣٨] يَقُولُ: هَجَرْتُ طَرِيقَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَسَلَكْتُ طَرِيقَ هَؤُلَاءِ الْمُرْسَلِينَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ

﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يوسف:٣٨]

هَذَا التَّوْحِيدُ؛ وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا ﴾ [يوسف:٣٨] أَيْ: أَوْحَاهُ إِلَيْنَا وَأَمَرَنَا بِهِ ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يوسف:٣٨] إِذْ جَعَلَنَا دُعَاةً لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف: ٣٨] أَيْ: لَا يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ، بَلْ: ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم].

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف]

ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أَقْبَلَ عَلَى الْفَتَيَيْنِ بِالْمُخَاطَبَةِ، وَالدُّعَاءِ لَهُمَا إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَخَلْعِ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ الَّتِي يَعْبُدُهَا قَوْمُهُمَا، فَقَالَ: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف]. أَيْ الَّذِي وَلِيَ كُلَّ شَيْءٍ بِعِزِّ جَلَالِهِ، وَعَظَمَةِ سُلْطَانِهِ.

ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمَا أَنَّ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا وَيُسَمُّونَهَا آلِهَةً، إِنَّمَا هُوَ جَهْلٌ مِنْهُمْ، وَتَسْمِيَةٌ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، تَلَقَّاهَا خَلَفُهم عَنْ سَلَفِهم، وَلَيْسَ لِذَلِكَ مُسْتَنَدٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ﴾ [يوسف:٤٠] أَيْ: حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ.

ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْحُكْمَ وَالتَّصَرُّفَ وَالْمَشِيئَةَ وَالْمُلْكَ كلَّه لِلَّهِ، وَقَدْ أَمَرَ عِبَادَهُ قَاطِبَةً أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف:٤٠] أَيْ: هَذَا الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوحِيدِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لَهُ، هُوَ الدِّينُ الْمُسْتَقِيمُ، الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ وأَنْزَلَ بِهِ الْحُجَّةَ وَالْبُرْهَانَ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف] أَيْ: فَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ. ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف].

وَقَدْ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: إِنَّمَا عَدَلَ بِهِمْ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا إِلَى هَذَا، لِأَنَّهُ عَرف أَنَّهَا ضَارَّةٌ لِأَحَدِهِمَا، فَأَحَبَّ أَنْ يَشْغَلَهُمَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، لِئَلَّا يُعَاوِدُوهُ فِيهَا، فَعَاوَدُوهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهِمُ الْمَوْعِظَةَ. وَفِي هَذَا الَّذِي قَالَهُ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وعدهما أَوَّلًا بتعْبِيرِهَا (٦) وَلَكِنْ جَعَلَ سُؤَالَهُمَا لَهُ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ وَالِاحْتِرَامِ وُصْلة وَسَبَبًا إِلَى دُعَائِهِمَا إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ، لِمَا رَأَى فِي سَجِيَّتِهِمَا مِنْ قَبُولِ الْخَيْرِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَالْإِنْصَاتِ إِلَيْهِ، وَلِهَذَا لَمَّا فَرَغَ مِنْ دَعْوَتِهِمَا، شَرَعَ فِي تَعْبِيرِ رُؤْيَاهُمَا، مِنْ غَيْرِ تَكْرَارِ سؤال فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾[يوسف] يقول لهما: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف:٤١]، وَهُوَ الَّذِي رَأَى أَنَّهُ يَعْصِرُ خَمْرًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يعينه لِئَلَّا يَحْزَنَ ذَاكَ، وَلِهَذَا أَبْهَمَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ [يوسف:٤١]، وَهُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ الَّذِي رَأَى أَنَّهُ يَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِهِ خُبْزًا.

ثُمَّ أَعْلَمَهُمَا أَنَّ هَذَا قَدْ فُرِغ مِنْهُ، وَهُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعبر، فَإِذَا عُبِّرت وَقَعت.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا قَالَا مَا قَالَا وَأَخْبَرَهُمَا، قَالَا مَا رَأَيْنَا شَيْئًا. فَقَالَ: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾[يوسف].

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢﴾ [يوسف] لَمَّا ظَنَّ يُوسُفُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَجاة أحدهما -وَهُوَ السَّاقِي- قَالَ لَهُ يُوسُفُ خُفْيَةً عَنِ الْآخَرِ وَاللهُ أَعْلَمُ، لِئَلَّا يُشْعِرَهُ أَنَّهُ الْمَصْلُوبُ، قَالَ لَهُ: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] يَقُولُ: اذْكُرْ قِصَّتِي عِنْدَ رَبِّكَ، وَهُوَ الْمَلِكُ... الخ [تفسير ابن كثير(٤/ ٣٨٨-٣٩٢)].

قلت: ولعل الصواب -والله أعلم- ما ذهب إليه ابن كثير، وذلك من حيث الأدلة التي سيأتي بيانها.

وَأَمَّا (الْبِضْعُ)، فَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: هُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التسع. وقال وهب بن مُنَبِّه: مكث أَيُّوبُ فِي الْبَلَاءِ سَبْعًا وَيُوسُفُ فِي السِّجْنِ سَبْعًا، وَعَذَابُ بُخْتُنَصَّرَ سَبْعًا.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف] قال: ثِنْتَا عَشْرَةَ سَنَةً. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَرْبَعَ عَشَرَةَ سَنَةً.

قلت: ولعل مدة سجنه كانت إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً، وهذا مستنبط من رؤياه بما دلت على دلالة الزمن ودلالة السجن، وقد كان من عادة العرب تجبر الكسر، فصار موافقًا مع قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فهو أقوى الأقوال، لا سيما مع تلك القرائن، وقد تحدثنا عنها في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والله أعلم.







الباب الأول:
مدرسة السجن

وفيها من الحِكَم والتعبير:

المبحث الأول عِظَم الكَيد

نرجع قليلاً إلى أسباب السِّجن، فقد كان بسبب رفضه لمطلب امرأة العزيز، وذلك سرًا على خلوة، وبعد إغلاق الأبواب؛ لكي يطمئن قلبه، ولكي لا يستطيع الهروب؛ لأنها تُدْرِك عِفَّتَه من قبل أن تقدم على ذلك، وقد يُبتلى العبد بنحوه وهو بين أهله، وأما في العلن فذلك بين نسوة المدينة، وذلك من قولها: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ [يوسف]، ولعل عدد النسوة كان إحدى عشر امرأة من نساء الأكابر، وهذا من عدد الكواكب، ولم نذكره في دراسة رؤيا يوسف، ولفظ الصاحبة تُطلق أحيانـًا لعظيمات النساء، وتطلق على الزوجة كونها صاحبة، ويقال عند أهل اللغة: بضع نسوة وبضع عشرة نسوة، ولذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [يوسف:٣٠]. أي: طائفة، ولم يقل: (وقال نسوة المدينة)، وأيضـًا لو أن الأمر ذاع عند كل نسوة المدينة لكان ذلك شاقـًا عليها، وأيضـًا يُفتح لها بابـًا تدعي فيه أنه افتراء عليها، وظهور مثل هذا الخبر عند النسوة في الغالب يكن عن طريق الخدم، ويَتَوَدَّدُون لأهل المناصب الذين هم في ضدهم؛ لأنهم لو أظهروا ذلك للعوام فقد يكون سببـًا لقطع أعناقهم، وإعلامهن بالمجيء إليها دلالة على أن عددهن محدود؛ إذ يصعب استدعاء كل نسوة المدينة.

ومن الأسباب المؤدية للسجن دعاؤه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، واستجاب الله له،



قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ [يوسف]. فالدعاء خير صارف للبلاء؛ لأن الدعاء حماية من مكر وكيد الأعداء، فتضرع لربه بإشفاق ووجل عند المحنة وتجده كذلك عند النعمة من قوله: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [يوسف:١٠١]، وإذا تأملت إلى جمال عفته وأدبه كذلك في الدعاء لوجدته أيضًا من قوله: ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [يوسف:٣٣]، ولم يقل: (أحب إلي من الزنا)، وهذا من خلقه الحسن الجميل، فقد عَفَّ لسانه وعَفَّ فَرْجَه، وهذا هو الطريق المضمون إلى الجنة قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ» [رواه البخاري، برقم: (٦٤٧٤)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه]، واللفظة (كيد) أتت قبل هذه الآية، وذلك من قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾[يوسف]، وذلك على لسان زوجها، ومن ثم أتت على لسانها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾ [يوسف]، والمتأمل في هذه اللفظة في كتاب الله تعالى أتت في أكثر من موضع على وجه الذم، وذلك لكثرته وتنوعه ومآله إلى خسران، وهذه إشارة إلى أن الماكر لا يفلح مهما صال وجال من الحق المزخرف فهو إلى بوار، وتأتي (كيد) بمعنى آخر وليس هاهنا موضع بسطه.

وإشارة نفيسة، وهي: لعل كيد النساء أشد وأعظم من كيد الشيطان وكيد الساحر! ودليل ذلك في كتاب الله تعالى في مواضع عِدَّة، فإن كيد الشيطان إلى ضعف، وكيد السِّحر إلى بطلان وخسارة، وكيد الكافر إلى وهن، والداعي ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليست امرأة العزيز فحسب، بل هناك غيرها، وهذا من عظم البلاء، وذلك بسبب عظم كيدهن، وذلك مع جماله وغربته وبُعد أُنس أقاربه وموطنه وكونه عبدًا فالتجأ إلى خالقه؛ فإن الخلوة على إثر ظلم سكون للروح، وفي ظُلمة السِّجن إنارة، وتَنَزُّه حتى في



الدعاء من التلفظ بالعمل المذموم من قِبَلِهِنَّ، وهذا من نفاسة معدنه، فكان الطُّهْر منه قولاً وعملاً، ومن شدة إغرائهن قال: ﴿أَصْبُ﴾ [يوسف:٣٣]، فإنه دلالة على شدة الأمر، ولعل بين حضور مجلسهن وحين دعاء ربه مدة زمنية، والصواحب يقال للنساء عند شكايتهن وذم أخلاقهن، فضاق حاله منهن؛ لأنهن أردن أن يكون بمقام الزوج لهن، وأيضاً من التملك وكل واحدة تشكو إليه، وكل واحدة أرادت أن تظفر به، وما أثقل كيد النساء على طالب العلم لا سيما إن كانت الزوجة؛ فقد يُبتلى بعدو في عقر داره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن:١٤]، وهذا درس نفيس لمن تدبره. والله أعلم.



المبحث الثاني: الصورة من السورة

ومن الدروس النفيسة: فعندما حلَّ في قلب امرأة العزيز الفراغ، وكم من زوج جعل الحُب جُب، فلم يُسَد من قِبل الزوج فتخبَّط لكي يتعلق، فصار على يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ملهوف، ولهذا قال بعض السلف: العشق: حركة قلب فارغ، يعني: (فارغًا) مما سوى معشوقه، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ ﴾ [القصص:١٠]، أي: فارغًا من كل شيء إلا من موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لفرط محبتها له، ولتعلق قلبها به.

والعشق مركب من أمرين:

- استحسانٍ للمعشوق.
- وطمع في الوصول إليه.

فإذا انتفى أحدهما: انتفى العشق، والناظر في حال امرأة العزيز مع حسن جمال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منذ صغره وترعرعه بين يديها، وفي قصرها وهو كل حين يزداد حسنًا وجمالاً، وقد تعلق قلبها به حتى نسيت قدرها وسنها ورعايتها كأم له، فطمعت بالوصول إليه، وهذا درس عظيم في خطر الصورة لذوات الأرواح لا سيما عند النساء اللاتي قد خيّم عليهن الفراغ إما فراغ معنوي، وهو خلو العاطفة كونها لم تُسقى من قبل الأبوين أو الأخ أو الزوج، وإما فراغ حسي، وهو عدم إشغال النفس بما يعود نفعه في الدين والدنيا، وقد يبتلي الله عبده ليشغل فراغه، ولولا هذا البلاء لفسد وأفسَد، ولولا البلاء لما انتفع الناس به، ولما وصل إلى ما وصل إليه من الخير العظيم الذي يُغبط عليه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



ولهذا فإن القلب إذا أصبح فارغـاً سعى وبشغف إلى كل ممنوع لكونه مرغوب، ومن ذلك الصورة؛ لأنها تشغل الروح وتنهك قوى النفس والبدن، ولخطورة الصورة في ديننا، فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ -: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**»، وغيرها من الأحاديث، وذلك لما يخلّفه هؤلاء من مفاسد وشر عظيم من فتن الشبهات والشهوات.

وقد أجمع العلماء على تحريم ذلك، وقد تولّع الناس فيها لا سيما في زماننا، بل ومن الدعاة، وقد **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما التصوير نفسه عملاً واستعمالاً فحرام في كل موضع لما روى ابن عمر أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**». اهـ

وما جرى من الشرك بعد موت نبي الله نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا من هذا الباب، وألبسهم به إبليس لأجل التقرب لله تعالى.

وفيها دلالة على حفظ البصر من النظر إلى الحرام لا سيما إلى الصورة خصوصـاً في زماننا؛ فكم من امرأة نفرت وتركت زوجها بسبب ذلك، وكم من رجل تعلّق قلبه بذلك فجرى الهجران والكراهية وأدّى ذلك إلى الطلاق وضياع البنين، وهنا تحذير شديد للنساء من الاقتراب من ذلك، وطلبة العلم هم من باب أولى، وينبغي عدم التساهل فيه، لأن طالب العلم إذا خطف بنظرة ربما صرف عن هداية الطريق، ومن أراد أن يدرك خطورة هذه الجائحة فليقرأ كتب السلف، والأمر ليس محصوراً في الصورة؛ بل أيضـاً بالصوت فبه قد يُستدرج إلى الصورة، ولما كان يؤدي إلى هذا الأمر كان من باب أولى



عدم ذلك؛ لأنه سيؤدي إلى مفسدة، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا ﴾ [الأحزاب:٣٢].

وعلينا أن نسد كل الطرق المؤدية إلى الفاحشة، ومن ذلك ما جاء في القرآن من عدم ضرب أرجلهن، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور:٣١]، فهنا عدم إظهار الزينة الظاهرة، فمن باب أولى عدم إظهار الزينة الخفية؛ لأن المرضى في زماننا كُثر، فإذا جرى ذلك حصل داء على داء، فكانت المفسدة عظيمة، وكم من امرأة أنتهك عرضها وبداية الشر كان كلامـًا، ثم صورة ثم خلوة، ثم ندامة ولا ينفع حينها الندم، وقس ذلك في حُسن البيان الداعي إلى الفتن من مكتوب ونحوه، وقد بيّنا ذلك في الجزء الأول.

وبما أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان عبداً لامرأة العزيز إلاَّ أنها كانت تتمتع برجاحة العقل جوار ما صدر من نسوة المدينة كما تقدم ذكره، والله أعلم.





المبحث الثالث: طَلَب شدَّة خير من رخاء فتنة

ولما كان اجتماع الشمس جوار القمر مُحال في الدنيا -إلا أن يشاء الله- كان لنا من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ درس في عدم الاختلاط بين الرجال والنساء، وذلك كونه مخالفًا للشرع والطبع والفطرة ونحوه اختلاط الحق بالباطل، فإن المفسدة عظيمة على القلب والبدن، وما هلك ممن سبق إلا بسبب هذه المخالفة، ومن قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ درس لنا أن نُقدِّم المكروه أو نطلبه مع إقرار الروح أنه أحب من تلكم المفسدة، وهذا من أعظم الإخلاص للباري سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه من أجل درء مفسدة عظيمة، وما جرى من الإمام أحمد وكذلك ابن تيمية -رحمة الله عليهما- من سجنهما إلا أنهم علموا مالم يعلمه غيرهم بنحو ما ذكرنا.

تحفة:

وتجد اختلافا عجيبا بين امرأة العزيز وبين من كانوا بطانة للخلفاء في عصر الإمام أحمد وعصر ابن تيمية، فتلك ألبَست وحرّضت حتى رأى العزيز أنه لابد من السِّجن، ونحوها خاصية الخليفة في فتنة الإمام أحمد؛ فقد ألبسوا الحق بالباطل وزينوه حتى سجنوه، ونحوه في حق ابن تيمية، ولعمري أنها كانت أعقل منهم، وذلك من قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف]، وأما أولئك فلم يصدر منهم إلا الكبر والأَنَفَة.

ونفهم مما سبق ذكره أنه شتَّان بين خلوة وخلوة، فإنه ينبغي على العاقل الحازم أن لا يهمل محارمه مما استوجبه الله عليه؛ لأجل صيانتها، وذلك لمصالح عدّة يدركها كل غيُّور، ومنها لكيلا يُهيأ لهن الخلوة لساعات، فهذا مخالف للشرع لا سيما نساء أهل

المناصب والترف، لأنه يجعل الشيطان يطلق أسهم مسمومة فيقوم بالعبث في الفِكر والخواطر حتى يتمكن من القلب؛ لأن حالها كالصغير إن لم تطلع على حركاته يقوم بالعبث فيتخطى الشيطان للقلب لإشغال الفراغ بزعمه، ولكن على باطل مبطون وظاهره صلاح، ولعل هذا السبب من الأسباب التي جرت من امرأة العزيز.

وأما الخلوة لله وفي الله سبحانه وتعالى لا سيما عند الفتن فهذا من أعظم القربات، والمؤمن قد يفاضل بين السيئ والأسوأ عندما تُغلق في وجهه الأبواب، وتضيق السبل، وتختفي المخارج.

لنا وقفة مع السبعة:

ثبت في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**».

وإذا تأملنا في هذا الحديث نجد أنه من ترك حرارة الظلم والانتقام، أو ترك حرارة تهيج الصبا، أو ترك حرارة الملذات، أو ترك حرارة الحسد، أو ترك حرارة المن والأذى والرياء، أو ترك حرارة تهيج النفس في الخلوة، أو ترك حرارة العشق والهيام مع مراودته؛ نال عطية الرحمن وصرف عنه تلك الكربة يوم القيامة، فكان الجزاء من جنس العمل.

وما ذكرناه من شرح الحديث يتوافق مع حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فاختار السِّجن على ما أرادته منه خوفا من الله ورجاء ثوابه.



ولنا عِبَرٌ أيضًا منها: إيثار الشدة على الولوج في الآثام، والسِّجن على المعصية، وملازمة الدعاء بالثبات، فقد كان نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يكثر من دعاء الثبات، ومنها عدم العجب والغرور بما تُكِنُّ به الروح من استقامة، فربما تزل قدم بعد ثبوتها.

ونتعلم من سجن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الشدة على إثر يُسر أشد من الشدة بعد عُسر؛ فقد كان في قصر العزيز بمقام ولده، وبغتةً صار في السِّجن، وهذا شديد على من كان حاله متيسر وتحول إلى عسر، وأما إن كان في عسر ثم انتقل إلى عسر آخر فإن ذلك قد صار ديدنه، والله أعلم.

وقد ذكر لنا ابن القيم قصة عن العِفَّة، ونوعا خطيرا من السحر (سحر التهييج) وسحر التهيُّج: هذا السحر من أفحش ما يكون، إذ يجمع بين السحر وطلب الفاحشة!! حيث يسعى الساحر إلى تهييج قلب طرف (ذكرًا كان أو أنثى) لمُجَامَعَة الطرف الآخر نسأل الله العافية، فقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيمن آثر عاجل العقوبة والآلام على لذة الوصال الحرام قصة لهذا النوع من السحر، فقال: توفي شاب كان صالحًا بارًا بأبيه، وسبب وفاته أن امرأة أحبَّته فأرسلت إليه تشكوا حُبَّهُ وتسأله الزيارة، وكان لها زوج، فَأَلَحَّت عليه، فأفشى ذلك إلى صديق له، فقال له: لو بعثتَ إليها بعض أهلك فوَعَظَتْهَا وزَجَرَتْهَا رجوت أن تَكُفَّ عنك، فأمسك؛ وأرسلتْ إليه إمَّا أن تزورني وإما أن أزورك!! فأبى.

فلمَّا يئِست منه ذهبتْ إلى امرأة كانت تعمل السِّحر فوعدتها العطاء الجزيل في تهييجه، فعملت لها في ذلك؛ فبينما هو ذات ليلة مع أبيه إذ خطر ذِكرُهَا بقلبه وهاج منه أمرٌ لم يكن يعرفه واختلط [فسد عقله]، فقام مسرعًا فصلَّى واستعاذ والأمر يشتدُّ،

فقال: يا أبتِ أدركني بِقَيْدٍ، فقال: يا بني ما قصتك؟ فحدَّثه بالقصة فقام وقيَّده وأدخله بيتًا فجعل يضطرب ويخور كما يخور الثور، ثم هدأ فإذا هو ميِّتٌ والدم يسيل من منخره. [روضة المحبين ونزهة المشتاقين - الباب ٢٨]

فائدة:

فمن ابتلي بمثل هذا المرض وهو سحر أو مس الفاحشة فإن من الأدوية النافعة لمثل هذا الداء هو الزواج بالثانية حتى الرابعة، أو قراءة سورة النور، وهذا الدواء من الطب النبوي، وأيضـًا على قاعدة الضد.

وقفة:

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير، واحذر من جليس السوء، وليكن جلساؤك الكتب، والنظر في سير السلف. [صيد الخاطر].

قلت: هذا إن كان خاليًا من الوساوس والأسحار والأوهام وإلا فلا.





المبحث الرابع: مسألة فقهية

ومن الدروس: هل يعاقب من أُكره على الزنا؟

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**». [رواه ابن ماجه، برقم: (٢٠٤٣)، وقال الألباني: صحيح].

وذكر الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لهذا الحديث: أنه يستثنى من ذلك الإكراه على الزنا والقتل فلا يباحان.

قلت: لأنه إذا أكره على القتل فلابد من القصاص؛ لأن نفس القاتل ليست أولى بالعصمة من نفس المقتول، وإن كان لا إثم عليه.

فالمُكْرِه أعظم ما يمكن أن يملكه للمُكْرَه: **القتل**.

فإن قُتل المُكرَه فهو شهيد، وهذا خير من أن تقتل نفساً بريئة لا ذنب لها إلا الإكراه، هذا في حق القتل.

أما في حق الزنا، فلعظم خطره ولاختلاط النسب فيه واختلاط المياه.

أي: ماء الرجل بماء غيره، وما يترتب عليه من مفسدة عظيمة على الفرد والمجتمع؛ لذا قال: إن الزنا والقتل يُستثنيان من الإكراه.

مداخلة: هل الأفضل لهذا المكره أن يموت إن خير بين القتل والزنا أم يرتكب الفاحشة؟

الجواب: يموت خير له، وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



يقول الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "البرهان": للشرع تصرفٌ في الضروريات، وذلك أن الذي لا يستباح إلا بالضرورة لفحشه، أو بعده عن الحِلِّ، فقد يَرعي الشرعُ فيه تحقق وقوع الضرورة، ولا يكتفي بتصورها في الجنس، وهذا كَحِلِّ الميتة.

ورُبَّ شيءٍ يتناهى قبحه في مورد الشرع، فلا تبيحه الضرورة أيضًا، بل يوجب الشرع الانقياد للتهلكة، والانكفاف عنه، كالقتل، والزنا، في حق المجبر عليهما. اهـ

قال أبو بكر الجصاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "أحكام القرآن": وقالوا فيمن أكره على قتل رجل أو على الزنا بامرأة: لا يسعه الإقدام عليه؛ لأن ذلك من حقوق الناس وهما متساويان في الحقوق فلا يجوز إحياء نفسه بقتل غيره بغير استحقاق، وكذلك الزنا بالمرأة فيه انتهاك حرمتها بمعنى لا تبيحه الضرورة وإلحاقها بالشين والعار. اهـ



المبحث الخامس: السجن إمامة

والمتأمل في قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسجنه فقد صار مثلاً يُضرَب به، وإن كان سجينًا لكنه عظيمًا في تاريخه، وذلك من عَظَمة الكواكب من رؤياه، بل ربما أعظم سجينًا في تاريخ البشرية، فقد فضّل نعيم الأنس بخالقه في السجون على لذائذ المتعة في القصور، وكذلك مما جرى لبعض أئمة السلف كأحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقد سُجِن وجُلِد وانْظُرْ مآله فيما بعد، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مات في السِّجن لكن علمه ملأ الدنيا.

ولما كان الخسوف والكسوف شبيه بالسِّجن كانتا آية من آيات الله، فجعل لمن ابتلاه بهذا البلاء آية للعباد وعبرة وهداية لطلبة العلم، ونحو السِّجن: المرض؛ كونه يجعله محبوسًا عن الحركة كأيوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقد صار مثلاً وآية في الصبر، ولمن رآه في المنام فإنه يُبتلى بمرض ثم يكن عاقبة أمره إلى خير وراحة.

وكم من طليق مسجون بذنوبه، وكم من مسجون طليق، وذلك لشيء وقر في روحه فاستراح وأنار جبة السِّجن بقلبه ومحبرته وقلمه، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤]، فدرجة الصبر حتى الإمامة من صفوة الصفوة، وذلك في صبرهم وتجلدهم على البلاء العظيم، والله أعلم.



المبحث السادس: أطع ربّك وإن ضَربك وسَلبك وسَجنك

ومن الدروس العظيمة من سجن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ درس نفيس في طاعة ولي الأمر مهما بغى عليه، فلم يطعه في معصية، وأذعن لسطوه وإن كان الحق معه، ومما زاد من جمال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فإنه مع ذلك لم يَدْعُ عليهم، وهو يدرك أن دعوته مستجابة، ولكن سلّم أمره لله تعالى، وهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن الخليل.

وعند أهل اللغة من معاني السِّجن يقال: سُجن لسانه، فقد سُجن لسان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولسان الشاهد من أهلها فحاله كحال ملك مكبل بالقيود وهذه لحكمة أرادها الله تعالى، ولعل ذلك لتكن قصته من أجمل القصص.

فأين حال الخوارج من حال هذا الرسول العظيم؟!

وأين قلوبهم مما جاء عند البخاري من حديث عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»؟

ولئن صبروا لكان خيرًا لهم مما وصل به الحال في البلدان الإسلامية بعد ربيعهم، ولفظ (الربيع) براء منهم، وقد صدّقوا اليهود بما عاهدوهم، ولكن كان مآل ذلك إلى بوار، وتجد معتقدهم الخارجي حتى في أشعارهم كقول أحد أربابهم:

فــلا بـــد لليـــل أن ينجلـــي ... ولا بـــد للقيـــد أن ينكســـر

فإنك تجد من هذا اللفظ خبث دفين تجاه الحاكم، وأيضًا تجاه الدِّين الحنيف، فلم يقل (أن يفتح) فهي أهون مع أن قوله (فلا بد) دالة على الحتم والإصرار وإن كان



حراماً أو يؤدي للكفر، فلابد وعليها للأبد، والأكابر من اليهود حريصون على التأمل في كلام الله تعالى وأحاديث نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ باستنباط الضد، فقد صالوا وجالوا حول حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وإلى الله المشتكى.

وما جرى لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع أهل الطائف كان أشد مما جرى ليوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولم يكن أهل الطائف أولياء عليه، ولهذا آذوه أشد الأذية ولم يَدْعُ عليهم؛ بل تفاءل بخير يأتي من أصلابهم فجرى من (عسى) (سعى)؛ فقد سعى وفد ثقيف وأسرعوا في السير إليه في عام الوفود، فصلوات ربي على نبينا الكريم إلى يوم الدين.

ولعل من الحِكَمِ من سجن يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعدم سجن موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن قضية يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كانت تعني مصير فرد ولحكمة متأخرة في زمنها المحدود، وقضية موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كانت تتعلق بمصير أمَّة، وما جرى من موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد أن هدده فرعون بالسِّجن من حكمة الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله أعلم.



المبحث السابع: عُزِل للعزلة

ومن الدروس النفيسة: اعتزال الناس عند كثرة الهرج والمرج، لا سيما عندما تُغلق الأبواب، فعندما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ظلم من الأكابر وهو بريء لا سيما بعد أن شهد شاهد من أهلها؛ فكانت الحُجَّة أشدُّ ضياءً، وذلك أنه من شجرتها فَخُيِّر بين الفتنة والعُزلة فما كان أمامه سوى العزلة بعد أن عُزِل من مكانته عندهم، فقد كان نافعًا واتخذوه ولدًا لهم، وجاء الفرج من لسان خصمه وهو في السِّجن، وقد يفتح بابًا للعدو من لسان حبيب كما خاف يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الذئب فكانت حُجةً محجوبة لهم.

وهذا يستفاد منه بعدم الثقة العمياء للصديق أو للقريب حتى تختبره في الدينار والدرهم أو في السفر أو عند الولاية لكي تدرك معدنه عند الفتن.

فأخبث الناس من إن تفتح له صدرك وتجلّه أكثر ممن هو أقرب منك، وذلك لطباع سجيتك فيتتبع عثراتك وأسرار أهلك، ثم يُسمِّعُ بك على الملأ، فَيُصَدَّقُ بسبب مكانته الظاهرة أو القديمة الرفيعة عندهم، كامرأة العزيز، وتُكَذَّبُ كونك غريبًا أو طويلبًا فيحصل لك الاعتزال والخوف والشك لربما بنفسك، فيثبتك الله تعالى حينها، وسبب قيامه بذلك تجاهك إنما رداءة ترعرع عليها في الصغر، وإن تزيّن بالعلم، أو بسبب داء عضال في قلبه، وما علم أنها الحالقة، ولئن قام بما قام به شاهدها لكان خيراً له، وقد ابتليت الدعوة بمثل هؤلاء وهم في درجات الخبث من النُّدر؛ لأن قيام إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من النُّدر نسأل الله السلامة والعافية، وما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا من هذا الباب وهو القيل والقال بين النسوة، وهذا دال على عظم خطورة هذه الآفة



الكبيرة والدافع في ذلك أيضـًا الكِبر.

فأحيانـًا العزلة سلوة، وكما في نونية القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جمِّــل زمانــك بالســكوت فإنــه زيــن الحلــيم وســلوة الحيــران

وقد جاء عند البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، برقم: (١٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ**»، وعند الترمذي، برقم: (٢٥٠٧)، وابن ماجه، برقم: (٤٠٣٢)، من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**».

فكيف الجمع بين الحديثين؟

قلت: هناك مفاهيم عدّة لأهل العلم؛ وقد استدل البعض بالحديث الأول ممن ذهب إلى استحباب العزلة وتفضيلها على مخالطة الناس، ولكن التحقيق أن الأصل هو تفضيل المخالطة على العزلة، وربما المعيار بين الأمرين أيهما يُرجَّح عائد على حال الفتنة والزمن والمكان؛ لأن الناظر في حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يعتزل بالكلية عن الناس؛ بل انعزل وجاور من بالسِّجن من مجرمين ونحوهم.

وقفة: إن الناظر في الحديث الذي رواه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستنبط منه فائدة جليلة مع ارتباطه بمجريات أحداث قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي: أن العباد يحرمون الغيث إذا ظهر فيهم الحسد، فإنه يؤدي إلى فتنة واقتتال، وإذا خرجوا على ولي الأمر، وإذا ظهر فيهم الزنا، وشرب الخمور، وما ذكرناه له أدلته القوية من أحاديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وبدون ذلك تنزل عليهم البركات والرحمات.

واعلم أن مثل هذا الاعتزال؛ أعني: من يُظلم ويُكره عليه أعظم ممن يقدم عليه من غير إكراه، ففي الأول حِكَماً جليلة يتفطن لها من وفقه الله لذلك، ولنا في شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عبرة وعظة، فلولا الله ما جرى منه تدوين الدرر في مدرسة سجنه.

فإن الشِّدَّة تُخرج الحِكَم واللطائف الحسنة الماتعة، وما حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في سجنه إلا مدرسة للأجيال، وقد تخرّج منها بعض أئمة السلف، وكما أسلفنا فإن السِّجن ليس محصورًا بين جدران أربعة، فنظيره المرض، أو في الدار، أو في الزوجة وأشباههم.

وقفة: قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] هذا في حال القتال كون النفس تكره الموت، والآية على العموم، ولا تُحصر في القتال فحسب.

والمتأمل في حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ﴾ [يوسف:٣٣]، وهذا في حال فتنة النساء، فقد طلب المكروه بعد أن دعاه الداعي، وجوابه يستدل منه دروس نافعة:

منها: أن كيد النساء وحربهن إذا أضمرن لذلك لا يسلم منهن إلا من وفقه الله تعالى، ومن حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند مسلم، برقم: (٢٧٤٢) قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**».

ومنها: أن الإيمان إذا رسخ فإنه يرسخ كالجبال، وليس كمن يتذبذب كالرمال مع الرياح.

ومنها: أن المرأة (القارورة) إذا رأيتها مترجلة في هيئتها أو مشيها، أو كان صوتها متحشرجاً أو شبيه بصوت الرجل فدلالة على أنها تشكو من نكد. والله أعلم.



المبحث الثامن: رؤية الباري جَلَّجَلَالُهُ في المنام

هناك قوم جحدوا رؤية الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في المنام! وقالوا: إنما هي وساوس، ولا حُكْمَ لها! وهذا من فساد قلوبهم؛ لأنا جعلنا ذلك أعمالاً للرائي، ولا نكابر الرائي فيما يراه وغلب على ظنه ذلك، بل نقول ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحاكم عليك، فننظر فيمن يحكم فنعطيه من الخير والشر على قدر ما يليق به من شهود أو قرائن الرؤيا، وكذلك نقول: إنه حق سبحانه؛ فإن كان في صفات حسنة كنت على حق، وإن كان في صفات سيئة فأنت على خلاف ذلك.

ومنهم من أنكر رؤيته في الآخرة! وهذا من تردي فهمهم للنصوص الشرعية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صورة متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جَوَّز أهل التعبير رؤية الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في المنام مطلقاً، فرؤية من ليس كمثله شيء وهو السميع العليم تختلف باختلاف السرائر. [فتح الباري (١٢/ ٣٨٧)].

وما من إشارة إلاّ ولها تعبير حسن أو رديء، ورؤية الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيما يليق بعظمته وجلاله من غير تشبيه ولا تكييف إن كان في صفات حسنة، أو إقباله على الرائي؛ دلَّ على البشارة والخير والرحمة، وإن كان في صفات ناقصة دلَّ على النقص في الرائي، وقس ذلك في رؤيا الملائكة والأنبياء عليهم السلام، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والصديقين،

والتابعين رحمهم الله.

فإذا رأى اللهَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بصفة حسنة كالدُّنُو منه، أو كلام حسن، أو أقبل عليه، أو وعده بخير ونحو ذلك، أو كان مسموعـًا، أو مكتوبـًا، أو رأى اسمـًا من أسمائه الحسنى الدالة على الصفة الحسنة فبشارة له برفع المنزلة، وخير ممن دل عليه الباري عز وجل من الإشارات الدالة عليه والتي سيأتي بيانها، وأعط بقدر ما يليق به.

ومجيئه إلى مكان مخصوص، أو تجلى عليه وهو في صفات حسنة دل على نصر المظلوم، وهلاك الظالم، وإن رآه المريض: مات؛ لأنه حق، وللخائف أمان وبلوغ المراد، وربما دل على خراب ذلك الموضع على يد ملك، أو يسخر الله لذلك الموضع عالمًا جليلًا، أو طبيبًا ماهرًا، ونحو ذلك، ودل على البلاء ويُلهم الصبر والشكر، فإنه إذا أحب عبدًا ابتلاه، وقس على ذلك من رحمة الله سبحانه وتعالى ولطفه بعباده .

وأما رؤيته في صفات ناقصة، أو أعرض عنه، أو تهدده: تغيّر عليه من دل عليه كالسلطان، أو كبيره، والحاكم، والعالم، ونحوهم، فاحذره؛ أعني الرائي بما هو قائم عليه من خطأ، وربما تغير دينه. فافهم ذلك.

والشيطان لا يتمثل بالباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في المنام، ولا بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ولذلك تجد عند بعض المرضى، أو ممن تاب، فعند توبته ووجد ما ينفعه من الخير يتمثّل له الشيطان بالمنام لكي يصرفه عن ذلك، وهذا من حيله، فتفطن لذلك.

وأما إن تكرّرت رؤية الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وهي غير لائقة لا سيما المرضى فهو دال على فساد أخلاط عند الرائي وعليه بالاستفراغ، والله أعلم.



إشارات الربيع في رؤية الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

اعتبر رؤية الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بإحدى هذه الإشارات بعد معرفتك لحال الرائي وأعط بقدر ما يليق به:

دال على كبير من الأكابر كالملك والحاكم، ودليله من سورة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من قوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف:٢٣]، وقوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢]، فإن الرَّب هنا بمعنى الملك ونحوه العزيز.

ويدل على السيد والوالي والقاضي والعالم والوالد أو العريف والأستاذ والقدوة والمؤدب والزاهد والخبير في الشيء، ونحوهم.

فإن كان في صفة حسنة ويليق به المُلك؛ دل على المُلك أو الولاية، أو الحكم والقضاء، والعلم فيحصل له ذلك، أو حكم على أرباب صنعته، أو مقربة ممن أشرت إليهم، أو نال منهم خيرًا أو عزًا، أو جاهًا، أو سلامة، ونجاة، أو غنى، أو زواجًا، أو حملا، أو خلاصا من شدة، أو رزقا، أو نصرًا، أو سيرة حسنة، أو أمانا للخائف، أو عمارة للخرب، أو هداية، أو تدل على موت المريض، أو إسلام الكافر، أو توبة المذنب، ونحو ذلك.

وأما إن كان في صفة ناقصة فاعتبر عكس ما ذكرت، أو حذّره مما هو عليه إن أدركت خطأه من شهود الرؤيا أو من حاله.

اعتبر صفة رؤيته واعرف حال الرائي واحكم بذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت أني مع صديق لي والنار أمامنا، ويأمرنا الله أن ندخلها.

قلت: طلب منكم رب العمل الإقدام على أمر رديء كفتنة ونحوها وأبيتم ذلك.

قال: صحيح.

وآخر يقول: رأيت أني أكلّم الله وبيني وبينه مائدة من خشب.

قلت: يرزقك الله علمـًا نافعـًا للعباد من مشايخك وتُبتلى بمن حولك، ويؤيدك بالحجة والبرهان، وتمرض، ودليله مما جرى لموسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند أخذه للألواح، وليس كل خشب في المنام دال على النفاق كما يظنه البعض.

وقالت امرأة: رأيت أحد طلبة العلم يكتب في السماء: الله يحبك.

قلت: يحصل لك بلاء بالرأس، ويسخر الله لك طالب العلم، ويحصل لك منه خير ونفع، فجرى كذلك.

وأخرى تقول: رأيت كأني في قرية والدتي وكان هناك مسجد أبيض اللون، وكان هناك فيل يضربني، وسمعت الباري سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقول: إن صبرت عوضتك الجنة.

قلت: عليك أن تصبري، وعليك بعُشبة الصبِر من داء بك، فهو بالضد لطبائع البياض، وينصرك الله على عدو آذاك كثيرًا، ويكن عاقبة أمرك حسنة، وزواج برجل حسن، وأمان لك، فافهم ذلك.

وعلى هذا فقس في رؤية العرش والكرسي واللوح والقلم حكمها حكمه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لأنها اختصها لنفسه فصارت حكمه، وإن أردت دراسة باقي الإشارات لكل أبواب التعبير فابحث في: **ربيع المنامات**.



المبحث التاسع: صُحبة حتى في الكربة

ومن الدروس: دالة على أن الرؤيا تُفَسَّر إلى دلالات عدّة؛ فكما أنها كواكب عدة كانت في رؤياه فقد جرت دلالات عدة، وكانوا سبباً إلى ما وصل إليه، وهو مآل رؤياه، وإن صدر منهم الظلم ونحوه، ولهذا فالرؤيا تُفَسَّرُ بتأويل واحد ويُسْتَنْبَطُ منها دلالات وأحكام شتى، وهذا من قوله: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف:٣٧]، وهذا يتوافق مع تفسير مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه الآية؛ فقبل أن يأتي الرزق في اليقظة والذي رأيتماه في مناكما إلا حدثتكم بمآله من حيث ماهيته ومنه كيفيته ونحو ذلك من الدلالات، فافهم ذلك.

وكما أن الكواكب كانت متجاورة في رؤياه ومنها استنبطنا دلالة على السِّجن، فقد جرى له أيضاً صُحبة عند دخوله للسجن، وهما الفتيان الخادمين، وهما شبيهان لمن دل عليهم الكواكب لمجاورتهما للشمس والقمر، فقد كانا في مجاورة الملك.

وسبحان الذي يُسخِّر للعبد كشف كربته بما لا يخطر في باله، فيرزقه من حيث لا يحتسب، وقد يأتي الفرج والخير من الغريب والبعيد ويُرفض من قِبل القريب أو المعارف.

والمتأمل في حياة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فقد جرت النصرة من قِبل أهل يثرب، وجرى عكس ذلك من أهل مكة، ومن أقرب الناس إليه، بل وآذوه أشد الأذية، وما أحسن ما ذكره ابن الوردي في "لاميته":

حُبُّــك الأوطـــان عَجْـــز ظـــاهر   فـــاغترب تلــق عـــن الأهـــل بَـــدَل

وكم بَذَلَ نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ من النصح والتبليغ لأهل مكة ومع ذلك لم يجري منهم إلا الصد والإعراض، ومن ثَم فتح الله عليه بدءًا مع سيد الأنصار، وما جرى بينهما، ومن ثم مع أهل يثرب كما في السيرة.

وحال آخر من هذه الصحبة وهو قد يشتركا اثنان وأكثر في رؤيا واحدة، أي: يرى كلا منهما رؤيا بذات السياق، وقد يرى الإنسان لإنسان آخر، وهذا الآخر يرى بما جرى من الأول نحوه، كمن يرى أنه طعن صاحبه، ورأى صاحبه أنه طُعن من قِبل صاحبه الأول، ونحو ذلك من عجائب الرؤيا.





المبحث العاشر: نبأ التأويل من نبيّ الله

ومن الدروس النافعة: أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وينبغي علينا أن نتعلّمه ونُعلّمه في دور العلم، وعلينا ألا نغفل عن مكانة الرؤيا، ودليل ذلك من قوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٣٧].

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال: ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ التعبير الذي سأعبره لكما ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٣٧] أي: هذا من علم الله علمنيه وأحسن إليَّ به، وذلك ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف] والترك كما يكون للداخل في شيء ثم ينتقل عنه، يكون لمن لم يدخل فيه أصل. اهـ

وكما عند أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، برقم: (٣٠٣٢) أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ دعا لابن عمه عبدالله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا فقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهُّ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»، وهنا تنبيه لطالب العلم أنه بدأ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بفقه الدين، وأنه لا تأويل صحيح إلا بفقه، وهو علم الكتاب والسنة المطهرة، وإن كان دون ذلك فهو جهل أو تكهن، وكانت دعوة نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ له مباركة عليه، فصار ترجمان القرآن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

ثم ننتقل إلى قول السَّجينين: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف]، وقد نبّأ نبي الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بمآل كل رؤيا لهما وجرى ذلك بحذافيره. ومعنى النَّبَأُ: الْخبر يُقال نَبأَ ونَبَّأَ وأَنْبَأَ، أَي: أَخبر. ومنه النَّبِيُّ؛ لأَنَّهُ أَنبأَ عن الله، وَهُوَ فَعِيل بِمَعْنى فاعل، تركوا الْهمزة كالذُّرية والبريَّة والخابية، إِلا أَهل مكة فإِنهم يهمزون الأَربعة.

والتأويل: قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو مِن آلَ الشيءُ يَؤُول إِلى كذا، أَي: رَجَع وصار إِليه، والمراد بالتأْويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأَصلي إِلى ما يَحتاج إِلى دليل لولاه ما تُرِك ظاهرُ اللفظ.

وسئل أَبو العباس أَحمد بن يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التأْويل، فقال: التأْويل والمعنى والتفسير واحد.

قال أَبو منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقال أُلْتُ الشيءَ أَؤُوله إِذا جمعته وأَصلحته، فكان التأْويل جمع معاني أَلفاظ أَشكَلَت بلفظ واضح لا إِشكال فيه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾ [الكهف] أي: ذلك تفسير ما لم تستطع الصبر عليه.

وقال الليث رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التأَوُّل والتأْويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إِلاّ ببيان غير لفظه؛ وأَنشد:

نحن ضَرَبْناكم على تنزيله ... فاليَوْمَ نَضْرِبْكُم على تَأْويلِه

قوله: نضربْكم، بالجزم؛ هكذا في الأصل ولعل الشاعر اضطُرّ إلى ذلك محافظة على وزن الشعر الذي هو الرجز.

وبما أن التأويل بمعنى التفسير فتأويل الأنبياء حق كما أن رُؤاهم حق، وأما من غيرهم فتأويلهم أو تفسيرهم ظن، والظن يخطئ ويصيب، فلا يجزم العابر بتفسيره ولا يقسم، وهذا من باب أولى، والله أعلم.





المبحث الحادي عشر: مُحسن في السجن

ومن الدروس المليحة: الإحسان؛ وهذه الصفة قلّ أن تجد أناسًا يتصفون بها، والأحسن من المحسن عند الشدة والمحنة يهب مما يعتريه، فهذا تجده من صفوة الصفوة، ولما ذُكرت اللفظة (أحسن) قبل بدء قصته كان الوصول إلى ما وصل إليه لا بد أن (أُسجن)، وهذا ما يسمى التأويل بالتصحيف، وقد نال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أعلى مراتب الإحسان، ومن ذلك مراقبة الله تعالى مع امرأة العزيز، وفي السِّجن قالوا: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾[يوسف]. فقد كان ميسراً وهو معسر.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: ثلاثة لا أقدر على مكافأتهم ولو حرصت: رجل سقاني شربة على ظمأ، ورجل حفظني بظهر الغيب، ورجل وسع لي في مجلس، ورابع لا يكافئه إلا الله عز وجل: رجل بات وحاجته تلجلج في صدره غدا عليّ فأنزلها بي. [تاريخ بغداد ٤٦/ ٣٦٥].

والمتأمل في الآية فالفتيان توسموا في يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الأخلاق الحميدة بعد صحبته في السِّجن، ويُعضد ذلك طلبهما لتعبير رؤياهم فإنه لم يعلموا أنه عابراً للرؤيا من حين دخولهم، ولعلهم بعد أن رأوه يعبّر لغيرهم ويُكرم في ذلك، وأيضًا طلب ذكره عند ربه دالة على طول المدة التي حل بها يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السِّجن، وأن سؤالهما لم يكن من أول وهلة عند دخولهما للسجن، وإنما فيما بعد، وهذا يتوافق مع المدة الزمنية التي مكث فيها كما حددناها في الجزء الأول، والله أعلم بالصواب.

ومن إحسانه كرمه في خدمة المسجونين مما وهبه الله تعالى، وكانت الإشارة البارزة

في سجنه هو بث العلم وهو في كربة، وهنا درس في عدم اليأس بل دل على العزيمة والصبر والفأل الحسن، ولما كان المحسن محبوباً عند الله قذف محبّة خلقه الصالح منهم والفاسد، وهذا تجده من خطاب السَّجينين مع اقتراف أحدهم لجرمه الذي قام به ضد الحاكم، ومن رؤياه مما تقدم ذكره نتعلم من الشمس والقمر أن الله سخرهما لمصلحة العباد، وهذا من الإحسان على الآخرين حسب مفهوم التعبير، ونتعلم أن اللفظ حسن أو محسن ونحوه في المنام دال في الغالب على خير، وفوائد، وأرزاق، وخلاص من شدة، ونحو ذلك.

ولهذا على طالب العلم أن يرشد السائل قبل الجواب على مسألته لما فيه من خير في دينه ودنياه على نحوها، وهذا ما كان من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قبل تأويله للسجينين، وفي رؤيا الملك، وإذا تأملت في رؤىٰ المرضى اليوم فإنه يلزمك أن ترشدهم للعمل بالأسباب الصحيحة لما هو عافية لهم في دينهم وأبدانهم. فافهم ذلك.

سأل الربيع نفسه قائلاً: لم يُذكر في السورة عفو يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن امرأة العزيز وقد ذُكر عفوه عن إخوانه؟

فبحثت وبحثت حتى وجدت: لعل السبب في ذلك أن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عانى أشد المعاناة من قِبلها، وكان ما جرى عليه من قبلها أشد مما جرى من إخوانه، فقد تكلمت في عرضه، وسجن سنوات وغير ذلك من الأمور، ولكن كان إخوانه هم السبب الأول، وعندما التقى بأبويه وإخوانه قال: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف:١٠٠]، ولم يقل من الجب، وهذا دليل على شدة كربة السِّجن، وبما أن ذكرنا أن من دلالة الشمس من رؤيا يوسف ما يشير لامرأة العزيز فإذا رجّحنا الشمس جوار أحد عشر كوكب لوجدت عظم جُرم الشمس وحرّها، فكان حال ظلمها عليه شبيه بذلك،



وأيضـًا عند تحذير يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ له قال: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [يوسف:٥]، ولكن عند كيد النساء قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾ [يوسف: ٢٨]، والعزيز بمكانته لا يصف حالهن بهذه الصورة إلا وهو صاحب خبرة، فهنا كيد امرأة غلب كيد أحد عشر رجلاً، والله أعلم.

ولعل امرأة العزيز أسلمت على يد يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك من قوله تعالى عنها: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾ [يوسف: ٥٢]، فقد تبين لي مما حصل أن الله لا يوفق من يكذب ويمكر، والله أعلم.



المبحث الثاني عشر: الجزاء من جنس العمل

وهذه قاعدة عظيمة نجدها في قصة يوسف عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ولها وقفات عدّة:

منها: إخلاصه.

ومنها: دعوته للتوحيد للسجينين ولم يأبه لعقيدتهم لكونه يعلم أن أحدهم سيخرج يخبر الملك بعقيدته الصافية، ومع ذلك لم يخشَ إلا الله تعالى، فكان جزاؤه اشتهاره بالصدق في كل ما يقوم به.

ومنها: التأويل، وذلك من قوله: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:٤٦].

ومنها: عندما أحسن للسجناء بحسن خُلقه، فكان جزاؤه من ذلك، أن أحسن الله إليه فقال: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف:١٠٠]؛ لأنه أحسن إليهم حتى شهدوا بذلك فقالوا: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف: ٣٦].

ومنها: قيامه بخدمة الخلق في تأويل الرؤيا، فكان خروجه من السِّجن من جنس ما قام به، وهو في السِّجن، وذلك من رؤيا الملك.

وليعلم طالب العلم أن الله إذا أنعم عليه فلا يبخل في نفع العباد، بل ليسارع وليبذل ذلك، لا سيما في علم تأويل الرؤيا، فإنه يتطلب على طالبه قلب صبور، وذلك بعد توفيق الله له، فإن أكثر من يبدأ بهذا العلم تجده يتراجع ويترك ويبتعد عنه، لا سيما إذا رمي بالكهانة، ولم يصبر، ولو صبر لأدرك أن إحسان الله عليه سيكون أعظم وزيادة مما أحسن به للناس، سواء من التعبير، أو بشيء آخر فيه قضاء حوائج الناس.



والناظر في نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مع هذا العلم نال فيه التوفيق والسؤدد، فقد كان يطلب من أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لمن رأى منهم رؤيا ليعبّرها لهم، وهذا المسلك لم يُذكر ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أحداث قصته، وهذا من أرفع مراتب الكرم والعطاء من قبل نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

ولهذا فمن رأى يوسف في المنام أو نحو رؤياه فقد يُسجن بمكر يكاد عليه بشيء يخوضه في خدمة العباد، ثم يكون الفرج من جنس ذلك، والله أعلم.

ومن تواضع لله رفعه، فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم المنكسر بين يدي خالقه، وبين يدي معلمه وإخوانه وأهله، ولما كان حاله كذلك كانت له الرفعة في الدارين.



المبحث الثالث عشر: طائر من كوة السجن

ومن الدروس الماتعة: اعلم أنه ما من مظلوم أو مكروب كالسَّجين ونحوه إلاّ وتأتيه رؤيا أو تُرى له، وربما كانت مترادفة، وفيها دلالة إما بشارة بكشف الغمة عنه فتكن تسلية له، لا سيما أهل التقوى، وإما إرشاد وإنارة بما يتوجب عليه لكي يجري له الخلاص، كما ذكرنا بعض الرُّؤىٰ في الجزء الأول، فإنه غالبًا مثل هؤلاء يأتيهم الفرج من الخارج بأمر الله، وهذا حال كل مكروب لا سيما إن كان ممن يدرك قدر الرؤيا، وإلا فالغالب عند العوام لا يأبهون بها، وهذا خطأ وسببه الجهل، ومن حال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أتت الرُّؤىٰ لغيره، ولكنها كانت عبورًا وسببًا لخلاصه، ومن ثم أتت رؤيا الملك.

ولما كان حال همّة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ عالية صوب مكة وهي موطنهم الأول أتت رؤيا نحو ذلك الأمر، وذلك من قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ [الفتح:٢٧]، وذلك لتطمئن قلوبهم؛ لأن من كان في غربة عن بلدته وأهله فحاله شبيه بالسَّجِين.

ولذا عندما فُقدت رؤية الطبيعة للمسجون عدا أربعة جدران وفي الظلام؛ لم تذهب عليه الرؤيا، وهذا من نعم الله على عبده، فجعلها دلالة وبشارة فَرَجٍ وفَجْرٍ وفرح.

كما قال لي إنسان: رأيت أني أسأل المسجونين أين فلان؟ فقالوا له: أتعني هذا؛ وأشاروا إلى حَمَامة؟ **قلت له:** لعل سجينك سيخرج عما قريب؛ لأن الحمامة تدل على أهل السلامة والاستقامة، فجرى ذلك وخرج بدون أذى حصل له، وبعد ذلك تبيّن لي أن الذي خرج هو الشيخ أحمد عثمان حفظه الله عندما سُجن في بلاد الحرمين.



وآخر وكان قد بدأ به سجن المرض يقول: رأيت رجلاً يرشدني أن آكل من عشبة في مزرعتي، وقد تكررت عليّ الرؤيا.

قلت: عجّل بها فإنك لا تدرك خطورة مرضك، ولن تشعر إلا وقد انتشر الداء في بدنك، فلم يفعل، فاشتد مرضه، ومن ثم قام بتناول تلك العشبة في حال مرضه ولكن لا جدوى فمات، فسبحان من سخّر الدواء من أرض العليل فإن هذا يوافق معنى الحديث الذي رواه أحمد، برقم: (٣٥٧٨)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ قال: «**ما أنزل الله داء، إلا قد أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**». فلعل مكان الدواء في مكان الداء، وهناك فوائد نفيسة لمن تفطن لها.

ويُستدل مما سبق ذكره أن إشارات الظلام والظلمة لصاحب السمت الحسن في المنام دلالة على الكلام في عرضه، وهذا من الظُلم وقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فافهم ذلك.



المبحث الرابع عشر: الطيور على أشكالها

ومن الدروس: دراسة ودراية معرفة الحال إما من رؤياه، وإما من شاكلته، وهذا عند من وفقه الله، وقد تحدثنا عن هذه الفائدة في دراسة رؤيا يوسف، وأعدتها هنا، وذلك لأهميتها فمن رؤيا السَّجين الأول والآخر كانتا دلالة على معرفة حالهما قبل أن يُسجنا، وأتت الرؤيا لكل واحد منهما بما يوافق حاله، وذلك من مهنته، وقد تقدم ذكر أهل التفسير في صنعة كل غلام، وإذا تأملت إلى حديث الرؤيا على قدم طائر إن صحّ فإنه يتوافق مع معنى هذا الفصل، وهذا يُسهّل للقاضي بأن يفتي ويأتي بحلول يوافق الحال وتليق به، ولهذا فاعط بقدر ما يليق به، وكان هذا المعيار الصحيح لدى نبي الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في تأويله وتكلّم به، وكان موافقـًا، ولم يعلم قبل دخولهما للسجن مهنة كل واحد منهما، وذلك من قولهم: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾[يوسف]، ولعل هذا يعارض ما نقله ابن جرير أنهما لم يريا شيئـًا، وإنما ليختبرا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ونستنبط من هذا أن التعبير إن كان لا يوافق شهود الرؤيا وحال الرائي فربما غير مقبول به، ودلالة أخرى من قول ابن جرير أن هناك حكمًا آخر لمن يكذب وسيأتي بيانه.





المبحث الخامس عشر: هل الرؤيا الصادقة يراها غير المؤمن؟

بوَّب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيحه" فقال: **(باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك)**. ثم أورد رؤيا الملك والغلامين مع يوسف في السِّجن، ويريد من ذلك: أن الرؤيا الصادقة قد يراها الكافر، والفاجر، والمنافق، وأشباههم من الناس.

وقد ذكر أهل العلم أقاويل عدّة، ومنهم ما ذكره عبد الغني النابلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الرؤيا تصدق وتقع صحيحة من العاجز، والكافر، والفاجر، ومن الكبير، والصغير، والمجوسي المشرك، ومن النساء الحُيَّض، وغير الحُيَّض، ومن الجنب، ومن السكران، ونحوهم من أهل المعاصي. اهـ

قلت: الظاهر أن رؤيا مثل هؤلاء تأتي على النّدرة والقلّة، وإذا أتت تكن لأحدهم الدخول في الإسلام، أو في خير يناله دنيوي؛ لأن جنتهم الدنيا، أو شر يلحق به، أو فيها نفع للمسلمين، وهذا مستخلص من الكتاب والسنة، ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا**» رواه أبو داود، برقم: (٥٠١٩)، وغيره.

وأمر الغلامين فقد بدأ يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدعوة التوحيد لمصالح عدّة:

منها: التوحيد والاستسلام لحكم الرؤيا لما فيه نفع له في آخرته؛ أعني: للمقتول، وللآخر لمصلحة تتعلق بيوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد بضع سنين وغير ذلك من المصالح.

وانظر إلى رؤيا أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قبل إسلامها عندما رأت أن القمر سقط إلى حجرها، فغضب زوجها وفسّرها بأنها ستكون تحت ملك الرجل الذي يأتي من المدينة، يعني: نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وكانت بشارة

بإسلام أم المؤمنين.

وقد ذكر بعض المفسرين أن ملك مصر أسلم على يدي يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهكذا في الرُّؤىٰ المذكورة في كتب أهل السير التي بشرت ونبأت بمجيء وبعثة نبينا محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما ذكر ذلك أهل السير.

فائدة:

وهي ربما نعبّر رؤيا الزوجة بالزواج من رجل آخر إن كانت دالة على الزواج في حال زواجها، ولكن إذا وُجد شرطين في الزوج والزوجة:

الأول: إن كان الزوج فاسقاً ونحوه.

الثاني: إذا كانت الزوجة مستقيمة.

فإذا وجد هذين الشرطين مع توافق أحداث الرؤيا فاعتبر بذلك أو بحكم آخر.

كما قالت لي امرأة: رأيت على يدي اليسرى زوجي وعلى يدي اليمنى أحد محارمي.

قلت: زوجك غير مستقيم وسيطلقك؛ لأن في الغالب جهة الشمال مذمومة، وتتزوجي برجل حسن، فطلقها. فافهم ذلك.





المبحث السادس عشر: الرِّفق مع رفقة السجن

ومن الدروس: قبل الخوض في بيان رؤيا الغلامين فإنك إذا تأملت في الرؤيتين ومآلهما تجد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بدأ بذكر الرؤيا التي مآل صاحبها إلى أمر حسن، وكانت سبباً لخروج يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من السِّجن، ثم عقّب ذكر الرؤيا الأخرى وهي عكس الأولى، وهذا إن دل فإنما يدل على تقديم الخير واللِّيْن والرفق من قول أو عمل في الدعوة إلى الله تعالى، ولا يُحصر ذلك في تعبير الرؤيا فحسب، وإنما في الأمور كلها، وهذا من الأسس التي أتى بها الإسلام، ومن ذلك قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**بشروا ولا تنفروا**».

ومن القرآن من سورة الفاتحة بدأ بذكر الحمد، ومن ثم الرّحمة، وذكر ذم اليهود والنصارى في أواخر السورة.

وقس ذلك عند الجهاد في سبيل الله تعالى، فإنه يُخيّر الكافر أولاً بالإسلام وإلا فالجزية وإلا فالحرب، وعلى هذا النحو في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا درس ينبغي على طالب العلم أن يلازمه حتى مع الصغير؛ فابدأ له بذكر الجنة وما فيها ولا تبدأ ترهبه بالنار.

وأيضاً ليتفطن له صاحب الجرح والتعديل، ولم يكن دأب أئمة السلف في الحال الذي وصل به بعض طلبة العلم في زماننا، فقد وصل بأحدهم وكأنما ربقة السلفية بيديه يدخل فيها من شاء ويجرح منها من شاء، فنسأل الله الثبات والسلامة والعافية في الدنيا والآخرة؛ ولله در شيخنا يحيى الحجوري، ونحوه شيخنا سليم الهلالي، وشيخنا عبدالحميد الحجوري، وغيرهم، في سيرتهم النفيسة تجاه أهل الأهواء والبدع.

المبحث السابع عشر: دهاء سجين.

ومن الدروس النفيسة: فإنه لم يبدأ ببيان التوحيد لهما من أول وهلة، فلعل ذلك يجري منهما عدم القبول، فإن مثل حال هؤلاء ممن هم ملازمي للخدمة لا سيما الخدمة أو الصنعة بين زوايا محدودة كخدمة الساقي والخبّاز ونحوهما غالباً لا يتقبلون الأمر الجديد عليهم؛ لأنه لم يعاشر الآخرين، وكذلك ليس كثير الانتقال من مكان إلى مكان آخر للاطلاع على الأمور المغايرة وغير ذلك، فكان من فطنة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن ولج إلى قلوبهم من بابهم بأمر يوافق حالهما وهو الطعام، وذلك من قوله: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ [يوسف:٣٧] لكي تتقبله قلوبهم ويوافق عادتهم كذلك، ولهذا بدأ في أول سورة يوسف قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف]. فتفطن لذلك.

ثم انتقل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعقّب بالتوحيد شيئاً فشيئاً، وهذا ينبغي على طالب العلم أن يتفطن له ويسلك هذا المسلك في دعوته، وما حصل من نفور لدى بعض العوام إلا بسبب ناشئة من طلبة العلم لكونهم لم يفهموا هذا الولوج، ولذا تجد جماعة الإخوان المفلسين يسلكون باب الرقة والابتسامة ونحوها حتى استجلبوا الأكابر والعوام، ولن يفلحوا، وذلك لكونها ابتسامة ذئب، فافهم ذلك.





المبحث الثامن عشر: توحيدٌ واتّباعٌ من السجن نَبَع

ومن الدروس النفيسة؛ بل أجلّها: ألا وهو درس التوحيد، وكأنّ يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يبيّن لنا عِظم التوحيد والمتابعة، فقد اتبع ملة الأنبياء الذين من قبله، وهي إشارة لنا بالتوحيد والإتباع على نهج نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وإلا فلا.

والمتأمل في خطابه للسجينين يجده يحمل توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا هو الأصل، وذلك من قوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: ٣٧-٣٨].

ودلالة على أن علم تأويل الرؤيا من علوم الشريعة وليس تنجيماً، ويُستدل لمن أراد الصواب فعليه البدء في التوحيد وبقدر إخلاصه يكن له ذلك، فكلما أخلص طالب العلم كان أتقن لتعبير الرؤيا ولغيره من العلوم، ولعل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدأت دعوته من السِّجن، فإنه لم يبدأ بدعوة التوحيد جهرًا إلا في هذا الموضع، والله أعلم.

ولما كان التوحيد أساس العمل كانت سورة الإخلاص موجزة وتعدل ثلث القرآن، وذلك لما احتوت عليه من خيري الدنيا والآخرة.

وقس على ذلك كلما كانت الرؤيا قليلة الإشارات كلما كانت أقرب وقوعًا بعد تفسيرها الصحيح، وتحمل معانٍ عدّة بقدر همة الرائي، والعكس إذا كانت طويلة متشعبة، ومن يتكرَّر عليه الرُّؤىٰ الطويلة الغير واضحة فإن مثل هذا يتطلب من صاحبها

الاستفراغ لبدنه بأصول الاستفراغ الذي جاء به الطب النبوي، والله أعلم.

وإذا تأملت إلى رؤيا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ التي فيها نحر البقرات فإن النحر أسرع في ذلك، ولا يتطلب إلى زمن أطول، وعكس ذلك من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنك تستشعر أنها طويلة لكنها مرتبة، وتحمل دلالات مختلفة، فجرى مآلها بعد زمن طويل، ولهذا **قال ابن شداد**: أقصى زمن للرؤيا أربعين سنة.

واستدل بذلك من زمن رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى مآلها وهذا القول له قوته، وتأملت مما يعضد قوله فوجدت من رؤيا أمنة بنت وهب والدة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ «**فقد رأت أن نوراً خرج منها ...**».

والمتأمل لحياة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بدأ بالرسالة عند سن الأربعين، وهذا الزمن هو ما مضى من رؤياها حتى بُعث، ولكن مكث بعد ذلك ثلاث وعشرين عامًا، وأضاء هذا النور بلاد الشام في زمن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهذا يناقض قول ابن شداد، ولهذا ليس على العموم، ونأخذ من قول ابن شداد مع ما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن دلالات الأربعين من كلام الله تعالى أن لفظة الأربعة، أو الأربعين، أو الأربعمائة، ونحو ذلك تدل على الوفاء بالمواعيد، وقضاء الحوائج، فافهمه.



المبحث التاسع عشر: نور على نور

ومن الدروس: ينبغي أن نقدم الأهمَّ على المُهمّ، وهذا تجده في جواب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فبدأ بدعوتهم إلى التوحيد قبل تأويل رؤياهم لاسيما وقد أدرك من رُؤاهم أن أحدهم سيُقبل على الآخرة، فبدأ بالنصيحة الثمينة، وهذا دال على فطنته وحسن إرشاده، ولذا عقّب ذكر الآخرة لهما في قوله: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف: ٣٧]، وكرّر بالضمير للقوم وذلك ليستوعبا حديثه فيحصل منهما قبول، ويكون ذلك خيرًا لهم في دنياهم وأخراهم، ولذا فإنه ينبغي لطالب العلم أن يلازم هذه القاعدة على علم وبصيرة لاسيما في زماننا، وقد كثر اختلاف المفاهيم لدى الناس في كل أمورهم، وبقدر توحيدك تُرزق حسن الفهم بإذن الله تعالى، والله يرزق من يشاء بغير حساب. فافهم ذلك.



المبحث العشرون: تمهيد بين الحديد□

ومن الدروس: فإنه قبل أن يَحْكُم بَدَأَ بِذَم القوم الذين لم يسلكوا طريق الهداية وذلك من قوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف:٣٧]، ولم يبدأ بذم حال السَّجينين على ما هم فيه من الشرك، وبدأ بحاله ولسان مقاله، فكما قلتم أنه على صفة الإحسان فإني تركت ملة الكفر فعليكم أن تتبعوني لكي يحصل لكم النفع في الدارين بسبب صحبتكم لدي، وهذا هو جوهر العلم؛ ونظيره مما قام به أبيه يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع إخوة يوسف أن أمرهم أن لا يدخلوا من باب واحد، وذلك لكونه يعلم من الله وهو أعلم منهم، فكان هذا تمهيدًا لأجل مصالح عدَّة لم يتفطنوا لها في بادئ الأمر؛ ولعل هذا كان من عقيدة ملك مصر وشعبه آنذاك أن الإنسان إذا مات ينتقل إلى مكان آخر دنيوي، والله أعلم.



المبحث الواحد والعشرون: الولاء والبراء في السجن

ومن الدروس: كلما كان طالب العلم مُبغِضـاً لأهل الأهواء والبدع كلما زاده الله من علمه وفضله بما لم يخطر على قلبه، وكلما كان محبـاً لأهل السنة كلما حصل له الخير الكثير وإن كان من العوام، وقس ذلك في عابر الرؤيا، فإن الله يسدده ويوفقه للتأويل الصحيح غالبـاً ويذاع صيته، وهذا من قوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف]، ولم يحصل من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الولاء للملك لكونه على الكفر في زمن سجنه، وهذا تجده من خطابه، فقد كان دال على البراء مما يعبدون من دون الله تعالى، وعلى الولاء لله وفي الله وذلك على دين آبائه وهو توحيد الله في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ "كما في مجموع الفتاوى": فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءُ اللهِ وَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ؛ وَالْكُفَّارُ أَعْدَاءُ اللهِ وَأَعْدَاءُ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ أَوْجَبَ الْمُوَالَاةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ وَنَهَى عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ مُنْتَفٍ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ. اهـ

المبحث الثاني والعشرون: نُبذ اليأس من الحبس

ومن الدروس: بث العلم في الشدة، فيصير دهشة، ويُوفق صاحبها للحكمة، ويكون نفع تلك الكلمة على إنسان طيلة عمره أو لأجيال، وذلك بقدر إخلاص وهمّة صاحبه، فقد جرى من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بث العلم، وبدأ بعلم التوحيد، وهو في كربة السِّجن ولم ييأس، واستغل الفرصة في دعوة الفتيان، وكان ثمرة ذلك أن أتاه الفرج مما غرسه، وكما جرى من نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بصدق التوكل على الله عندما كان مع صاحبه الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ [التوبة: ٤٠] فلم ييأس نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ ولم يضطرب خوفًا منهم، بل بث الفأل في تلك اللحظة، ولما كانت أقدام قريش فوق أتربة وصخور الغار كان معنى الآية وصياغها تشير إلى الضد على ظاهر حال أهل الكفر، وذلك من قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾[التوبة:٤٠]، فلا شيء يعلو فوق الحق، وإن كان للباطل صولة وجولة، وذُكرت القصة في القرآن الكريم حتى قيام الساعة، فما أعظمه من درس نفيس انبثق في زمان ومكان حرج.

والمتأمل إلى قصة الغار وكيد امرأة العزيز لسجن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سيجد أن ما جرى لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أشد من سجن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ وذلك أن أهل



الكفر أرادوا قتل نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والفتك به بل وبذلوا وأذاعوا بالمكافأة النفيسة لمن عثر عليهما.

وعلى هذا فقس فيمن ابتلي بسجن بدنه ونحو ذلك فإن الله يوفقه لخير عظيم إن صبر واحتسب ذلك، والله أعلم.

وقد يُبتلى العبد بحرمان لذة مباحة وجُبلت الروح بها ومشغوفة بها، وإن كانت بين يديه، فإنك تجد الريحان يحمل ريحة طيبة ولكنه مُر المذاق، فإذا وجدت من كان حاله كذلك فقد ابتلي بجهد البلاء، والله أعلم.



المبحث الثالث والعشرون: إيمان بين أركان السجن

ومن الدروس: الإيمان بأركانه، ومنه بالقضاء والقدر خيره وشره، فإن المتأمل لخطاب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجد تعليمه للسجينين وللناس على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره فتتدبر ذلك.

فإن قلنا: الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره فتجده من حديث يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للسجينين بعد أن أدرك أن أحدهم سيُصلب وهو القتل ونحوه إذا حكمت للرائي باقتراب أجله لا سيما إن كان مريضًا، أو بسبب آخر، فينبغي على المعلم والقاضي ونحوه العابر؛ أن يغرس ذلك للآخرين قبل أن يفتي في قضيته، وهذا مما جرى من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والإنسان الصالح إذا أراد الله قبض روحه فإنه يرسل عليه الرُّؤىٰ أو يلهمه ليعد العدّة، وليوطن نفسه وليقم بما هو له وما عليه، وهذا تجده ملموسـًا مع من عاشرتهم من الصالحين، وكما جرى لنبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ وذلك من قوله: «**لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا**» [رواه الترمذي، برقم: (٨٨٦)، وقال الألباني: صحيح]، وكذلك مما جرى من أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ من فطنته العجيبة: أن النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ خَطَبَ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال أبو سعيد: فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟! إِنْ يَكُنِ اللهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا. فقَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ**» [رواه البخاري، برقم: (٤٦٦)]، ولهذا على المرء القبول بذلك.



وعندما رأى يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قرائن إتمام النعمة عليه قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١]؛ لأنه ما بعد الكمال إلاّ النقصان، والمعنى أن يتوفاه على الإسلام، وليس كما فهم البعض أنه طلب الموت.

كما قال لي إنسان: إنَّ مريضـًا قال: رأيت فلانًا الميت يمشي في السوق، ولكن كان حيـًا في المنام.

قلت: لعله مات مبطونًا، وأما المريض يموت مبطونـًا مثله.

فقال الرجل: صدقت، وقد مات الرائي بعد رؤياه بأيام.

وقالت امرأة: رأيت أني استضيف والدي المتوفي على مأدبة غداء وكان يمشي حبوا، فقلت له: لماذا تمشي هكذا؟ فقال لي: الطريق صعب.

قلت لها: اقترب أجلك، فماتت بعد بضعة أيام.

ودليله: أن الضيافة تفسر أحياناً بالضد وهنا دل على العزاء.



المبحث الرابع والعشرون: الدنيا سجن المؤمن

نتعلم أن السِّجن ليس عيباً أو ذمّاً بل هو محراب الصالحين والنبلاء وذوي الأقدار ممن سلك منهج أهل السنة والجماعة، وإن أضعف البدن لكنه أهون من ضعف الروح وذلك بالتخلي عن المبدأ، وقد جاء عند مسلم، برقم: (٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»، وذلك لكونه مقيد عن الملذات المحرمة، وفيها من الابتلاءات وهو خير له، وقد يُقيد العبد المسجون عن الدنيا وسط سجن آخر كما جرى لنبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فقد سُجِن في غرفتها بعد أن أغلقت الأبواب، وسَجَن نفسه عن المعصية، ومن ثم جرى له الولوج إلى سجن آخر، ولم يكن نقصاً في حقّه بل كان يعلم من في المدينة ومَن في القصر أنه براء، ولكن أراد الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك؛ لأنه ينتظره نصر وعز وتمكين.

وقد حُبس الصحابي خبيب بن عدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في مكة، فنال عطايا من الرحمن في حياته وبعد مماته، ففي حياته قالت مارية مولاة حجير بن أبي إهاب: حُبس خبيب في بيتي، ولقد اطلعت عليه، وإن في يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، ومعلوم أن مكة لا يُزرع في تربتها العنب وهذه كرامة، وعطية الشهادة وما أعظمها، وهو أول من سن هذه السنة أعني الركعتين عند القتل، ففي "الصحيحين" أن أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إن خبيب بن عدي الصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حين أخرجه الكفار ليقتلوه في زمن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ قال: دعوني أصلي ركعتين، فكان أول من صلى الركعتين عند القتل.



وقد سُجن الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فوجد في السجن سلوته وخلوته وراحته وامتزجت روحه بمن سلف وأخذ ينحت على جدرانه أحرفًا نفيسة، وذلك مما وجد فيه من هدوء لروحه لكيلا يشغله شاغل عن محبرته ليزهر سجنه بمصابيح فريدة إلى يومنا، ولئن خُيّر بين السِّجن أو الخروج لاختار السِّجن، وذلك لأنه ذاق معنى الإخلاص في الشدة ووجد لذة المناجاة والعبادة، فكان هذا زاده في الخلوة وقوته، وعندما سجن في دمشق كتب لتلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله لو أنفقت ملء هذه القلعة ذهبًا للذي سجنني ما وفيت حقه، ولقد فتح الله عليَّ في هذا السِّجن من علوم القرآن ما يتمنى بعضه كبار العلماء، وإني نادم على إضاعة الكثير من عمري في غير القرآن الكريم.

وقد نعت أخباره، وحكى أسراره.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. اهـ

وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه. اهـ

يقول تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلم الله، ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسَرَّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب عنا ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوة، ويقينًا وطمأنينة، وكان يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من رَوحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. اهـ



وكم من خارجي يفرح بشعور الهوى والشيطان فيتصور حاله كحال ابن تيمية، وهذا بسبب تعلّق القلب بمدخل مسدود والعجلة للسُلَّم لأجل الصعود، وهو معووج فتمكن الشيطان عليه من هذا الباب، وقد سُجن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن الخليل، وهذا درس ماتع طيب لكل مظلوم ومسجون بأيّ صورة كان ذلك السِّجن الذي ابتلي به، فافهم ذلك موفقـًا إن شاء الله تعالى.

ومما جرى للإمام أحمد بن حنبل وكذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية ليس عيبـًا في حقهم، بل صاروا منارةً للأمة جيلاً بعد جيل.

وفي زماننا من يَنْبُحُ في عَلَم علماء الأمة كمن يتكلم في البخاري أو في حق ابن تيمية أو في حق شيخنا الألباني رحمهم الله جميعًا، ولكن أنَّىٰ لهم ذلك؛ فالنجوم نجوم حتى قيام الساعة، والكلاب كلاب يذهب أبدانها بعد موتها مع مخالب الطيور أو في مهب الرياح.





المبحث الخامس والعشرون: سلامة الفطرة حتى في الظُّلمة

ومن الدروس: أن صاحب الفطرة السليمة تتكيف مع فطرة الأبوين، وإن تغيّرت فِطر من حوله فإنك لو تأملت في حياة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقد غاب عن والديه وهو في سن الخامسة عشر أو أقل من ذلك على ما ذكره أهل التفسير، وطال غيابه عشرات السنين؛ ولكن فطرته السليمة لم تتلوث مع أنه عاش في قصر العزيز وهم على الكفر، وتكلموا في عرضه، وكذلك مكثه مع المجرمين في السِّجن، وتجد هذا من قوله: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [يوسف:٣٨]. وهذا يوافق قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مما جاء عند البخاري، برقم: (١٣٥٨)، ومسلم، برقم: (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قالَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدْعَاءَ**»، ثُمَّ يقولُ أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم:٣٠].

والموفق من وفقه الله لذلك، والعجب أنك تجد من طلبة العلم عليه الهيبة والوقار ولكن تجد فيه أحيانـًا نتن الحمية الجاهلية! أو تَفَلُّت في قول أو عمل؛ ومثل هذا بليّة على نفسه، والسبب في ذلك تسلّط كَم وكَيْف الماضي، أو نزغة السوء وتغلبها على الحسن.

وإياك يا صاحب الفطرة السليمة أن تتوقف أو تلتفت بسبب أن قميصك قُدَّ، ولا تحزن ممن قام بالوشاية عنك ممن لهم مكانتهم عند الفقيه الفلاني، ولا تعاتب من لم

يقف معك، ولا تتحسر أن قضيتك ضعيفة لكونك طالب مبتدئ وحال المعتدي أرفع مكانةً وأطلق لسانًا؛ فالوقت يمر بصورة مفزعة، وصاحب الفطرة السليمة عليه حِمْلٌ لابد من القيام به لمصالح البلاد والعباد، ولذلك كان قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا﴾ [يوسف:٣٨]، ثم عطف على الناس، ولكن الكثير منهم لا يرعى حق هذه النعمة، وذلك من قوله: ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: ٣٨].

فبعض العباد يُمحصه الله بالبلاء منذ صغره لكيلا يهلك في كل بلاء يصيبه عند بلوغه سن الرشد، فيُلهَم الصبر عند كل بلوى، فافهم ذلك.





المبحث السادس والعشرون: مسألة نفيسة

ومن الدروس: نعلم أن نبي الله إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليس من بني إسرائيل، فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل، إلا عشرة: نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام، ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ودينهم واحد.

ولهذا نضع هنا فائدة ملغزة فإنك تجد يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال في السِّجن: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ [يوسف: ٣٨]، ولم يذكر إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولكن تجده ذكره مع إخوانه في موضع آخر؛ وذلك في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة: ١٣٣]. فالسؤال كان موجّه من يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، إلى بنيه ولا شك أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحد أبنائه، وممن أجاب كذلك على سؤاله، وذكروا فيه إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولكن في السِّجن لم يذكره؟!

ولعل السبب في ذلك دلالة على أن العم صنو الأب.

ولعله أيضاً أن المقامين مختلفان فالأول مقام دعوة وتحدي، فاحتاج إلى ذكر آبائه الأقربين ليثبت صدقه ويتقوى بنسبته، وأما الثاني فهو مقام التذكير بحسن الظن بالله عند الموت وتطييب خاطر الوالد ونسبته إلى نسل شريف فيه الجد والعم والأب المباشر لتعلوا همته عند موته بملة إبراهيم السمحاء ويموت عليها قرير العين بتوحيد ربه كما مات جده وعمه وأبوه.

ولعل هناك سبباً آخر لم نطلع عليه إن كان في كتب أهل التفسير، والله أعلم.

ومن هذا الترتيب النبوي كما في الآية المتقدم ذكرها؛ فلعل الأسباط المذكور في مواضع عدة في القرآن الكريم دال على أن له ارتباط بيوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإخوته، ويتوافق مع ما ذكره أهل التفسير بأن الأسباط هم أولاد يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والبعض ذهب إلى أنهم الأحفاد، وهذا الاختلاف لا يعارض بصلته بيوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنك تجد ذكر الأسباط في القرآن الكريم بعد الآية المتقدم ذكرها في مواضع عدة من سورة البقرة أيضاً على إثر سؤال يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأبنائه، ومن ثم ذُكر الأسباط عقب ذكر يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السورتين التي بعدها.

ويا ترى هل هناك من أهل التفسير ذكر بأن الأسباط هو يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟

وما سبق بيانه يُستنبط منه فائدة جليلة وهي أن هناك مفاهيم مليحة بين سورة البقرة وسورة يوسف سيأتي الخوض فيها عند رؤيا الملك إن شاء الله تعالى.





المبحث السابع والعشرون: نعمة تجلو غم الشدة

ومن الدروس: أن من أجل النِّعم وأفضلها على العبد نعمة الإسلام، ولا يستشعر بذلك إلا من وفقه الله لا سيما عندما يرى أهل الكفر في بلدانهم على ما يعبدون من دون الله، فذلك يسجد لبقرة! وآخر يسجد لفأر! وآخر يسجد لفرج امرأة! وآخر يسجد لنار! وآخر يسجد لصليب! والمسلم قد امتن الله عليه بنعمة الإسلام، ولذا تجد هذه النعمة من خطاب يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قوله: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف: ٣٨].

ويُفهم أنه لا تنسَ من اهتديت على يديه أو أحسن إليك لا سيما بمعرفة السُنَّة بعد أن كنت مع أهل الأهواء أو على جهل؛ ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ**»، [رواه الترمذي، برقم: (١٩٥٤)، وقال الألباني: صحيح].

ومن الحديث نجد دلالة مليحة من قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه لم يصدر منه إساءة قط نحو العزيز وامرأته مع أنهم كانوا على الكفر بجوار ما جرى منهم من ظلم؛ وذلك لأن الكريم لا يغدر ولا ينسى المعروف القديم، وأيضاً لأن همته عالية؛ ففي قلبه ما هو أهم من ذلك ألا وهو الدعوة إلى التوحيد، وهو في قاع جُبِّ السِّجن، ولم يصدر منه تجاه إخوانه بقدر ما جرى له من النصب والتعب من قِبَلِهم، وهذا درس مليح ينبغي أن نتدبره ونعمل به.

المبحث الثامن والعشرون: جرح وتعديل في السجن

ومن الدروس: نستنبط منها علم الجرح والتعديل، وهذا تجده من قوله: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩]، فإنه من تعلّم علم التوحيد وعمل به ودعا إليه يجد اعتراضًا من قِبَل أهل الأهواء، وذلك من شبهات وشهوات، فيكن حينها متمكنًا في كشف شبههم وافترائهم وبدعهم، وينبغي لطالب العلم أن يتعلَّم كيف يقبض القلم فيكن كالسيف ذو حدين، وهو أن تُلْجِم خصمك إن لم يرتدع باللّين والرفق بطرح سؤال التخيير لِلتَّبْيين، فيكون اختياره دليلاً على بطلان ضلالته بأي وجه اختاره، وهذا تجده في الآية المتقدم ذكرها.

ونظير ذلك في المباهلة، فإن جرى من الخصم الصمت فحينها يُبرهن طالب العلم بالحجة والدليل القاطع، وذلك من قوله: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾ [يوسف:٤٠]، ثم يقطع يقينًا بالحكم الفاصل ويدمغه بالبرهان، وهذا من قوله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ﴾ [يوسف:٤٠]، ونظير ذلك مما جرى من نبي الله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع النمرود، قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨]، فتجد إجابة الخصم لأبينا إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السؤال الأول إجابة ركيكة وضعيفة، ومع ذلك على وجه المباشرة طُرِحَ له السؤال الآخر، وهذا درس لطالب العلم أن يتزود من العلم طيلة حياته، حتى يكون على استعداد لأي دخيل؛ فإن أهل الأهواء تتلون



ردودهم، أو يظل حالهم في صمت، وهذا من شدة حقدهم لا سيما في زماننا، ولكن مآله مبتور، فحاله كمن شرع في الصلاة ولم يقرأ الفاتحة، ولن يفتح الله عليه وزاد الطين بلة إن صلّى بطلابه أو بالعوام وسلكوا دربه، والله المستعان.

وقد جرى السَّعد على الملك ورعيته عندما أذعنوا لقبول الحق، وإن كان الحق من فرد غريب، وعبد سجين، فليست العبرة في كثرة السالكين، ولكن العبرة فيمن نجا.

وهذا أصل بكيفية التعامل مع أهل الأهواء والبدع، وفي طيات هذه الآيات فوائد ملاح فيما يتعلق بالجرح والتعديل، فتفطن لها.

وإذا تأملت تجد مراحل حياة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدأ بالتوحيد، ثم التأويل، ثم سياسة البلاد، ثم الجرح والتعديل، **فإن قلت:** أين درس الجرح والتعديل بعد سياسته للبلاد؟

قلت: ما جرى منه من إثبات الحجة عند الملك مما صدر من كذب تجاهه من قِبل امرأة العزيز ونسوة المدينة، وهذا وجه من ذلك، ونعتبره وجهًا باطنيًا دنيويًا، أي داخلي فيما بينه وبين خصومه، ووجه آخر ديني وهو ظاهر وقام به في أواخر سِنه تجده في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ [غافر: ٣٤]، والشاهد على سن مرحلته في ذلك من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ أي حتى إذا توفي.

ومن الآية صلة مليحة، وذلك من معنى البيِّنات، ومعنى الكواكب على ما تحدثنا عنه في دراسة رؤياه تشير إلى البرهان القاطع الواضح الجلي كنور القمر عند اكتماله، والشمس في رابعة النهار، فافهم ذلك.

المبحث التاسع والعشرون: أذعن للحق من عبد

ومن الدروس: أن من الأسباب المؤدية للفساد: الكِبر، ومنه التقليد الأعمى، فيُحرم العبد البصيرة للطريق المستقيم، وعلاج ذلك بالضد، وهو التواضع والإذعان، فيحصل العلم على بصيرة من الله سبحانه وتعالى ونور، فيفقه فيما مضى لما هو آتٍ، وما جرى لإبليس من الطرد واللعنة إلى يوم الدين إلا بسبب كبريائه؛ فجعل خيله به يصول ويجول على كثير من الجُهال، وممن تحزّب فأفسد، وقد كان من قبل على خير عظيم، ومن كان حاله كذلك فإنه يوافق حال من احتجوا أن آباءهم وأجدادهم كانوا على ذلك؛ لأن لسان حاله: لا أتقبل إلا من معلمي! وأسلك نحو ما سلك! وإن كان على اعوجاج؛ لأن نفسه لم ترضخ للحق من غيره لا سيما إن كان أصغر منه سناً، أو كان قليل العلم، ومعه حجة باهرة، وهذا الأمر أخطأ فيه كثير ممن يدعي أنه من الطائفة الناجية في زماننا، وما ظلموا إلا أنفسهم، فكان حال السَّجينين أفقه منهم، وشتان بين بلال بن رباح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وبين أبي جهل، وما ذكرناه مستنبط من خطاب يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وذلك من قوله: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [يوسف:٤٠].

ومن دلالة الآية أيضاً لعل في زمن يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كان في بلاد مصر آلهة عدّة ذات مسميات مختلفة، وأيضًا من قوله: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾ [يوسف:٣٩]، والله أعلم.

وليعلم الخصم صاحب الحجة الواهية أن التفرق لا يُوَحِّدُ الصف، والقوة في لَم



الشمل قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فإن الفساد يصدر ممن لم يرضخ لقبول الحق، وكلما كان طالب العلم غير معرض عن النصيحة كلما رفعه الله سبحانه وتعالى، فإن الملائكة تضع أجنحتها مع رفعتها وجليل قدرها لطالب العلم الذي يحمل هذه الصفة النفيسة، وصارت من نُدُر النُّدر.

والآفة التي أصابت الكثير من طلبة العلم لا سيما الدعاة والنبتة المطلة الجديدة هو أنه أعور السمع، أي: يسمع من طرف واحد ولا يسمع للطرف الآخر، وهذه معضلة عواقبها وخيمة، فإن صاحبها سيأتي يومٌ لا يُسمع له جملة وتفصيلاً.

وما جرى من الملك ورعيته مع يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ آية بل مدرسة للأمم بالسلامة والنجاة لمن تواضع للعلم ولأهله، فإن الله سبحانه وتعالى يحفظه وإن كان من العوام، فكيف بطالب العلم!

ولقد ضرب لنا ملك مصر مثالًا نفيسًا فيما قام به حيث أذعن لعبد غريب سجين، ومن تأويل رؤياه؛ فحفظ الله سبحانه وتعالى ملكه ورعيته ومعيشتهم، بل وجاءهم الناس من بلدان شتى، وعكس ذلك مما جرى من فرعون مع موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حيث أعرض واستكبر مع رؤية الأدلة والبراهين الواضحة القاطعة فجرى له الخزي والذل والصغار والعذاب في الدنيا والبرزخ والآخرة، وتنكَّد أتباعه، وهذا مثال آخر لمن يعرض عن الحق وعلينا أن نتدبره فهو مدخل خطير خفي لإبليس فاحذر.

وصورة أخرى من الكبر عدم الاستماع للمظلوم، وهو الطرف الآخر لكونه طويلب

علم، أو ضعيف اللسان في الوصول، أو لم يُطلب من قِبل القاضي للرد على المدعي، فيتلقى المظلوم بصورة مباغتة جور وظلم من القاضي، وهذا يدل على أن القاضي إما يتحاشى من سلاطة لسان المدعي؛ وهذا هل هو معذور؟، وإما جاهل أو في نفسه شيء رديء بل وصل بالبعض أنه لا يقبل من الخصم البتة، ولو نظر لحوار فرعون مع موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأمعن في قوله: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ ﴾[طه: ٤٩]، ومن قوله: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١ ﴾[القصص: ٥١]. لربما يدرك أنه وقع في خطأ جسيم نخشى عليه من عواقبه، فإن رياح الكبر تعصف وتُفرّق ثباته شذر مذر، فتفطن لذلك.





المبحث الثلاثون: تعدد الباطل من تعدد كواكبه

ومن الدروس: دلالة أن الباطل يَفتُر عند المرضى إن لم يتعدى إلى صورة مغايرة، وذلك في كل زمان ومكان، فعن معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إنَّ وَراءَكم فِتنًا يكثُر فيها المال، ويُفتَح فيها القرآنُ حتى يأخذَه المؤمِنُ والمنافِق والرّجلُ والمرأة والعَبد والحرّ والصّغِير والكَبير، فيوشِك قَائلٌ أن يقولَ: ما للنّاسِ لا يتَّبعوني وقد قَرَأتُ القرآنَ؟! وما هم بمتَّبعِيَّ حتى أبتَدِعَ لهم غيرَه، فإيّاكم وما ابتَدَع، فإنما ابتدَعَ ضلالةٌ. [رواه أبو داود، برقم: (٤٦١١)، وقال الألباني: صحيح موقوف]، فيأتي بأمر مغاير ويصول به ويجول في كل زمان ومكان وبمسميات وأعمال مختلفة، وذلك من زخرف القول غرورا، فإن زخرفة الشيء لا يكون إلا بألوان مختلفة ليزداد حسنه، فيتمكن من قلوبهم ويصير منهاجًا عند أولادهم وأحفادهم وإلى زيادة في كل جيل، وهذا هو حال الباطل من قِبَل الشيطان تجاه أتباعه، وهذا من قوله: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [يوسف:٤٠]، ولعل حال مصر كان كذلك وهو مُشاهد في زماننا من أسماء عدَّة لتلك الصور المصنوعة من الأحجار، وكذلك كثر فيها الفِرَق والجماعات، وكذلك الشعبذة والدجل ونحو ذلك، كما حدثني أحد المعارف وهو شيخ قبلي بعد رجوعه من مصر ذهب لأجل الدواء، فقال: لم يعد أهل السنة إلاّ أهل اليمن.

وذلك مما رأى من منكرات ومفاسد عدَّة، لكن فيهم خصلة حميدة وهي حبهم وتعظيمهم لهذا الدين الحنيف.

ولما كانت رؤياه فيها كواكب عدّة كان للباطل وجوه عدّة، ودليله من خطابه للسجينين. فافهم ذلك.

المبحث الواحد والثلاثون: ومن الحديث: لا إحداث

ومن الدروس: تحريم الإحداث في الدين، وذلك من قوله: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [يوسف:٤٠]، فما تَعَبَّد به القدماء من آبائكم وما أنتم عليه من الشرك ليس له حجة ولا دليل على صوابه، فكل عبادة ليس لها دليل من الكتاب والسنة فهي مردودة على صاحبها، ولا بد من زجره وقطعه بالحجة والبرهان، وكما في "الصحيحين" من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قالت: قال رسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» فمن زاد فقد ادعى النقص من نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ وحاشا وكلا، فقوام الدين ثابت على التوحيد والاتباع، وهذا تجده من قوله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف:٤٠]، ولا قوام للعباد إلا بالدين القيم الذي لا اعوجاج فيه، ولا مخلص لهم عند الشدائد والكربات والمحن والفتن إلا بالعودة إلى الاعتدال، ولما كانت فطرة الناس سليمة لأن الباري سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ خلقهم عليها، وأُمروا بها حتى مماتهم، وذلك من قوله تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [الروم:٣٠]، كان تغيير ذلك جرم وظلم عظيم، ومن اعوج فإنما يعوج على نفسه.

ومن تلك الأمور المخالفة للفطرة إتيان الذكران، ولما كان اللواط مخالفاً للفطرة والقلب والطبيعة وحتى عند الحيوان كان عذاب قوم لوط من أشد العذاب، وكان من جنس ما قاموا به، فجعل عاليها سافلها، وذلك بحال مقلوب فصار الجزاء من جنسه.

المبحث الثاني والثلاثون: نور وسط ظلمة السجن

ومن الدروس: أن أكثر الناس مآلهم إلى الشرك والجهل والبدع فيمن مضى في عصور الأنبياء والرسل، وكذلك في زماننا، وهذا معلوم في كل فترة؛ وذلك بسبب فقدان العلم، وهذا من قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف: ٤٠]، والأكثرية هنا كَمّاً وكيفاً، فالكمية الكثرة، والكيفية بفقدان العلم وطغيان الجهل، وهذه سنة الله في خلقه في كل زمان ومكان، وذلك لحكمته البالغة، وفقدان العلم هو بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتَّخذَ النَّاسُ رؤوسًا جُهَّالًا، وكلما اقتربت الساعة كلما كان الحمل على طالب العلم في ذلك الزمان أشد عليه، وهذا مما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد اجتمعت عليه كربة السِّجن وغربة الدين في الموطن الذي هو فيه، ولم يكن له ظهير إلا الله تعالى، وغربة البلد وعن أهله وذلك في زمانه فكيف الحال في زماننا؟!

وقد كان يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ موحدًا فريدًا في سجنه، وجواره في وسط السِّجن الكثير من أهل الجهل، ولئن أسلم أهل مصر في زمانه فهي ببركة ذلك النور الذي بدأ من السِّجن، وذلك بحسن إخلاصه وحُسنه فكان من أحسن القصص.

ويُستنبط أيضـًا من الآية المتقدم ذكرها أن أكثر الناس لا علم لهم بِقَدر الرؤيا وعلم التأويل، بل يجعلونه من الشعبذة والكهانة، بل وصل هذا الحال إلى البعض ممن ينتسبون للعلم الشرعي. والله المستعان.

المبحث الثالث والثلاثون: توحيد من وحيد في رؤياه وحُسنه وسجنه

ومن الدروس النافعة: أن المتأمل في خطاب يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للسجينين يجده كله يتركز حول التوحيد، وذلك من نصحه وإرشاده، إلا الآية التي تحدث فيها عن تأويل رؤياهم، وهي آخر آية في حواره معهم، وفي هذا توجيه لطلبة العلم وللأب والأم ونحوهم أنه ينبغي تكثيف جهودهم في تعلّم التوحيد، وعدم الملل، وينبغي تنوع دروسه بأحوال مختلفة بعد استنباط حسن من غير مخالفة لقواعده وأصوله، وهذا تلتمسه من نصح يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإن أهل الباطل يعملون على هذا النحو ليلاً ونهاراً، ولا يفترون في كل زمان ومكان، لا سيما عندما يرون الساحة خالية من نور الحق، فيسارعون ويزيدون من ظُلمة مفاهيمهم الباطلة فوق الظُلمة التي عليها العباد، وينبغي أن تكون دروس التوحيد قليلة الألفاظ كثيرة كثيفة المعاني، وهذا نجده من درس التوحيد من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد ميّزه الله في رؤياه، وفي حسنه، وفي قصة سجنه، فافهم ذلك.



المبحث الرابع والثلاثون: حَبْس الحديث في الحبس

أي تكتيم الحديث، فمن الدروس النافعة: دلالة على كتمانه للسر، لا سيما بعد أن قيل له: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ ﴾ [يوسف:٢٩]، فلم يبح بما جرى له من ظلم من قبل العزيز، ومن مكر امرأته عند السُّجَنَاء طيلة فترة سجنه حتى بعد تأويله لرؤيا السَّجين الأول، فلم يبث له شكواه لكي تكون حجته قوية ليذكره عند ربه، وإنما كان ظاهرًا من دون ذكر باطن شكواه، ودليل ذلك عندما قال له: ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ﴾ [يوسف:٥٠]، إذ لو كان قد أخبره من قبل لما كرّر عليه ذلك، أو ذكر قصته عند الملك قبل الذهاب إليه أو بعد تأويله، وهذا زاده حسنًا وجمالاً، فالحياء لا يأت إلا بخير.



المبحث الخامس والثلاثون: رسالة من سجين

ومن الدروس: أن درس يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للسجينين لم يكن لهما فحسب، وإنما كانت رسالة للملك ولمن حوله، ومن ثم تصل لرعيته، ولهذه الأمة، فقد ذكرها الله في كتابه الكريم المنزل على نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ لأمته، وذلك لما فيها من دروس قيّمة وعبر وعظات نفيسة، وهذا إن دل فإنما لحكمة الله سبحانه وتعالى.

وبسبب إخلاصه، وهو في ظُلْمَة وكربة السِّجن فحصل له مراده من نفع العباد، بل وزيادة، وذلك من قِبَل أكرم الأكرمين؛ لأن المتأمل في أمر الساقي فبعد خروجه من السِّجن ومكث بضع سنين وتذكّر أمر يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين رأى الملك رؤياه فلعله سيحكي للملك عن عقيدة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك لكونها غريبة على عقيدتهم المبجلة لديهم.

وقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره أن الملك أسلم على يديه، وهذا درس نفيس لطالب العلم بالسّعي والمجاهدة والمصابرة للوصول إلى القمة إن علم الله سبحانه وتعالى فيه علو الهمّة فلا تجعلها تحوم حولك أو بين الجدران، بل أخلص في ذلك لكي تكن نافعة للعباد أجمع لكل مكان وزمان قادم، وإن أتتك رياح محملة بأغبرة فلا تكترث بها، ولئن صَدَقت نيتك فإن الله سيبلغك مرادك، ومثل هؤلاء صاروا من صفوة الصفوة، فأين هم؟

ولما كان يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مخلصاً وعالي الهمّة جعل الله سبحانه وتعالى قصة حياته مفصَّلة مرتبة مع أنها جرت قبل آلاف السنين.

ولهذا كان آخر السورة قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١]، ولم تُحك قصة نبي آخر في كتاب الله مُفصلة كقصتي يوسف وموسى عليهما السلام – سوى حياة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فهي أكثر تفصيلاً، والله أعلم.



المبحث السادس والثلاثون: سجن الغضب

ومن الدروس: عندما يستشعر السَّجين بأن بين يديه جدار ومن خلفه جدار، وكذلك عن يمينه وشماله ومن فوقه؛ فإنه يستخلص من ذلك الخضوع والصبر وكتم الغيظ، وعدم التسرع في الحكم مع اطمئنان القلب، وهذا لا يصل إليه إلا قلّة عند البلاء، وكلما كان صابرًا محتسباً زِيدَ أو طال بلاؤه وذلك لرفعته، فأهل البلاء نبلاء.

ومكنون هذه الفائدة مستنبط من حياته في السِّجن؛ فعندما طلب من الساقي ذكره عند ربه وانتظر مطلبه عسى غداً أو بعد غدٍ ثم طال بلاؤه فلم يجزع ولم يدع الله سبحانه وتعالى بأن يخرجه من السّجن كما دعاه بالولوج إليه، فإن السِّجن للصالح يمحصه لكي يصل لخلاصة الأمر النفيس، وهذا درس يُدهشُ العقول من هذا النبي العظيم، فإنك لا تجد آية تحكي عنه من قول أو فعل إلا وفيها خُلق حسن نفيس، ونظير ذلك عندما أحسن إلى إخوانه عندما صُبّ من قِبلهم غضب باطل مجوف من جميعهم ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ ﴾ [يوسف:٧٧] فلزم يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الصبر ولم يغضب مع أنهم تحت كرمه، وعندما كان عبدًا مطاعـًا نافعـًا للعزيز وزوجته جرى منهما عكس ذلك، وهذا درس آخر في التأني وعدم اتخاذ الرد العاجل عندما يأتيك من قبل لئيم أو من فاسق أكاذيب وأباطيل ينسبها إليك، أو ينبش أسرارك وعيوبك وعن أهلك لا سيما إذا كنت تُكن له المودة والطيبة من قبل، واطلع على حياتك لكونك تجلّه، ولكن صاحب المعدن الرديء يظل رديئًا وإن طُلي بالذهب الحميري الخالص.



ولهذا ينبغي على طالب العلم أن يتحلّى بذلك، لا سيما عندما تُصب الفتنة عليه وتُصب الخصومة والكلام في عرضه، فعليه أن يتمسك بدلو الصبر، وليتجرع منه المُر ولا يتعجّل في طلب سيارة البراءة، وستأتي يومًا ما من خصومه كان من كان، فإن هذا الدين لا يُنال إلا بالصبر واليقين.

ونقول لمن ظَلَم وللمظلوم: ظلموا أنفسهم فظلموك، وقد قال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف: ٢٣]، وقولها: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يوسف: ٥٢].

واعلم أن المظلوم منصور في الدنيا والآخرة، والظالم لا يفلح لا في دنياه ولا في أخراه، فإنه يدفع الفاتورة مرتين، كما قال بعض السلف، فلا تحزن.

فائدة:

نتعلم من قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ درس مليح لو تفطنت له، وهو: على طالب العلم لا سيما طالب هذا الفن أن يوطن نفسه على الصبر وكتم الغيظ، ويتطلب ذلك إلى عزيمة وإصرار بعد سؤال الله سبحانه وتعالى ذلك، وعلى العفو عند القدرة، ولما كان التعبير من العبور ولابد من الحمل والحِلم والمجاهدة برع فيه يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بصبره على مِحَن مختلفة، وعفوه وصفحه، ولذا نجد في الغالب من يسلك ويبدأ بهذا العلم يتقهقر وتجده يضيق منه وينفر منه لسبب من أسباب، ولم يدرك أنه لابد منه.

واعلم أنه عند طلبك لهذا العلم لا بد من أن تعمل الروح وحواس البدن وتصبها في مصب واحد مما يُثقل ذلك على روح العابر، ولو تأملت إلى رحلة موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع الخضر كما في سورة الكهف لأدركت هذا المعنى، وكان الخلاصة

قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾ [الكهف: ٨٢].

فأهل العلم هم أهل الصبر والصفح وإلا فلا، وإذا أردت أن تدرك قدر طالب العلم فانظر إلى صبره عند البلاء، فأهل الصبر من أولي العلم من نُذُر النُّذر، ولسان حالهم كما أشعر به الربيع في المنام: **ونصبر صبرًا فوق صبر الصابرين صبرًا**.

وقد ضرب لنا نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنفس الأمثلة في كتم الغضب ومن ذلك مما جرى في صلح الحديبية، وعند تقسيم الغنائم في يوم حنين. فافهم ذلك.

فالناس في هذه الحياة في زحام، ويحكم الله بالعدل، والحبل نازل من السماء، وحالهم في ضوضاء، والموفق من يمسك ذلك الحبل ويفوز، فيقال: فاز فلان فتغبطه الناس، ويا حسرتاه لمن ظَلم وجثى على ركبتيه، وهنيئًا لمن ظُلم وصبر فذلك الخير العظيم، ولئن رفع يديه فإن عفوه بعد ذلك به يختم، والله المستعان.



المبحث السابع والثلاثون: نما السجين ثم نمت الزرع

ومن الدروس: أن جمالك في صبرك؛ فتزكية المرء تنبع من علمه، وذلك بقدر إخلاصه فيكن له الصيت الحسن، ومحبة العباد له، وكذلك الرفعة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١]. فَعقَّب سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الرفعة بإخلاص قلب العبد، وهو الخبير والمطلع على سرائر قلوب العباد، فانتبه لهذا الأمر، وإذا فَتَّشْتَ في كتاب الله سبحانه وتعالى فلن تجد تخصيص لفظ الرفعة لأهلها إلا في هذا الموضع؛ وذلك لرفعة العلم، ولمَّا كان العلم وأهله في العلو كان الله سبحانه وتعالى فوقهم، وهو العالم وعلمهم من عنده فَعلَّمهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦]، وقال تعالى عن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف: ٦٨].

وعندما طلب يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الخروج عن طريق الساقي لم يكن له الخلاص والعلو والرفعة إلا بسبب العلم، وذلك من تأويل رؤيا الملك، فليست العبرة في ثناء أو تزكية الفقيه تجاهك، وإنما بإخلاصك، والله أعلم.



المبحث الثامن والثلاثون: رقة من رقيق

ومن الدروس: إذا ظُلم العبد فلا بأس أن يدفع ذلك بالأسباب، كأن يستعين بمن له جاه أو قدرة على تخليصه من غير ضرر أو خروج يؤدي إلى مفسدة، وهذا جرى في عصر النبوة لبعض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، ولا يعني ذلك الشكوى إلى غير الله، بل هو من فعل الأسباب، وتركها قدح في الشريعة، وهذا مما فعله نبي الله يوسف عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ مع الساقي لكي يَذْكره عند ربه وهو الملك، وإنك لتجد من خطابه مع الساقي رقة وأدبًا وتواضعًا ولُطفًا، وهذه من جملة أخلاقه الحسنة.

وقفة:

ما نُقل عن بعض أهل التفسير أن الشيطان أنسى الساقي ذكره عند ربه كان تأنيبًا لكونه لم يلجأ لخالقه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ! فهذا القول فيه نظر؛ فكيف بنبي كريم مكروب ينسى خالقه واللجوء إليه في الشدة والمحنة الطويلة! بل إنه يزيد من التضرع لله سبحانه وتعالى، وإن كان كذلك لجرى له العتاب من الباري سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ كما جرى لنوح عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في شأن ابنه، ولعل من ذهب إلى هذا القول التبس عليه من الإسرائيليات حتى تَكيَّف وصدر حديثًا من ضعيف جداً.

ولعل الصواب -والله أعلم-: أن الشيطان أنسى الساقي ذكر قضية يوسف عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ عند الملك لكيلا يخرج من السِّجن، ودليل ذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:٤٥]، فقد ذكر القرطبي: إن الهاء تعود على الناجي، فهو الناسي، أي أنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف لربه، أي: لسيده، وفيه حذف، أي أنساه الشيطان ذكره لربه، وقد رجح بعض العلماء هذا القول،



فهنا معطوف معنى الآية على التي قبل رؤيا الملك، وهو التذكير بعد النسيان، وذلك من لفظ ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ [يوسف:٤٥]، وكما قال عبدالله بن يسار، عن أبيه: إذا حدثت عن الله فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده.

وما ذكرناه نحو ما بيَّنه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره حيث قال: فنسي ذلك الموصى أن يُذَكِّر مولاه الملك بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان؛ لئلا يطلع نبي الله من السِّجن، هذا هو الصواب؛ أن الضمير في قوله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٤٢] عائد على الناجي، كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد.

ويقال: إن الضمير عائد على يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. رواه ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومجاهد أيضًا وعكرمة وغيرهم.

وأسند ابن جرير ههنا حديثا فقال: حدثنا ابن وكيع، حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعًا، قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لو لم يقل** -يعني يوسف- **الكلمة التي قال، ما لبث في السِّجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله**»، وهذا الحديث ضعيف جدًا، لأن سفيان بن وكيع ضعيف، وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي أضعف منه أيضًا.

وقد رُوي عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما، وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن، والله أعلم. اهـ

وأما من استدل بتشبيه نسيان موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للحوت فلا يتوافق، وذلك من عدّة أوجه:

منها: أن نسيانهما لشيء من متاع الدنيا وهو زادًا لهما، وليس متصلا بالله كاللجوء والتضرع إليه، وإنما يرجع إلى الحوت.



ومنها: أن موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكّل هذا الأمر لغلامه، ولا بأس إن جرى له النسيان فالتأنيب يقع في حق الغلام كما اعترف بذلك من قوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣﴾ [الكهف: ٦٣]، وغير ذلك من الاختلافات، والله أعلم.





المبحث التاسع والثلاثون: شيطان يحوم وراء القضبان

ومن الدروس: اعلم يقينـًا أن الشيطان لن يتخلى عنك في كل الأحوال؛ حتى عند خروجك لهذه الدنيا وأنت في حال ضعف، وكذلك عند أنفاسك الأخيرة، وبما أن الأرواح فيها أسرار يعلمها الله سبحانه وتعالى، فإن الشياطين تسعى للنيل ممن يحمل روحـًا نقية، ولعل ذلك منذ صغره، ودليل ذلك مما قام به إخوة يوسف تجاهه من المكر ونحوه وهو في سن الصغر، وهذا من حقد الشيطان ضده، ودليله من قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ﴾ [يوسف:١٠٠]، فهو على طالب العلم حريص كل الحرص في أذيته لكيلا يبلغ مراده؛ لأنه بالعلم تُفضَحُ مكايده ومصايده التي بها يصول على الناس بالشرك والمعاصي، فإن لم يقدر عليه من قِبل ذلك أتاه من قِبل الدنيا أو من قِبل نفسه، أو أتاه من قِبل صحته، وذلك بالأسقام، فإن لم يقدر على ذلك أتاه ممن حوله من الأقارب من الزوجة والولد والصاحب ونحوهم، وهذا مما جرى منه تجاه يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فإنه عندما يئس منه في قصر العزيز ظل يحوم في السِّجن، فلمَّا سمع داعي الحق وهو التوحيد من درسه للسجينين سعى جاهدًا بنسيان ذكره من قِبل الساقي لكيلا يخرج داعي الهدى، ويفسد ما بناه من معتقد فاسد لدى الملك ورعيته، فإن من النسيان له مدخل من مداخل الشيطان، قال تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [يوسف:٤٢]، وله حرب كذلك في نسيان الرؤيا للرائي لا سيما إن كان صاحب همة عالية، وذلك بعد أمر الله وليس بسبب عُقَده، ولتعلم قدر حربه على طالب العلم من قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلم يقدر عليه فأتاه من قِبل غلامه وهم في حال سفر ونصب وتعب، وذلك من قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾

[الكهف:٦٣]، فتفطن لذلك، وهو لعابر رؤىٰ المرضى بالمرصاد، ويهيج عليه الخصوم من القريب والبعيد؛ لأنه يترجم ما يأتي من الله سبحانه وتعالى بما يكشف به خباياه ويقلعها من جذورها، وهذا مشاهد لمن سلك هذا العلم. فتنبَّه لذلك.

ونظير ما سبق كما جرى في ليلة البيعة من قِبل الشيطان من صراخ لكي يطفئ نور الله سبحانه وتعالى، وأنَّىٰ له ذلك، وهذا إنما من خبثه وكيده ومآله إلى باطل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في "البداية والنهاية": وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِهِ عَبْدِ اللهِ ويروى عن صالح أيضا أنه قال: حين احتضر أبى جَعَلَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: لَا بَعْدُ، لَا بعد، فقلت: يا أبه! ما هذه اللفظة التي تلهج بِهَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّ إِبْلِيسَ وَاقِفٌ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ وَهُوَ عَاضٌّ عَلَى أُصْبُعِهِ وَهُوَ يَقُولُ: فُتَّنِي يَا أَحْمَدُ؟ فَأَقُولُ لَا بَعْدُ لَا بَعْدُ- يَعْنِي لا يفوته حتى تخرج نفسه مِنْ جَسَدِهِ عَلَى التَّوْحِيدِ، كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ قَالَ إِبْلِيسُ: يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ مَا أَزَالُ أُغْوِيهِمْ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. فقال الله: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَلَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي. اهـ

وقفة:

وعند تدويني لهذا الكتاب جرى عليّ شدة وكربة وغربة ووحشة ممن حولي حتى أني قد كنت بدأت أشك بأمري لولا أن ثبتني الله سبحانه وتعالى؛ وذلك مما ابتليت به من حرب من قِبل الشياطين ومن إخواننا من الإنس؛ فقاموا بالوشاية والقدح في قلمي وعرضي ودوائي حتى ضاقت علي الأرض بما رحبت، واشتدت علي المعيشة حتى أنه يمضي السبت تلو السبت ولا أملك في جيبي قيمة خبز حتى عرضت ما ورثته من والدي من عقار لبيعه بثمن بخس وهو ثمين ولم يقبل به أحد، وهذا كله بأمر الله سبحانه

وتعالى لا سيما عندما ذيع صيت الدواء فجنّ جنون خصومي سواء من الإنس أو الجن حتى زرعوا بذور الوشاية وأسقوها على عجلة عند مشايخنا وعند من صنعنا له المعروف وعند إخواني، فتخلوا عني حتى نبت داء الشك والريبة فيهم حتى هذه الساعة، فلم أر من صديق وقريب إلا صفعة من عُصبة وصدمة ببغتة، وكانت الرُّؤىٰ تهون علي حتى أيقنت أن الخلاص آت من خالقي وذلك إما من إنسان بعيد، وإما الانتقال إلى جوار من دل عليه الرب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.



المبحث الأربعون: ظن يقين من سجين

ومن الدروس: نتعلم أن تعبير الرؤيا ظن، والظن يخطئ ويصيب، فلا نجزم بذلك، ومن باب أولى فلا نقسم على وقوعه، ودليل ذلك من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢]، وهنا ظن يقين خاص بالأنبياء؛ لأن رُؤاهم حق، وتأويلهم حق، فهو من علم الله سبحانه وتعالى، فهو على يقين، كما في رؤيا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما رأى أنه يذبح ولده إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقام بما رأى في منامه.

وأما في التأويل فعندما رأى نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بقرًا تُنحر عبَّرها بقتلى أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يوم أحد فكان كذلك.

وليحذر العابر عندما يعبر الرُّؤىٰ القضائية والجنائية من الجزم في اتهام الجاني ونحو ذلك، والذي ينبغي عليه هو الوصول إلى أدوات الجناية ومكان الجناية وإصلاح ذلك الأمر، ودليله عندما سُحر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وأُخبر في المنام بالمعضلة ومكانها واسم الفاعل فإنه أسرع في حل المعضلة ولم يقم بزجر الفاعل أو القبض عليه أو أخبره بما فعل، وليكن الرائي حينها على حذر ممن حُذّر منه في المنام بعد تفسيرها عند عالم أو لبيب.

وينبغي على العباد أن يحسنوا الظن بخالقهم، وكذلك ينبغي على العابر أن يحسن الظن عند تأويله بقدر ما يليق به، والله أعلم.

المبحث الواحد والأربعون: سجين حكيم

ومن الدروس: أن العابر إذا أتاه آتيان ولكل له رؤيا وتعبير إحداها نكد فليُبهم التخصيص لا سيما إن كان لحكمة، وليسبق قبل ذلك النصح والإرشاد على العموم بما يخفف ذلك النكد على صاحبه، وهذا من قوله: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ ﴾ [يوسف: ٤١]، فإنه أبهم ذلك لئلا يحزن الآخر وهذا للمصلحة، وأخبر الساقي بطلبه خفية عن الآخر كما ذكر ذلك أهل التفسير، وهذا الفعل لا يسلكه القاضي في قضايا الناس من القصاص ونحوه من الأحكام؛ لأنه لا يحق له إصدار حكمين في آن واحد من غير تعيين.

وقد تأتي الرؤيا للرجلين والثلاثة، وأحداثها لا تختلف، ويكن تأويلها واحد لأولئك وإن كان بينهم مدة زمنية مختلفة.



المبحث الثاني والأربعون: ملك مُكبّل عادل

ومن الدروس: العدل في الحكم في كل القضايا، ومن ذلك عدم التفضيل وليس مختصًا بتأويل الرؤيا فحسب، ومن صور العدل هنا عدم التفضيل، ودليله من تأويل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للسجينين، فقد فسّر الرؤيتين حسب ترتيبهما، ولم يقدّم الآخر على الأول، فإن الله سبحانه وتعالى بدأ بذكر رؤيا الساقي فكان تأويل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ البدء بتأويل رؤيا الساقي، وإن كان التأويل عليهما مُبهمًا، ونظير ذلك في قصة موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع الخضر في المسائل الثلاث التي قام بها الخضر وعندما كان الجواب منه بدأ بالمسألة الأولى وهو أمر السفينة، ثم أمر الغلام، ثم أمر جدار الغلامين، وهذه قاعدة ينبغي علينا أن نُمعن فيها ونعمل بها في سائر الأمور، ولو تأملت أكثر لوجدت أن عدم قبول الرشوة لها دلالة من هذا الفصل.

وهذا الترتيب تجده أيضـًا من أحداث حياته من رؤياه؛ فبدأت بكيد إخوانه وهم الكواكب، ومن ثم قليل من الراحة ثم تعب ونصب، وهذا من حال الشمس وكانت في رؤياه في المرتبة الثانية بعد الكواكب، ومن ثم جرى مآله إلى ما دل عليه القمر، فافهمه.





المبحث الثالث والأربعون: من سجنه حِكَم

ومن الدروس: التأويل بالحِكَم أو الأمثال: وهذا أصل من أصول التأويل، فالمثل السائر هو: القَوْلُ السَّائِرُ هُوَ كَلاَمٌ فِي جُمْلَةٍ أَوْ جُمْلَتَيْنِ يُمَثِّلُ عِبْرَةً مُسْتَخْلَصَةً مِنْ وَاقِعَةٍ مُعَيَّنَةٍ يُرَدَّدُ فِي أُخْرَى مُشَابِهَةٍ لَهَا: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر: ٢١].

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى بعض الأمثلة، فقال: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وكذلك نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ كما في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ قال: «**لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**» أي: يجب على المؤمن أن لا ينخدع من اللئيم الغادر مرتين، ووجوب أخذ الحذر، وأن يكون المؤمن كيسًا فطنًا، وكما أسلفنا سابقًا فإن من الشعر لحكمة فإن كان الشعر خارجًا عن الكتاب والسنة فلا يعتبر به ولا بصاحبه، وقس ذلك أيضًا في الأمثال التي بين الناس في كل زمان ومكان.

وعنوان الفائدة نموذجًا لمثَلين صارا مشهورين عند أهل مصر منذ عقود، وكتبناها على لهجتهم وهي: **"يا ما في السِّجن مظاليم"** وكذلك قولهم: **"يا فهمها وهي طايرة"**.

فإنك تجدهما لهما مرجعية من حياة يوسف عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ مما جرى له من ظُلم حتى سُجن بمصر، وكذلك من تأويل رؤيا السَّجينين، فقد فهم تأويلها من عند الله، وفيها طائر، وكما في الحديث «**الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ**». [رواه أبو داود، برقم: (٥٠٢٠)،

وقال الألباني: صحيح].

فالرؤيا حكمة جليلة، وهي من الأمثال المضروبة في المنام، وصار منها مَثَلاً للناس، ومما سبق ذكره فمن الأمثال المعروفة في أوساط الناس اليوم، أو المشهورة عمومًا في سائر البلدان منها: **عنزة عنزة وإن طارت**. وزدت: **وباضت**. وهذا في حق المُكابر، وأما في أمر المساندة وذلك من قولهم: **رُبَّ أخ لم تلده أمك**. ومما يعضد هذا مما صار موروثًا بين الأنبياء والرسل كما جاء عند البخاري، برقم: (٣٤٨٤)، من حديث أبي مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**».

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ: معنى هذا الحديث أن هذا الكلام إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت كان من الآثار السابقة الموروثة عن الأنبياء السابقين.

ومن الحكم والأبيات التي أتتنا في المنامات:

(**مصايد العوام تفتح المجال**)، فمثل هذه لها معانٍ عدة:

منها: أن العوام بسبب جهلهم إذا اصطادوا الشيء يظنون أنهم على الصواب لا سيما إن زعموا أنها زلة على الصالح فإنه يُفتح لهم مجالات خاطئة وهذه بلية.

ومنها: أن العلم بحر، وطلبة العلم منهم من يسبح، ومنهم من يعوم، ومنهم إذا غاص اصطاد دُرًّا نفيسًا؛ فيُفتح له المجال في ذلك العلم ويحصل له سعة وبسط في ذلك وغير ذلك من المعاني .والله أعلم. ومن الحِكَم: (**كرامات الإنسان.. بالعلم وتُصان**)، فاعمل بها. ومن الشعر الذي كتبه الربيع في إحدى الرؤى:

"أن من نقش الظن جلب.. حسنه فانتعش ذوي الطلب.. فاز بالحسن وتحلى به.. من سواك يا ذات الأدب"، وللرائي نصيب كبير منه فما أجمله من شعر.

المبحث الرابع والأربعون: أحكام من حاكم مسجون

ومن الدروس: نقل ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنهما لم يريا شيئًا، وفساد هذا القول له قرائن من الرؤيتين:

منها: أنها توافق حالهما من قبل أن يُسجنا.

ومنها: لو كانتا كذبًا فإن ذكرهما في القرآن الكريم بهذا الصياغ ينافي هذا القول، ولكن لعل بعد أن تكلم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالتأويل وكان أمر القتل مبهمًا ولم يُخصص لأحد منهما فربما ادعى أنهما لم يريا شيئًا، وذلك خوفًا من القتل، فكان الجواب القاطع وصار يُضرب به في كل مكان قوله: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف].

فما حكم من يكذب في الرؤيا؟

الجواب: لما كان الكذب آفة عظيمة، ولا يليق بالعبد، وتجد على وجه صاحبه غبرة، وتحل الوقاحة عوضًا عن الحياء، كان مآله إلى الفجور والفساد؛ فما بالك بمن يكذب في الرؤيا فالعقوبة أشد، فيقول: حلمت كذا وكذا. وهو لم يرَ شيئًا، وإنما أقدم على ذلك لشيء رديء في نفسه لآخرين، أو صار لسان حاله جعله من أذكاره اليومية الشيطانية، ولا يعلم أنه صار من زمرة الفجرة، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

وباعتبار لمن ذهب بأن صاحبي السِّجن كذبا فقد كان الرد يوافق الحكمة وهي: الجزاء من جنس العمل، ومواضع الاستدلال كثيرة في السنة، كما جاء عند البخاري، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مرفوعًا: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ**».

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اشتد الوعيد فيمن يكذب في المنام، لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه مالم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين، لحديث: «**الرؤيا جزء من النبوة**»، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قِبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قلت: ولما كان الكذب مخالفـاً للشرع وتنفر منه الطباع كان الجزاء من جنس عمله، فكُلف بأمر مناقض في اليقظة ولن يفعل، وكونه أقدم على أمر من غير تكلّف فكان كذلك، ولما كانت العُقدة من عمل السحرة الفجرة فيما يتمتمون به من الكذب والدجل كان له نصيب من مسلكهم من حيث الصورة، وهذا إنما دل على عظم ذلك الأمر، والله أعلم.

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكذب على النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في الرؤيا كالكذب عليه في الرواية، وربما كان أغلظ، لاجتماع الكذب في رؤيا المنام مع الكذب عليه في اليقظة، ولمَّا عجز الكذَبَة في هذه العصور وقبلها عن افتراء الكذب في الرواية لجهلهم بمعرفة الأسانيد والمتون عدلوا إلى وضع مناماتٍ مكذوبة فيها أوامرُ ونواهٍ بألفاظ عاميَّة، وكلمات ركيكةٍ، وتراكيب ضعيفة، فعلى المكلَّف الضرب عن ذلك صفحـاً، واعتقاد أن المصطفى صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يمت حتى ترك الناس على شريعة بيضاء ليلها كنهارها لا تحتاج إلى تتمة ولا تفتقر إلي زيادة وحسبك في الرد عليهم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، والمقصود بيان خطر هذا الذنب وعاقبة التساهل أو التهاون فيه. اهـ

قلت: وقس على ذلك فيمن يكذب في التعبير بقصد أو كان متساهلاً إن كان يدرك خطورة ذلك فهو يدخل في هذا الوعيد.

وظهر في عصرنا من يكذب في الرؤيا على أحوال مختلفة ولا يدرك ذلك أنه آثم،



فمنها: كمن يقص الرؤيا ويذكرها بزيادة لفظا أو أكثر جوار أحداث الرؤيا بقصد منه، أو يكتم لفظا أو أكثر وذلك لشيء في نفسه، وما علم أنه آثم على تلك الزيادة أو النقص.

ومنها: عندما يقص الرؤيا للعابر فيقول: أخي أو فلان رأى كيت وكيت، وإنما هو الرائي نفسه، ولكن ينسبها لغيره، وذلك لشيء في نفسه، ومثل هذا يدخل في هذا الوعيد، والله أعلم.

فإن سأل سائل: ذكرت في الجزء الأول الفرق بين لفظ الرؤيا والحلم فما قولكم في حديث ابن عباس المتقدم ذكره؟

قلت: هنا أتى من باب الذم، والله أعلم.



المبحث الخامس والأربعون: قاضٍ سجين

ومن الدروس: أن تفسير الرؤيا فتوىٰ، ولا يجوز الخوض فيها بلا علم، ولا يفتي في ذلك إلا متمكنًا من ذلك؛ لأنه كالقاضي والعالم، فلا بد أن يتوفر فيه العلم والتقوى والصفات المتقدم ذكرها، ومن يقدم على ذلك وهو جاهل فهو آثم؛ لأن حكم ذلك يندرج في حكم من يكذب في الرؤيا بل ربما أشد، وقد سئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: أَبِالنُّبُوَّةِ يلعب! ثم قال: الرؤيا جزء من النبوة فلا يلعب بالنبوة. اهـ

ولهذا قال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد تأويله: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾ [يوسف]. دلالة على أن المسألة هي فتوى للفصل في قضايا الناس، ودلالة أيضًا أن التأويل بمعنى التفسير إلى المآل وذلك بيقين، وهذا خاص بالأنبياء عليهم السلام، ولذلك جزم يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على تأويله سواء كانت رؤيا أو لم يرَ شيئًا.

ودلالة على أن من تحلّم تحمّل تعبيرها، فالجزاء من جنس العمل.

وفي "تفسير ابن كثير" روى محمد بن فضيل عن عمارة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ به، وكذا فسره مجاهد، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيرهم. وحاصله أن من تحلم بباطل وفسره، فإنه يلزم بتأويله، والله أعلم. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩١)].

ومن فتواه في رؤيا السَّجين الآخر دلالة على أن التعبير قد يوافق خيرًا أو سوءًا، فإن قلنا نفسَّرها بالفأل الحسن فهنا أصدرت حكمًا مخالفًا كونك كالقاضي وهذا خطأ.



فإن سأل سائل: لماذا عبّر يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالقتل للسجين الآخر؟

قلت: سيأتي بيان ذلك إن شاء الله في رؤيا الملك.

ويستحسن إن أتتك رؤيا ودلالتها إلى سوء، فالأفضل على الرائي لا يقصها، وذلك كما في ورد في الحديث، وأيضـًا على العابر أن يسأل الرائي هل جرى له كيت وكيت قبل رؤياه؟ فإنه أحيانـًا تأتي الرؤيا بعد الحدث بأيام، وإن كان لابد فليعبرها بالفأل الحسن بقدر ما يتلمس فيها من القرائن، وإن جهل فالصمت خير من أن يفتي فتوى مخالفة، فإن قلتم وأين نحن من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا الذي رواه الدارمي في كتاب الرؤيا؟

قلت: الحديث فيه عنعنة ابن إسحاق؛ وهو معروف بالتدليس، وتجد ركاكة اللفظ، وأما إن كان الحديث إسناده حسن، فربما تلك المرأة في الفترة التي كان يعبر لها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ لم يأمر الله تعالى في ذلك الحين بقضاء أجله، والله أعلم.

وغير ذلك من الأسباب وسيأتي البيان أكثر في رؤيا الملك.

فائدة:

كثيرًا من المعبرين القدامى والمعاصرين قالوا: بأن الرؤيا الخيرية يتأخر وقوعها! ولكننا عندما نرى رؤيا السَّجينين وعلى قول بعض أهل التفسير أن التأويل جرى بعد ثلاث، **فإن قلت**: بما أنه نبي الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ذلك الحين لكن هل هناك دلالة نتعلمها من تحديده للزمن؟

قلت: تحدثنا في الجزء الأول عن دلالة الشمس والقمر بالنبات والثمار، وتحدثنا عن الشمس والقمر وصلتهما بمعرفة العدد والحساب فلعل تحديده الزمني كان من اسم العنب، والخمر، والخبز، والطير، فكلها من ثلاثة أحرف وكل حرف بمقدار يوم، أو لعله من قول الرائي كما في بعض التفاسير أنه كان بيده ثلاثة عناقيد عنب، والآخر

خبز، وقد تحدثنا فيما مضى عن دلالة العدد الثلاثة، وعلى هذا فقس في الاستدلال الزمني للشيء الذي له مرجعية بذلك الشيء المتصل بالزمن كالشمس والقمر.

ومن الدلالات لوقوع تفسيره من تدقيقه الزمني وذلك من قرائن الرؤيا حسب كلام أهل التفسير ممن ذهب أنه غرسها ثم ذكر المآل، وهو المصير، فصارت عنبًا، ومثل هذه الرُّؤىٰ أسرع في الوقوع، وأيضـًا لسرعة المآل كما في قاعدة المصير، وأيضـًا الشيء إذا صار مأكولاً في المنام على وجه المباشرة كان أسرع في الوقوع، وذلك من قوله: ﴿تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾ [يوسف:٣٦]، وفيما سبق ذكره أن وقوع مثل هذه الرُّؤىٰ يجري في زمن مجيئه، وقس ذلك حتى في اللباس فإنه يعتبر بالزمن الموافق لكل ملبوس، ولعل تفسير يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان في زمن نضوج العنب والحنطة، وهذا يدل على خبرته بالطبيعة للشيء وفصوله وبه أحكم في تخزين الحنطة للملك، وقد ذكر بعض أهل العلم أن رجلاً قص رؤياه للشهاب العابر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال له الرائي: رأيت أني أترجة تؤكل، فعبّرها له بالموت بعد خمسة أيام فجرى ذلك، ودليل ذلك أنه اعتبر كل حرف يوم فصارت خمسة أيام، وأما دلالة الموت فهو مأكله فإن ما خفي لا يرجى عودته، والمقصود: تجد ما ذكرناه من الأدلة لها قوتها على خلاف ما ذهبوا إليه، ولكن نقول ليس على الإطلاق وإنما حسب توافق أحداث الرؤيا وحال الرائي وزمنها، والله أعلم.





المبحث السادس والأربعون: ألآنَ له الحديد

ومن الدروس: أن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، فقد جاء عند البخاري، برقم: (٣٠٦٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**»، ومن قصة يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ تجد دلالة لهذه الفائدة وذلك من وجهين:

الأول: عبر الساقي وكان على دين الملك.

والآخر: تأييد الملك ليوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وتمكينه فجرى من ذلك إسلام الملك والخير الكثير على البلاد والعباد.

وقد ذكر أهل العلم على معنى الحديث المذكور آنفـًا؛ على أن الحق قد يؤيَّد برجل فاجر لأسباب:

إما لريائه، أو لينصر قومه، أو لينصر وطنه، أو لغير هذا، وإذ لم يقصد الدين، وقد يقصد الدين، ويؤيد الدين، لكن لغرض آخر غير الإخلاص لله وطلب الثواب من الله عز وجل، بل لأسباب أخرى، فكم من مقاتل، وكم من مجاهد، وكم من يرائي نفع الله به في الإسلام، وهو ليس من أهل الخير، وهذا الواقع شاهد بذلك.

وما أحوج الأمة الإسلامية لمثل هذا الرجل وذلك بسبب ما حل بأهل الإسلام من وهن، ومن تفلت للشرع، وتقليد أهل الكفر.

المبحث السابع والأربعون: بَذْر حَبَّة السنبلة في الرمال فصارت للأجيال

ومن الدروس: لا تستصغر بذر الخير وإن غرستها في مكان لا تأمل فيه؛ فإنه بالإخلاص يُجنى ما لا يخطر ببالك في الدنيا والآخرة، فلا تحتقرن من المعروف شيئا.

ودليله أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ غرس بذرة التوحيد والأخلاق الحميدة للغلامين فجنى من وراء ذلك ما هو مُدَوَّنٌ في كتاب الله فصارت السنبلة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة؛ ويضاعف الله لمن يشاء، وبسبب إخلاصه عبَّر رؤيا السنابل، فعلى طالب العلم أن يدرك ذلك، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى عنه ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف]. وقد جاء في "الصحيحين" عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَال رَجلٌ: لأَتَصَدَّقَنَّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّقَ على سارق! فقال: اللهم لك الحمد لأَتَصَدَّقَنَّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية؛ فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّقَ الليلة على زانية! ... الخ**» الحديث، فما يدريك أن يجري النفع والخير مما لا تدركه، فالأصل الإخلاص لا سيما فيما هو نافع للعباد، والمتأمل في حياة شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما بدأ بدعوة التوحيد في وكر إخوان القردة والخنازير؛ بل هم أخبث، ولا تسكن به حتى القردة؛ فكان لا يحضر له إلا الواحد أو الثلاثة لكنه جنى بسبب إخلاصه الشيء النفيس الذي يُغبط عليه، فصارت دعوة مباركة متميزة على باقي البلدان، وصار طلبة العلم يتوافدون إليها من كل حدب وصوب، وهذا كله بفضل الله سبحانه وتعالى، وهو الشيء الذي وقر في نفسه عند بداية الخُطى فلم تُخطئ. فافهم واعمل لأجل ذلك.



المبحث الثامن والأربعون: تأويل السجن من سجنه

نتعلم من حياة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحكام لتفسير السِّجن في المنام فدال: على لزوم الدين، أو الهم والنكد، وعلى الدنيا، والزوجة النكد، والسبب المتعب، والصمت، وعلى المكيدة من الأعداء، والقرب من الأكابر، وعلى القبر والدَّين، والزواج، وعلى تعطل الأسفار بسبب المرض أو قصور الهمة، والفقر وعدم الراحة، والعمر الطويل واجتماع الأحبة، وعلى الدعوة، وموت المريض، وراحة المسافر وغير ذلك فاحكم حسب حال الرائي وقرائن الرؤيا.

كما قال لي إنسان من مصر: رأيتك يا أبا الربيع وكأنك في سجن مهمومًا حزينًا وتقرأ قوله تعالى﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[يوسف:٣٩].

قلت: يجري من صاحبَين لي خصومة وكلام رديء في عرضي، وأقاويل باطلة مزخرفة ليس لهم بها سلطان ولا حجة، ونُتهم بالسرقة، ولعل أحدهما يتراجع عما صدر منه، والآخر سيظل في عناده وبغيه، وأخشى عليه من الجنون، أو يُزجر ويُردع من فقيه علّامة فاضل، ولمن دل عليه الشمس له صلة فيما يصدر منهما من أباطيل، نسأل الله السلامة والعافية.

كما قال لي شيخنا أبي بكر الحمادي حفظه الله قبل أن بدأت فتنة ابن حزام: رأيت أني جوار أناس وكان هناك أسد وسط السِّجن وقد فُتح بابه، وكان الناس خائفون منه، وقمت بزجره وأدخلته وأغلقت عليه باب السِّجن.

قلت: يحصل على يديك ردع لصاحب فتنة وهوى، ويأمن طلبة العلم من شره، ولعل صاحب الفتنة هو محمد ابن حزام، فجرى ذلك كله. فافهم ذلك.

دواء الربيع للمريض الرضيع (غصن الشجرة)

جاء في الحديث: قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالسَّنَا وَالسَّنُّوت**» الحديث، وهو دواء ربيعي الذي تحدثنا عنه في الجزء الأول، وتحدثنا أن الخطاب هنا للصحيح وللمريض، وما كثرت هذه الأسقام في الناس إلا عندما تركوا الطب النبوي، ومن هؤلاء المرأة فعليها به قبل الزواج ومن بعد الزواج، فعندما تستقر المادة السمية في بدنها ويحصل بعد ذلك لها الحمل فإن المادة السمية تتفرع منها، وذلك من غذائها ويعود على الجنين سواء في فترة الحمل أو بعد الولادة، وذلك عبر حليب الأم، فيولّد عن ذلك أمراض مختلفة لم يعهدها السلف، فمنها مرض ثُقب القلب أو التوحد أو الضمور وأمراض الكبد وكذلك أمراض القلب والأمعاء وأمراض التشوه في أحد أعضاء الجنين وغير ذلك من الأسقام، وعندما رأيت الطب المعاصر يعتني بالرضيع في حال مرضه المستعصي أنكرت فطرتي ذلك، وقلت: لا أظن أن الدواء يكن لبدن الرضيع، وإنما يكن عبر الأم، وما أُلهمته يحتاج إلى دليل، فصارت هذه القاعدة برأسي تحوم ولم يتوقف فكري فيها فاطمئن قلبي بعد أن أتتني رؤىٰ تؤيد هذه القاعدة، فجعلتُ الأم كالشجرة والرضيع كالغصن، بل الأم كحال كلي والرضيع منها حال جزئي، ومن الخطأ إزالة المرض من الجزئي ونهمل الكلي، فإنه مهما سعيت من مداواته فإنما هو عبارة عن مُلَطِّفٌ ومُسَكِّنٌ لبعض الوقت، بل بما أن الرضيع يرضع من أمه فإن المادة الرديئة في بدنه تتغذى وتنمو شيئًا فشيئًا، وهذا يجب أن نتفطن له، ولهذا يجب أن نستأصل الداء من الشجرة لكي ينتهي من الغصن، وعندما وصلت لهذه القاعدة بدأت بها مع أحد الصغار من الأقارب، فقد كان سنه بضعة أشهر، وكان يشكو من التواء في



الكلى وانسداد في أسفل الأمعاء، وهذا الداء صاحبه منذ ولادته، وأمر الطبيب بتدخل جراحي سريع، ولم نفعل ذلك، فنصحت أمه بتناول السنا والسنوت، وعند تناولها في أول مرة فإنه حصل أمر عجيب، فقد جرى التأثير على وجه المباشرة على الرضيع حيث وتفاجأت بخروج مادة رديئة من غائط الرضيع، وهذا لا شك أنها المادة المسببة في تعبه، وهي مجلوبة من أمه أثناء الحمل.

ثم قمت بالتجربة لأخ في بلد الجزائر، فأخبرني أنه لديه صغير يشكو من مرض صعب علاجه، فأرشدته إلى ما سبق ذكره لأم الصغير، فجرى نحو ما جرى للصغير الأول.

وآخر تشكو ابنته التي لم تتجاوز السنتين من مرض مستعص في الكبد فأرشدته كذلك لتتناوله زوجته فخرج منها كذلك مادة رديئة، وهناك حالات أخرى جرى لهم كما ذكرنا.

واعلم أنه كلما كان الرضيع المريض قريب عهد ولادته كلما كان الدواء أنفع له وذلك عبر والدته، ولتتناوله الأم بدايةً شيئًا بسيطًا حتى لا يكن ثقيلاً على الرضيع، وقس ذلك في باقي أصول الاستفراغ وهذا أولى، ويتوجب على الأم إن كان لديها رضيع وستقوم بهذا الدواء ألا تحمل خلال السنتين من سن الرضيع وذلك لأمرين:

الأول: إن جرى حمل فإنه يمنع تناول هذا الدواء أثناء حملها فيؤدي ذلك إلى تعثر لمداواة ذلك الرضيع. **والآخر:** لعل الجنين الآخر يحصل له داء كأخيه الأول.

تنبيه: كلما تناولت المرأة هذا المركب قبل الزواج وبعد الزواج في كل عام مرة أو مرتين كلما سلمت من أدواء تصاحب صغارها وتَسلم من بَطِّ أعلى الرحم عند الولادة.



الباب الثاني:

الثمرة والطّير



تمهيد

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نوح: ١٧] لو تدبرت هذه الآية لأدركت أنها تحمل معانٍ وفوائد ملاح وأسرار في الغذاء والدواء وغير ذلك من المفاهيم، وإذا أخذنا منها ما هو دلالة للطب فهي أصل كبير في الطب عَلِمَها من عَلِمَها وجَهِلَهَا من جَهِلَهَا، ويتطلب تدوين مفاهيمها إلى أكثر من مجلد وسنتحدث بما فتح الله علينا في مواضع عدة إن شاء الله تعالى.





المبحث الأول: ومن الحِكم حِكماً مقتطفة

فإن المتأمل في رؤيا السَّجينين ورؤيا الملك يجد دلائل متصلة في كل الإشارات لأمور عدّة منها:

دلالة لعلم الطبائع وهو طبيعة الشيء ومزاجه سواء للعنب، أو الخبز، أو الطير، وكذلك البقرة السمينة، والهزيلة، وكذلك الحنطة ومنها السنابل الخضر واليابسة، وكلها سفلية تحت إشارة الكواكب ومنها الشمس والقمر كما تقدم ذكر ذلك في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ودالة على ما أشرنا إليه مسبقًا أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان خبيرًا في هذا العلم، وأن هذا العلم له مواضع عدة في الكتاب والسنة، فينبغي علينا تعلّم هذا العلم ولو الشيء اليسير لفهم أصوله، وهو يسير لمن سعى إليه، ويحتاج منك إلى عزيمة وبحث وتدبر على بصيرة.

ومن الحكم المثمرة مقطوفة من رؤيا السَّجينين فلعل أهل مصر في ذلك الزمان كانت بشرتهم حنطية، ودلالة على أن في زمن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يكن الحاكم على مصر آنذاك فرعون من الفراعنة، وإنما ملك، وليس من أهالي مصر، وكانت سيرته حسنة، ولعل الحاكم إن كان من غير أهلها كان أحسن لهم وذلك في كل زمان، ودلالة أن منهاج المُلك لأهل مصر أنسب وأنفع لهم، بل لكل بلد، فهو الأسلم والأنفع من هذه الديمقراطية المستجلبة من أعداء الإسلام، وقد جرى في مصر الخير العظيم في القرن السابع عندما كان الخليفة من غير أهلها.



وقفة:

ودلالة على أن الأحداث تتكرَّر في كل مدة زمنية، وذلك من دلالة الكواكب من دورانها كما تحدثنا في الجزء الأول، وكما أن فعل السَّجين الآخر يُعد خروجًا عن طاعة ولي الأمر صار هذا موروثًا أعني المنبت الخارجي عند البعض من سكان مصر، وذلك مما جرى في هذه الأمة الإسلامية في أول خروج مشؤوم حدث في زمن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو الخروج على الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث خرجت أول ناشئة من بلاد مصر، والقصة مدونة منذ ذلك العهد، وفي زماننا ظهر حسن البنا وهو سيئ هدَّام، وظهر من سلالته من قاموا بثورة الربيع العربي، فجرت من الرزايا والمصائب على هذه الأمة ما جرى، وحصل الضعف والتفرقة والشتات والدمار ما يصعب علينا حصره هنا، ولهذا فإن أغلب البلايا على هذه الأمة منبتها من بلاد مصر، ومنها أن ساسة مصر غالبًا يكن عليهم أعداء لا سيما وأن جيرانهم من اليهود فيتربصون بهم على حين غفلة، والله أعلم.

ويُفهَم أن المادة السمية في الطعام المأكول لا يُشعر بها ولا تؤثر على البدن سريعًا كما في المشروب؛ لأنه لو كان كذلك لُفضح السَّجين عبر مذاقه، ولكن دُس السم في مطعمه من قِبَل السَّجين الآخر، ولهذا حُكِم ببراءة الساقي، ومما يَعضُد هذه الفائدة ما جرى لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من دسِّ السم في مأكله في خيبر، ولم يُدَس في مشروبه، وفي الغالب من يقوم بدس السم في المطعم هم اليهود، وأشد منهم عداوة المجوس، فربما وضعوا السحر وهذا طبعهم منذ القدم، فلا يريدون طهارة الأرض ولا البدن، وكما هو حاصل في زمامنا ببعض الأغذية المغلفة المستجلبة وإن صُنع منها في بلد مسلم إلا أن المواد الدقيقة تُستجلب منهم، وفيها من المواد السامة الخفية ما فيها،

ومما قاموا به مؤخرًا من بث الأوبئة القاتلة، وإلى الله المشتكى.

ومن رؤيا السَّجين الآخر قوله: ﴿أَحۡمِلُ﴾ [يوسف:٣٦]. على وزن أفعل، دلالة على أنه أقدم على دس السم بيديه، ولعله أيضـًا قبض أموالاً للقيام بهذه المهمة من قِبَل أعداء الملك، وهذا من عضو اليد التي تقبض وتحمل، وقوله: ﴿فَوۡقَ رَأۡسِي﴾ [يوسف:٣٦] دلالة بما فكّر في رأسه من هذه المهمة بعد موافقة القلب لذلك؛ فكان النكد على رأسه في رؤياه وفي اليقظة.

ويُفهم على أن الغذاء والدواء كلما كان من البلد كلما كان أنفع وأسرع في فائدته، وغير ذلك من الدلالات، والله أعلم.





المبحث الثاني: العنب

قيل: إن أصل شجر العنب من آسيا، وأدخله الفينيقيون إلى جزر الأرخبيل وجزائر اليونان وبعض البلدان، ومن ثم مصر والشام، وهذا القول فيه نظر، وعلى ما يبدو أنه على العكس، فلعله بدأ في مصر، ومن ثم الشام وباقي البلدان، فقد ذُكر في سورة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقصته كانت قبل ثلاثة أو أربعة آلاف عام، والله أعلم.

وكلما كانت الثمرة أو النبتة من بلد طيب كان أطيب وأنفع كأرض اليمن، وذلك من قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[سبأ:١٥]، وهذا ملموس ومشاهد حتى في لحوم الأنعام لها مذاقها الخاص على سائر البلدان.

وقد ورد في الأساطير والحكايات وفي أخبار الصين والهند واعتبره البعض رمزًا للخصب مع حبوب القمح، وهذا يوافق رؤيا السَّجينين وذلك من العنب والخبز.

وقد ذكر العنب في القرآن الكريم مرات عدَّة في جملة النعم التي أنعم بها الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عباده في هذه الدار وفي الجنة، وكل ثمرة أو نبات ذكر في القرآن والسنة فهو أولى بالمنفعة من غذاء أو دواء من غيره فتفطن لذلك.

ورويت أحاديث عن العنب، وقيل: إنَّها لا أصل لها.

وقال العرب: الشيء الكثير عن العنب في اللغة والنثر والشعر والطب وغيره.

قالوا: إذا ظهر حمل العنب قيل: أحثَرَ وحَثِر، فإذا صار حِصرِماً قيل: حَصرَم، ويقال للحِصرِمِ: الكَحبُ (الواحدة: كحبة) ولِما تساقط من العنب: الهَرور، فإذا اسودَّ نصف حبه قيل: شَطَّرَ تشطيرًا، فإذا اسودت الحبة إلا دون نصفها قيل: قد حَلقَمَ، فإذا اسود

بعض حبه قيل: أوشَم، فإذا فشا فيه الإيشام قيل: أطعَمَ، فإذا نضج قيل: يَنَعَ وأينع وطاب، ويقال إذا جُني: قُطف قِطافًا، فإذا يبس فهو زبيب أو العَنْجَدَ والعُنْجُدُ، والقِطفُ: العُنقود ما دام عليه حبُّهُ، فإذا أُكل فهو شِمراخ، ويقال لِمَعْلَقِ الحبِّ من الشمراخ: القِمعُ.

العنب في الشعر: وقد صنَّفت العرب المزية للعنب الرازقي وهو فعلاً لمن تفطن لأسراره الغذائية والدوائية سواء من بذره أو عروقه أو أوراقه أو ثمرته فكلٌّ له خاصيته، وكما قيل: ولكل شيء من اسمه نصيب، فافهم ذلك.

قال الشاعر ابن الرومي:

كـأنَّ الرازقـي وقـد تَباهى ... وتاهـت بالعناقيـد الكُـرومُ
قـوارير بمـاء الـورد مُـلآى ... تَشِـفُّ، ولؤلـؤٌ فيهـا يعُـوم
وتحسـبه مـن العسـل المصـفى ... إذا اختلفـت عليـك بـه الطُّعُـومُ
فكـل مجمَّـع منـه ثريـا ... وكـل مفـرَّق منـه نجـوم

وقال فيه الشاعر الأندلسي ابن زيدون:

جـاء يُزهـى بمُستَشَـفٍّ رقيـق ... خَـدَعَ العـين رقَّـةً وصـفاء
تنفُـذُ العـين منـه في ظـرفِ نـور ... مَلَأَتْـهُ أيـدي الشُـمُوس ضـياء
أكسـبته الأنسـام بـرد هـواء ... فهـو جسـم قـد صِـيغَ نـارًا ومـاء
منظـر يُـبهج القلـب وطعـمٌ ... يُسكرُ النفس شُهدُهُ استمراء
مُلطـف يَبْـرُدُ المـزاج إذا جـا ... ش بحـرٍّ ويقمـع الصـفراء
ومعـين لواصـل الصـوم يَسـري ... بُـردُهُ في الحشـى ويُـروي الظَّمـاءَ



وقال الشاعر الخليفة العباسي ابن المعتز في حبة العنب:

وحبَّـــــةٍ مـــــن عنـــــب　　　مـــــن المُنـــــى مُتخـــــذه

كأنهــــــــا لؤلـــــــــؤة　　　في بطنهـــــــا زمــــــردة

وقد قال أطباء العرب والأمم: ما كان حديثـًا من العنب يسهل البطن، وينفع المعدة، وهو جيد للمرضى، منشط للقوة الجنسية، يفيد غذاءً ويقوي البدن ويخصبه بسرعة، ويولد دمـًا جديدًا وينفع الصدر والرئة.

وهو أحسن الفواكه غذاء، يسمِّن، ويصلح هزال الكلى، ويصفي الدم، ويعدل الأمزجة الغليظة، وينفع من السوداء والاحتراق، وقشره وبزره يولدان الأخلاط الغليظة، وشرب الماء عليه يولد الاستسقاء وحُمَّى العفن، ينبغي أن يؤكل فوق الطعام.

ويشفي الحميات الحارة، ونزف الدم من الصدر، وأمراض الكبد.





المبحث الثالث: ثمار دانية

دلالة على عدم حبس النفس على نوع واحد من الأغذية، فإنه مضر ويضعف ويهلك إن لم يتعداه إلى ما سواه، فإن الملك على هذا الحال وهو الإفراط من شراب العنب ونحوه فإنه مضر به، وأما إن كان خمرًا على قول بعض أهل التفسير فالضرر أشد، والمتأمل إلى هدي نبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ كان يتناول من مختلف أجناس الطعام والمشرب كما ورد في بعض الأحاديث، وعلينا أن نهتدي به في مأكله ومشربه ومسكنه وحركاته وسكونه وغير ذلك.

ودلالة على أن غذاءهم وشرابهم كان مفردًا، وهذه الصورة جاءت بها السنة المطهرة، فقد كان نبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ غالبًا ما يتناول مفردًا، وإن كان مركبًا لا يتعدى على مادة أو مادتين، وهذا الأمر أفضل لا سيما أصحاب البلاد الحارة كالمدينة النبوية أو أرض مصر.

ولهذا فإنك تجد العنب مفردًا، وكذلك الخبز المتخذ من الحنطة مفردًا، وليس الخبز الأبيض الذي تولَّع به الناس في زماننا ولا يدركون أنه مضر.

فكلما اعتاد البدن على تناول المشروب والمأكول المفرد كلما كان عائدًا على حفظ الصحة، وإن مرض كان دواءه بالمفرد، وهذا كان دأبهم في عهد القدماء.

وكلما كان مركبًا كلما كان عائقًا على حفظ الصحة، وكان الدواء لابد من مركب.

ودلالة على أن المادة للغذاء على هيئتها كالعنب له خاصيته، وعند عصره أو غليانه تختلف خاصيته بصورة جزئية أو كلية، وفي قوتها قد تزيد أو تنقص، وهذا معلوم لدى



أرباب هذا العلم.

ومنها: أن من أراد تناول العنب عصيرًا فإنه يُفضّل إثر قطفه، وهذا مستنبط من الرؤيا.

ومنها: أن تناول عصير العنب فيه فائدة مميزة، ولعل منها الفكر والتأمل لإيجاد الحلول للمعضلات، وكذلك في تعديل البال ونحو ذلك مما يلائم به حال الأكابر؛ فإن ملازمة الملك لهذا الشراب لعله يلائمه في ذلك، وإذا حكمنا عليه بأنه كان خمرًا فكيف بملك يسوس البلاد وهو في حالة سُكر؟! ولهذا كان الحلو البارد محبوبـًا لنبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ ولكن كان بلا إفراط فيه.

ودلالة طبية لحفظ الصحة، وهو تقديم الفاكهة على المطعم من الغذاء، وذلك من الترتيب القرآني للرؤيتين، وله شواهد في مواضع عدّة في القرآن الكريم من حيث الترتيب، وهذا أيضـًا ذهب إليه أرباب الطب، وقد قال بعض أرباب الطب: إن تناول الفاكهة بعد الطعام مضر ويولد الأورام.

ودالة على البدء بالشيء الخفيف على المعدة ثم الغليظ، وذلك شيئـًا فشيئـًا وهذا لحفظ الصحة، ومضر إذا كان عكس ذلك في كل الأحوال، ودليله من ترتيب المشروب ثم المأكول من رؤيا السَّجينين، وذلك من حيث الكيفية أو ماهية المادة.

ومنها: دلالة أن تناول الفاكهة على قدر المطلوب وعلى الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي كانت له دواء نافعـًا، وقس ذلك في عصيرها.

ومنها: دلالة على طبائع أو مزاج الشيء، فالعنب بما فيه من الرطوبات فإن حرارة الأرض كأرض مصر وحرارة الفصل وحرارة المعدة تنضجها وتدفع شرها إن لم يسرف في تناولها.

ومنها: دالة على أن الشيء إذا كان فيه الحلاوة والبرودة وجمع وصفى كان من

أنفعها للبدن، ومن أكبر أسباب حفظ الصحة للقلب والكبد والقوى؛ لأن عشقها لهذا الشيء تكون سريعة لتغذية البدن، ويتم مراده، ولهذا كان أحب الشراب إلى نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الحلو البارد، وأما إن تناوله مرضى البرودة في الأزمنة الباردة في البلاد الباردة فمضر ويزيد من طغيانه، وغير ذلك من الفوائد، فتفطن لذلك.





المبحث الرابع: ملك جوار ملك

ومن الفوائد الملاح فإنه يتبيّن لنا أن فاكهة العنب لها منافع عظيمة ونفيسة، ودليل ذلك ذكره في القرآن الكريم في مواضع عدة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ملوك الفواكه ثلاثة: العنب، والرُّطب، والتين.

قلت: وهذا لمزيتها، وأفضلهم الرُّطب، ويعضد ذلك من رؤيا النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بالرُّطب في دار عقبة، ولا أنفع ولا أطيب ولا أمتع من ديننا الحنيف فشُبّه بما يليق به عند تمامه، ولما كانت المدينة مشهورة بالرطب كانت رؤياه على الشيء الذي اختص به ومُيّز به.

نُعلّق على ما ذكره ابن القيم في الطب النبوي في حرف العين وابتدأ بالعنب حيث قال: في الغيلانيَّات من حديث حبيب بن يسار عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، قال: «**رَأَيْتُ النَّبِيَّ** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ **يَأْكُلُ الْعِنَبَ خَرْطًا**».

قال أبو جعفر العقيلي: لا أصل لهذا الحديث.

قلت: وفيه داود بن عبد الجبار أبو سُليم الكوفي، قال يحيى بن معين: كان يكذب.

فإن سأل سائل: لماذا ابن القيم يذكر حديثاً لا أصل له ويؤكد على ذلك؟

قلت: تجد في كتابه زاد المعاد في الطب النبوي كثيرًا ما ذكر نحو هذه الأحاديث وهذا دال على فطنته، وذلك لأن الطب أمره واسع كحال علم التعبير، فإن كان الحديث ضعيفاً أو مكذوباً فلسان مقاله يقول لك: لكن مثل هذه الطريقة إن كانت لا تضر في الطب وفيها فائدة ويَعضدها أمثال وحكم من العرب فلا بأس من غير مخالفة الشرع، وعلى هذا المنوال فإن الرُّؤىٰ في الغالب نُعبِّرها على الأحاديث الصحاح، لكن لا يمنع

من تأويلها على الضعيفة إن كانت غير مخالفة ولا متناقضة فهي نحو التأويل على الحِكَم السائرة والشعر المشهور بين الناس، والله أعلم.

ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويُذكر عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: أنه كان يحب العنب والبطيخ.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى العنب في ستة مواضع من كتابه في جملة نعمه التي أنعم الله على عباده في هذه الدار، وفي الجنة.

وهو من أفضل الفواكه وأكثرها منافع، وهو يؤكل رطبًا ويابسًا، وأخضر ويانعًا. وهو فاكهة مع الفواكه.

قلت: أي: يلائم مع كل جنس من الفواكه أو يشير على أنه من صنف الفواكه.

وقال: وقوت مع الأقوات، وأُدم مع الإدام، ودواء مع الأدوية.

قلت: أي: يتوافق تركيباً مع مادة أخرى من الدواء أو أكثر وهذا إرشاد مليح منه.

وقال: وشراب مع الأشربة.

قلت: أي: يتحول، أو يمتزج مع أشربة أخرى مهما كانت ماهيتها، أو أنه من صنف الأشربة.

وقال: وطبعه طبع الحبَّات.

قلت: لعله يقصد التوافق بين طبعه وطبع الحبَّة التي بداخله؛ لأنه عقّب بعدها بقوله: الحرارة والرطوبة.

قلت: أي: طبائع الشيء وهما أربعة مفردة حار وبارد ورطب وجاف، وهما أمزجة أربعة مركبة: حار رطب، وحار جاف، وبارد رطب، وبارد جاف، وهذه المادة أو الطبائع لكل شيء.



وقال: وأجوده الكَبَّاني المائي، والأبيض.

قلت: أي: الذي يميل لونه للبياض أو للصفرة ما يسمّى بالرّازقي، وأدناهما الأحمر.

وقال: والأبيض أحمد من الأسود، إذا تساويا في الحلاوة.

قلت: وهنا بشرط، ولعل الأسود أجود إذا غلب حلاوته على الأبيض.

وقال: والمتروك بعد قطفه يومين أو ثلاثة، أحمد من المقطوف في يومه.

قلت: وهذه الفائدة تتوافق مع رؤيا السَّجين حيث جرى الحكم بعد ثلاث، وهنا صلة مشتركة مع علم التأويل وفائدة جليلة وإلا فكلامه يوافق حال العنب بما ذكر، ولعل الحكمة من ذلك فإن فوائده تتجمع فيه بعد أن كان يمتد من عوده، ولعله يشير عند أُكله؛ لأن العصر إن قُطف عند نضوجه فالأفضل عصره على إثر ذلك.

وقال: فإنه مُنفخ مطلق للبطن.

قلت: أي: تناوله في يوم قطفه يسبب التنفخات ولا يتقيد في البطن لكي يُستخلص فوائده وتعود للبدن.

وقال: والمُعلّق حتى يضمر قشره جيد للغذاء، مقوٍّ للبدن.

قلت: ولما كان العنب مترفعاً في هيئته فلعل هذه الفائدة مستنبطة من هيئته كذلك وملامسته للأرض ينقص من فائدته.

وقال: وغذاؤه كغذاء التين والزبيب.

قلت: لعل ذلك بسبب توافق طبائع التين مع العنب، وكذلك من صفة اللون، وأيضاً فقد أقسم الله به، وغير ذلك، ولعل عدم ذكره في السنة؛ لأن أرضه لا توافق أرض الحجاز والمدينة النبوية.

وقال: وإذا أُلقي عَجَم العنب كان أكثر تليينًا للطبيعة.

قلت: أي: نوى العنب فتكون خاصيته لطيفـًا وذلك لرقّته.

وقال: والإكثار منه مصدع للرأس.

قلت: وذلك بسبب لطفه، فالإكثار منه يناقض رطوبة الدماغ، على ما يبدو، ولعل ملك مصر كان يشكو من ذلك، والله أعلم.

وقال: ودفع مضرته بالرمان المرِّ.

قلت: أي: علاج ذلك بالضد من حيث المذاق.

وقال: ومنفعة العنب: يُسهِّل الطبع، ويسمن ويَغذو جيده غذاءً حسنـًا.

وهو أحد الفواكه الثلاث التي هي ملوك الفواكه هو والرُّطب والتين. اهـ

والمتأمل فيما سبق ذكره يتطلب منك يا طالب العلم أن تسلك هذا المسلك، وتتفطن لأسرار وفوائد لم تُذكر، وما عليك إلاّ أن تتأمل في كل فاكهة وثمرة ونحوهما في كل مداخلها من هيئتها وصفتها وغير ذلك، فافهمه.

وقفة:

كل ما ذكره ابن القيم آنفـًا بما يتعلق بالعنب ليس له، وإنما هو في الأصل لأحد علماء المسلمين، وهو من أرباب الطب، وهو ابن جزلة وقد كان نصرانيـًا ثم أسلم، وكان يعالج المرضى من نفقته كما ترجم عنه ابن كثير، وكان قبل ابن القيم بما يقارب عشرين عامًا، والعجيب أن ابن القيم لم يعزه إليه كما هي عادته في الطب النبوي في بعض الفوائد يرجعها لأصحابها كأفلاطون وغيره، ولعل ذلك حصل نسيانًا منه، والله أعلم.



المبحث الخامس: عصر في مصر

تطلق كلمة العصير والعُصَار والعُصَارَة في اللغة العربية على ما سال من نبات ونحوه عند العصر، وكل شيء عُصر ماؤه فهو عصير، وعصير الفواكه فوائده الغذائية كثيرة إذا أخذ بوعي وفَهم وإدراك، وقد ينجم عنه ضرر إذا أخذ بجهل ونَهَم وغير مبالاة بما يسببه للصحة من أخطار.

ولا شك في أن العصير مفيد للجسم لا سيما للأطفال والشيوخ المسنين الذين عجز مضغهم للفواكه وكذلك المرضى.

ومن رؤيا السَّجين دليل على أن العصير منذ ذلك الزمن سواء يهرس بالحجر أو بالضغط عليها أو بتعريضها للشمس وغير ذلك من الطُرق القديمة.

وعصير الفاكهة كثيرة فوائده، وله أضرار عندما يتناول بخلاف الأصول المتقدم ذكرها في فصل الثمار، فهو لا يخلو من مخاطر، وذلك بسبب الإسراف فيه، فإنه يفسد المواد المقوية للبدن ويتعب الكبد، وقس ذلك في تناوله في غير موسمه، أعني المستجلبة أو في حال عدم نضجه، وقليله أفضل من كثيره.

وهذا تجده من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والمتأمل في رؤيا السَّجين الأول لعل الحاكم كان يشكو من تعب بسبب إسرافه في ذلك، ولعل الملك الذي رأى رؤيا السبع البقرات ابن الملك، وليس هو الملك الذي كان يحكم في زمن دخول يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السِّجن، والله أعلم.

وعصير العنب مطهر ومدر للبول وضد الحُمِّيات، كما أن الزبيب المجفف بالشمس يستخدم كملطف في الأمراض الصدرية، وأمراض الرئة والكبد والكلى والمثانة.

وأكله مع البزر يقاوم الإسهال، وأوراق العنب تستعمل ضد أمراض الجلد، ومرض الدوالي، ولوقف النزيف عند المرأة.

كما أن الماء الذي يسيل من أشجار العنب في الربيع والذي يسميه القدماء: (دموع العرائش) كان يستعمل لإذابة الحصى، ولمنع الحوادث التي تقع للحوامل.





المبحث السادس: خبر عن الخبز

يعرف بأنه من دقيق القمح أو غيره، ويسمى في مصر (العيش)، وفي أكثر الأقطار العربية (الخبز)، ومصدر كلمة الخبز هو فعل خَبَزَ.

وقد يطلق الخبز على كل ما يؤكل كما ورد في شعر المتنبي:

وربمـــا أُشْـــهِدُ الطَّعــام معـــي   من لا يُسَاوي الخُبْـزَ الـذي أَكَلَـه

ومن الحكم من رؤيا السَّجينين أنه يُفضّل تناول المطعم بما جرت به عادة أهل البلد بأكله لا سيما مما اشتهرت بزراعته ولا يحتمي عنها، وهذا من أسباب الصحة، وإن كان المُستجلب من الأغذية الأساسية كالحنطة بسبب عدم وجودها أو تعارض طبيعة أرض بلدته فلا بأس، فإن المتأمل في رؤيا السَّجينين تجد أن العنب والحنطة مما اشتهرت به مصر آنذاك، وأما في زماننا فصارت من البلدان الأولى باستجلابه من بلدان أخرى، وهذا بسبب الذنوب والمعاصي حتى قلّت البركة، فبلد يجري فيه نهر وتربته خصبة قلّ أن يستجلب إلا الشيء الذي لا يوافق تربته.

ومنها: دلالة ألا يحتمي الإنسان عن ثمرة بلده خشية السقم إلا إذا كان عليلا، أو فهم الطب بالمقلوب، ويُفهم على أن النفس إذا كانت تعتاف من مأكول فلا يُقحم نفسه بذلك، بل يتركه، وهذا مستنبط مما تقدم ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا أيضًا من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فلم يكن يُكره نفسه على ذلك كما جرى مع لحم الضب.

ومن يتناول المأكول ونفسه تعافه فإنه يؤدي إلى أضرار على البدن أكثر من انتفاعه، وعندما جيء لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بخبز ملبق بسمن ولبن؛ وكان السمن قبل ذلك في



عكة ضب لم يأكله نبينا محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ لكراهيته لذلك، وهذا نحو ما جرى من يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فلا ينبغي إرغام النفس على مالا تشتهيه؛ فإنه مضر وإن كان فيه غذاء.

وإذا تأملت إلى طبيعة بلاد مصر ومزاج العنب فإنه يستنبط أن مزاج الخبز المتخذ من البُر حار معتدل في الرطوبة واليبوسة وهذا شبيه بمزاج العنب، ويُفضَّل أن يكون نقيًا مملوحًا، قد أحكم تخميره جيد النضج في التنور الطبيعي المصنوع من الحجر والطين، واليبس يغلب على ما جَفَّفته النار منه، والرطوبة على ضده، والخبز المتخذ من الحنطة فغذاؤه يكون بحسب الحنطة المتخذ منها، فما كان متخذًا من حنطة كثيفة فغذاؤه أكثر مما يتخذ من حنطة رخوة، فخبز الشعير بارد يابس في الأولى وأقل غذاءً من خبز الحنطة، وهو أكثر الخبز غذاءً، ولكنه أبطأ انهضامًا ويضر ما اتخذ من لباب الحنطة، وهو ما يُسمى بالدقيق الأبيض، ولأنه يولد انسدادًا وأمراضًا كثيرة؛ وذلك كونه أُخرجت منه مادة عن خلقته فإنّ صنعته تقوم على حرارة محدودة حتى تتقشر منه القشرة الظاهرة ثم تؤخذ المادة الباطنة وهذا تغيير مغاير لطبيعتها، وخروج مزاج من مزاجين فيؤدي إلى أضرار ومفاسد على البدن، وإن كان فيه غذاء على البدن، وقد أُجريت التجارب في كلاب تناولت الدقيق الأبيض فكانت أقل عمرًا ممن تناولت الخبز الكامل الذي لم ينتزع منه شيء، فقد عاشت محتفظة بقوتها.

وفي "السلسلة الصحيحة" من حديث أم أيمن رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنها غربلت دقيقًا، فصنعته للنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ رغيفًا، فقال: «**ما هذا؟**» قالت: طعام نصنعه بأرضنا، فأحببت ان أصنع منه لك رغيفًا، فقال: «**ردِّيهِ فيه، ثم اعجنيه**». أي: رديء ما غربلتيه من النخالة إلى الدقيق ثم أعيدي عجنه.



وعكس ذلك في النخالة التي قد نزعت لبابها فهي أقل غذاءً لكن فيه جلاء وأسرع انهضامًا، والمتوسط لحفظ الصحة هو ما اتخذ على ماهيتها الطبيعية من دون نزع أحد أمزجتها.

والخبز المتخذ من الحنطة الحديثة يسمّن بسرعة، والقريب العهد بالطحن يحبس البطن، والبعيد العهد يطلق، والخبز الحار يعطش لحرارته ويطفئ لرطوبته ويشبع بسرعة وهو أسرع انهضامًا وأبطأ انحدارًا، والخبز العتيق اليابس يعقل وإن لم يخلط به غيره، والخبز الدقيق يعقل البطن أكثر من الثخين، والثخين يغذو أكثر من الدقيق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأحمدُ أنواع الخبز: أجودها اختمارًا، وعجنًا، ثم خبز التنور أجود أصنافه، وبعده خبز الفرن، ثم خبز الملَّة في المرتبة الثالثة، وأجوده ما اتخذ من الحنطة الحديثة، وأكثر أنواعه تغذية: خبز السَّميد وهو أبطؤها هضمًا لقلة نخالته، ويتلوه خبز الْحوَّارَى ثم خبز الخشْكار.

ومنه أصناف كخبز الطابون، ومنه خبز الشعير، ومنه خبز الفرن، ومنه خبز الأرز، ومنه خبز الفطير، وغير ذلك.

ومن أنواع الخبز التي عرفها الطبخ العربي القديم خبز يسمى خبز الأبازير، وقد وصف صنعه بأن يجعل على الرطل من الدقيق أربع أواقي شيرج، ونصف ربع من السمسم المقشور، ويعجن جيدًا ثم يخبز في الفرن المتخذ من الحطب، وأما الأفران المختلفة في زماننا المتخذة على صور معاصرة فمنها مضرة ومنها يفقد بعض القيمة الغذائية، وفي كتاب اليتيمة لابن حجاج وهو يهجو أحد الشعراء على أبيات قالها:

يا سيدي هذي القوافي التي ... وجوهُها مثل الدنانير

خفيفة من نُضجها هشَّة ... كأنها خبز الأبازير

وقد قلّد الفرنسيون هذا الخبز وسموه حسب لغتهم.

وأحمدُ أوقات أكله: في آخر اليوم الذي خبز فيه؛ -أي: الخبز المتخذ من الحنطة بطبيعتها- لأن المتخذ من لباب الحنطة كالدقيق الأبيض لا يطول مكثه؛ لأنه سريع إلى اليبوسة، وذلك لذهاب ظاهر الحنطة فهي كالحافظة.

وقد ثبت في "الصحيح" عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ**».

وقد كان أحب الطعام إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الثريد من الخبز، والثريد من الحيْس، وقد شبّه فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على النساء وهي أحب النساء إليه، والقرينة المليحة من هذا التشبيه دلالة على أن الثريد فيه فوائد جما على البدن وقوى النفس، والله أعلم.

وقال المَرُّوذِيُّ: كنتُ أكبسُ لأبي عبد الله الخُبزَ في القَدَحِ وأصبُّ عليهِ الماءَ، فكانَ يأكلُهُ، ويشربُ ماءَ الخبزِ. قال: هُوَ يُقَوِّي. [الجامع لعلوم الإمام أحمد (١٣/ ٢٨٢)].

ونتحدث عن بعض أمزجة النبات والثمار:

حارة يابسة: كالزبيب الأسود، والزعفران، والزعتر، والعصفر، وإكليل الجبل، والريحان، والقسط الهندي، سنا مكي، والبردقوش، والأرز، والرمان، والتين المجفف، والجوافة، والعنب، والمانجو، والأناناس، وأشباهها في الطبائع .

حارة رطبة: كالزنجبيل، والكركم، والسميد، والقمح، والتوت، والمشمش، والتمر، والجزر، والموز، وأشباههم.

باردة يابسة: كالدخن، وقشرة الرمان، وبليلة، والكركديه، والحناء، والكمأة،



والليمون، وجوز الهند، وبذور العنب، والبلح، والتوت الحامض وأشباههم وهذه باردة جافة.

باردة الرطبة: كالبنفسج، والبامية، والشعير حسب إعداده، والهندباء، والطماطم كالقلقاس، والبطيخ الأحمر وأشباههم، وكل فاكهة أو نبتة لها مذاقها ويعتبر منه ولها درجات مخصوصة في مزاجها فبعضها حارة يابسة في الدرجة الأولى، وبعضها في الثانية، وبعضها في الثالثة، وبعضها تكن في الدرجة الأولى من البرودة وفي الثالثة في اليبوسة أو الرطوبة، فافهم ذلك.

فمن كان مزاجه خارج عن الاعتدال قام بالغذاء والدواء بالضد؛ كمن يشكو من البرودة والرطوبة فعليه بالحار اليابس فالضد أصل الطب، وقد ينتفع بالمثل ولكن لسبب، وليس هنا البسط في هذه المسألة.



المبحث السابع: ومن التعبير: أصل

عليك أن تدرك الأصل للشيء سواء صدر منه خيرًا أو سوءًا لكي يسهل عليك تأويله، وهذا الفصل نافع ماتع للمتحري لا سيما في الرُّؤىٰ القضائية والجنائية كالتي بين أيدينا من قضية وجناية السَّجينين.

ولما كان الطير فوق رأسه جرى له الحكم على رأسه، ونظيره فالحاكم بمثابة الرأس فصدر الحكم منه بصلبه.

وعندما سُحر نبينا صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أتاه في المنام رجلين، فكان أحدهما عند رأسه وهو موضع المادة التي عُمل بها الساحر، وذلك من شعره، والآخر عند قدميه وهو موضع التعب بينه وبين أهله، ولا يزال هناك الكثير من الفوائد الماتعة من رؤيا نبينا صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وهي قاعدة ومرجعية هامة ينبغي عليك أن تتفطن لها، وتتعلّم منها الرّبط بين البدن والبيت، ونحوه الألبسة وأشباههم.

فأصل الرؤيا لها أربعة أعمدة لكي تصل للمطلوب وهي:

(جنس – صفة – طبع – مكان)

فالجنس هو الأصل للشيء، فالإنسان من الجنس البشري، والحيوان من الجنس الحيواني، والشجرة من الجنس النباتي ونحو ذلك.

وأما الصفة فهو الصنف أو تميزه أو نوعه كشجرة النخل فلها صفتها، وهي من جنس الشجر، وذاك الأسد من جنس الحيوان ويُصنّف من السباع وعلى هذا فقس.

وأما الطبع فهي سجيته التي جُبل عليها والتعود والنشأة التي عليها، ومنها الطبائع من حيث العناصر أو من حيث الأخلاط أو الأمزجة هل هو حار رطب، أو حار يابس، أو



بارد رطب، أو بارد يابس، ومنها خاصيته وقوته ونحو ذلك مما عند أرباب الطب.

وأما المكان فهو مكان تواجده حسب ما عُرف به.

ويختلف الحكم باختلاف حال الرائي، فهذه قواعد هامة لكل الأجناس.

ومن التعبير اعلم أن الحيوان والشجر دالة على أناس، فالمذكر ذكر والمؤنث أنثى، فاعتبر من صفة أو ماهية الثمرة أو الحيوان على من دل عليه، فإن كانت نخلة أو تمرة قضيت على رجل عالم وهو من العرب لا سيما من أرض الحجاز، ودال على امرأة شريفة كما فسّر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ شجرة النخل بالمؤمن، ولما كان النخل كذلك كانت إحدى رُؤاه رُطب فطُبَّ من لبيد اليهودي، وربما دل على رجل نَفَّاع شريف مطواع للناس، وأصله عشيرته، نَفّاح بالخير، مخصب حسيب سهل ثبات إيمان، علو الهمة، وربما يُعمَّر إلى السبعين أو الثمانين، وتدرك مزاجه حار رطب، وقيل حار يابس.

وإن كانت شجرة جوز قضيت على رجل من العجم؛ لأن منابت الجوز ببلاد العجم، يتعلم علم النجوم أو يتابع منجماً، يغش في تعامله وخصومة عند المناظرة، ومزاجه حار يابس.

ومن جوز الهند من بلاد الهند، وزواج ونحوه، وربما دل على الفائدة الدوائية للمريض، أو من مرض قادم.

ومن السمسم من بلاد السودان أو ممن اشتهرت بزراعته أو اشتقاقاً سم سم.

وكما اشتهرت مصر بهذه الفاكهة وهي العنب فإننا نتعلم من طبيعة الإنسان من جنس أرضه، ففي أهل مصر اليبوسة؛ وذلك من حرارة ويبوسة البلدة، وهذا يولد النسيان كما جرى النسيان من قِبل السَّجين الأول، وإنما سببه الشيطان، وفيهم أيضاً الرطوبة ومن

ظاهر العنب ففيهم النعومة والقليل منهم من يشكو من ضعف البنية، ومن اللفظ عنب اشتقاقاً عكسياً ينبع نهر النيل، كما أن قليل السدر في اليمن من بعد العرم فيه من الشدة واليبوسة كان ذلك موصوفاً به أهل اليمن، ومن السدر سدود جمع سد.

كما قال لي رجل من اليمن: رأيت أني أحمل فاكهة كيوي.

قلت: تشكو من زيادة في اليبوسة، وعلاجك الكي. ودليله أن هذه الفاكهة ليست من فاكهة البلدة مما اشتهرت بها.

وثمرة الزيتون دالة على أحدهم من بلاد الشام، وربما دلت على معنى آخر، ولما كان العنب من شراب الملك ومن ملوك الثمار أتى الفرج للسجين من قِبل الملك، فما أصاب من خير أو شر نسبناه إلى ما ذكرناه.

وإن كان الأصل نمرًا، قضيت عليه بأنه رجل كثير الحيل والمكر رديء المعاشرة، لص، أو مهاجم، ولا ينتفع به غالبًا، وفي الغالب يكون من جهة البراري، أو ما دون الأكابر في البلد.

وإن كان الأصل طائرًا، علمنا أنه رجل ذو أسفار، لحالة الطير، فإن كان طائر الهدهد قضيت عليه أنه رجل عابد كثير السجود وعلى رسل الأكابر وعلى أصحاب العمائم والتيجان، وتواجده خارج البلد كونه سائب في مكانه وليس من النوع الذي يقيم في البلد، ومن أراد المعرفة أكثر في الحيوانات فانظر إلى كتاب حياة الحيوان الكبرى.

ولا نحكم بذلك على الإطلاق فالموافقة بما يوافق حال الرائي وأحداث الرؤيا وزمنها.

وعلى ما ذكرنا من الدلالات الغذائية للثمرة والعصير قس نحو ذلك في الاعتبار، فالعصير والخبز يحتاج إلى جهد وكلفة فاعط بقدر ذلك، وكلما كان العصير مفردًافي



المنام كان بما دل عليه من الخير أو السوء أقل من المركّب، واعتبر بما اعتاد عليه الرائي كمن يرى أنه يشرب عصير العنب وهو لم يعتاد عليه فدال على نكد، أو إرشاد لشيء بما دل عليه، والعصير الأصفر في المنام دال على الفرح والسرور، وهذا أطلقنا عليه بالدلالة المعنوية، ويدل على النكد إن كان غير ما اعتاد عليه أو مرض ومنه الصفراء إن كان يشكو من ضر محسوس، وهنا دلالة حسية.

كما قال لي إنسان وكان يشكو من داء السكري: رأيت أني في منزل خالتي، وشربت عصيراً، ولكن كان السكر يطفح في الكأس.

قلت: سبب مرضك كونك تجرَّعت مشروبـًا قام بخروج أحد الأخلاط عن الاعتدال وهو الحار اليابس؛ لأن مزاج ذلك الداء وغذاء السكر هو الحار اليابس.

وربما دل العصير على الدواء أو الغذاء، وربما دل عصير البرتقال على بِر القول وعلى الرقية؛ وهذا اشتقاقـًا إن توافق مع حال رائيه، والأحمر ربما دال على الزواج أو الملاهي أو على الحمراء، وقس ذلك في البيضاء والسوداء وهذا أسميته دلالة حسية أعني ما كان دلالة للطب، ولما كان العصير الذي في الآنية مآله وسط البدن كان من دلالات الآنية تدل على البدن في تأويل الرؤيا، فتفطن لذلك.

وإذا كان مركبـًا من مادتين في الرؤيا وكان جيدًا دل على الزواج لاختلاطهما، وأُلفة، واجتماع، وربما دل على سوء المزاج، وإن كان رديء كان عكس ذلك، وإن كان مركبـًا أكثر من مادتين فدال على نكد إلا إن اعتاد عليه وكانت القرائن جيدة، وربما دل على السحر، وعلى الاختلاط، والمال المشبوه، وعلى التلبيس ونحو ذلك.

وإن كان في المنام باردًا حلوًا في الصيف ولم يتلوث به فهو رزق، وخير، أو فوائد، أو زواج، ونحو ذلك، وقس على ما تقدم ذكره من دلالات الثمار، والله أعلم.

المبحث الثامن: أَخَمْرٌ في السجن؟

ذكر أهل التفسير أن المعنى للخمر في الآية هو العنب، ومما يعضد ذلك أن من الخمر يُتخذ من مادتين كالنخلة والعنبة كما في الحديث، وما ذكره أكثر أهل التفسير دال على مادة واحدة سواء كان عنباً أو عناقيد عنب، ومعلوم أن الشيء بعد عصره لا يُعصر فكيف يُعصر الخمر بعد تخمَّره؟! فما ذكرناه يقوي ما ذهبوا إليه من تفسير الخمر بالعنب، ومن قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف:٣٦] أي: أسقي. وسيأتي الحديث عن لفظ العصر بمعنى السقي، وعلى نحو الاختلاف نخرج بقيَم لتأويل الرؤيا وهي:

- اعتبر اختلاف الظاهر على الباطن والعكس.
- التأويل بالمعنى، وقد بيّنا في رؤيا يوسف بما يكفي من المعاني لطالب العلم.
- اعتبر على ما يوافق حال المكان والزمان ولغة أهله أعني لهجة أو لسان الرائي.
- اعتبر لهجة الرائي إلى المعنى المفهوم حسب معاني اللغة، ودليله كما اعتبر الخمر بالعنب.
- اعتبر الشك لدى الرائي كمن شك في أمرين في منامه، أو رأى إشارة مع يقين بها وشك بإشارة أخرى، فهنا الحكم على الأمرين، وغير ذلك من الفوائد.

والغريب ممن استدل من تأويل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرؤيا السَّجين الأول ما يُسمى **التأويل بالمعتقد**، وهذا لا يستقيم؛ لأن المقصود بالخمر هنا العنب، والظاهر أنه لم يطلع على تفسير الآية، والله أعلم.



فائدة:

قول الضحاك أن أهل عُمَان يسمون العنب خمرًا فلعل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يكن يقيم في مصر؛ أعني: عندما كان في قصر العزيز؛ ويَعضد ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ﴾ [يوسف:٢١]. أي: اشتراه لمكان آخر غير مصر، وأيضًا كما عند أهل اللغة فمصر تطلق على البلد أو المدينة، ولكن مثل هذه المسألة تحتاج إلى بحث مع الاستدلال، والله أعلم.



المبحث التاسع: المُسكر في المنام

أحيانًا يُقصد بالمشروب مطعمًا، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ ﴾ [البقرة:٢٤٩]، فاعتبر المأكول والمشروب من المسكرات عند من يعتقد تحريمه على مال حرام، وغير ذلك من الدلالات.

وكما ذكرنا فالمأكول دال على مأكول في أغلب الرُّؤىٰ كما في رؤيا السَّجين الآخر من أكل الطير ومن رؤيا الملك، ويدل على الغيبة، وربما دل على الزواج أو الحمل، وغير ذلك من دلالات الأكل.

وربما دل المسكر على فساد، وذلك لاختلاف تصرفات العقل الصحيح، وعلى داء السكري، ودال على فتنة وخصومة إذا اجتمع عليه، وعند من يحللها دال على العز، أو أرزاق وخير، وربما دل الخمر عند من يعتقد تحريمها على قضاء ديون وراحة، ويدل على رزق واسع مع إثم، ويدل على هموم وأحزان، ويدل على الغباء، وعلى الرجل الخبيث، ويدل على عمل الشيطان، وعلى فساد الفطرة، وسحر الجنون، فاعتبر حال شاربه.

كما قال لي إنسان: رأيت أني في المطبخ وشربت كأسًا من خمر.

قلت: أخذت مالاً مشبوهًا، وتشكو من مرض مما يولد الخصومة مع أهلك، وعندما تخرج من البيت يتغيّر حالك، فكان كذلك.

ودليله أن الخمر مفسد، وهنا فساد أخلاط طبيعة البدن وهو مرض.



وآخر يقول: رأيت أني أشرب خمرًا من زجاجة.

قلت: قلبك متعلق بامرأة، وقد سكرت بحبها وتريدها.

فقال: صحيح.

قلت: اتركها ولا تعد وهو خير لك.

فقال: لا أستطيع.

ودليله أن الخمر دال على العشق، فافهم ذلك.

واعتبر أكل المحرمات حسب أحكامها في الشريعة وليس على الإطلاق في حصر تأويلها بذلك، فإن كان في المنام لأجل الضرورات فربما دلت على الرزق الحلال، والفرج بعد الشدة وإلا فلا.



المبحث العاشر: فصول الرؤيا

وهي على أربعة أوجه:

الأول: محمودة ظاهرًا وباطنـًا، كمن رأى أكل الفاكهة أو كان عليه لباس حسن.

الثاني: مذمومة ظاهرًا محمودة باطنـًا، كمن رأى أنه يأتي أحد محارمه فيُفسر بصلة الرحم، أو الحج ونحو ذلك إن خلا من تكرار مثل هذه الرؤيا ومن ضر محسوس.

الثالث: تأتي محمودة ظاهرًا مذمومة باطنـًا، كمن رأى أنه يضحك بصوت عالٍ؛ دل على نكد.

الرابع: تأتي مذمومة ظاهرًا وباطنـًا، كمن رأى أن ثيابه تلطخت بالدماء أو بالزيت ونحوه؛ دل على نكد.

كما قال لي إنسان: رأيت أني عروس فوق عربة العسكر.

قلت: تُحبس بتهمة من قِبل امرأة، فعن قريب جرى ذلك.

فائدة:

ليس لزامًا عبور كل رؤيا بعبور مغاير خلاف ظاهرها، فالرؤيا على معيارين هما: **(نصية – وتأويلية).**

فالنصية: تأويلها يكن نصيـًا؛ أي: كما هي فتفسر كما وردت فكما أنه رأى أنه يعصر خمرًا كان عبورها يسقي ربه خمرًا، وكذلك تجد تكرار لفظ الخمر في الرؤيا، وفي التفسير، ومثل هذه الرُّؤىٰ تأتي لبعضهم بما عنده من صدق فتقع كفلق الصبح، والبعض ربما بسبب مرض يشكو منه فيجد بعض رؤاه تقع على ظاهرها.



كما قال لي إنسان: رأيت زلزالاً ضرب في بلد الكويت.

قلت: هذه لا تُحمد، فجرى ذلك الزلزال بعد الرؤيا بشهرين.

والتأويلية: أي تحتاج إلى تفسير.

كما في رؤيا يوسف، وقد تحدثنا سابقًا عن تفسيرها، ورؤيا السَّجين الآخر، فقد فسّرها بصلبه، ومما يَعضد تفسيره في موضع آخر من كتاب الله تعالى قوله: ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ [الحج:٣١]، وكذلك تفسيره لرؤيا الملك، وتجد أيضـًا في حق السَّجين الآخر نصية جزئية، فالجزء النصي هو أكل الطير.

ومن عصر العنب؛ فإن العصر يلائم الخبز والسمسم كذلك كما عند أهل اللغة، ويقال: للعصير زيتـًا، ولكن اختلف تفسير رؤيا الآخر وذلك لاختلاف القرينة الأخرى، وعدم توافق ذلك، فتجد من تأويل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في رؤيا الملك ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾ [يوسف: ٤٩] بسبب سقي الغيث للنبات والثمار، وهنا السقي كان تأويل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للغلام الأول، وذلك لتوافقهما، ولأن السقي يتوافق مع الشراب، كما قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١﴾ [الإنسان: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤﴾ [النبأ: ١٤]، ولذا فقد كان رؤيا الآخر تأويلية وليست نصية، والله أعلم.

وعندما كان السَّجين الأول صادقـًا كانت رؤياه نصية وحُكِم له بالبراءة.

ولما كان الآخر جانيًا فيما حرثت يداه؛ كانت رؤياه تأويلية لكونها تحتاج إلى بحث وتحري فحُكم بِصَلْبِه، فافهم ذلك.

المبحث الحادي عشر: أصل الفاكهة

تعلمنا أن أصل الرؤيا على أربعة أجذاع ثابتة، ومن دلالات العنب على ذلك فالأصل: جنسه الشجر، وهو من صنف الفواكه، وهو غذاء، ودواء، وألوانه الأبيض والأسود والأحمر وغير ذلك، واشتهر في مصر وفي بلاد الشام واليمن وغير ذلك مما اتصف به مما سبق ذكره، ولما كان العنب لا يصلح إلا متدلياً على عيدان أو جُدر كان للسجين الأول نصيب وهو حيطان وجدران السِّجن.

وأما السَّجين الآخر فـ (خَبَزَ) في اللغة العربية على وزن: ضَرَبَ، فيقال خبزه خبزًا؛ أي: ضربه، والمتأمل في رؤياه مع هذا المعنى يتوافق مع تأويل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو الصَّلب وهو شبيه بالضرب، فإذا ضُرب المضروب في ذلك العضو وأُكل كان دليل على الموت، وكما قال تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾ [الأنفال: ١٢]، وهذا الاعتبار بالمعنى.

ونستدل فائدة أخرى في التأويل، وهي: ربما دل أكل الخبز في المنام على الموت بشرط إن عضد ذلك باقي قرائن الرؤيا وإلا فلا.

وعلى هذا فقس في أحكام شتى من أصل الرؤيا.

كما قالت لي امرأة: رأيت أربع تفاح، ثلاث منهن فاسدة والأخرى صالحة.

قلت: هناك ثلاث نسوة يأتين إليك وفيهن صفة سيئة مشتركة، ونخشى عليك منهن.

قالت: صدقت.

ودليله أن الرديء من الفاكهة تفسد التي بجوارها.



وأخرى مريضة تقول: رأيت تفاحة صغيرة الحجم في فرجي.

قلت: عليك بحقنة الخل مع العسل.

وآخر يقول: رأيت بيدي فاكهة الخوخ، وكنت أمام متجر الفقيه.

قلت: لعلك خائف مما تكتبه من علم، فاطمئن، واستعن بالله ولا تعجز، فالخوخ هنا دال على الأمان، فكان حاله كما ذكرنا.

وربما دل الليمون على اللوم على من دل عليه، ويدل على الدواء للمريض بالحرارة؛ لا سيما مرضى تهيج الدم، فإن الليمون مزاجه بارد يابس، وإذا مزجته مع الزنجبيل والكركم كان نافعًا لمن يشكو من ذلك، ويدل على حفظ الغذاء، فافهم ذلك.



المبحث الثاني عشر: صنوان وغير صنوان

نتعلم أن الثمار تفسيرها في الغالب يدل على فوائدها الصحية، من غذاء أو دواء؛ فتارة لورقها، وتارة لغذائها، وتارة للجمال بها، وتارة لطبائعها، وتارة للمجموع.

وربما استنبط منها الدلالتين معاً أعني دلالة حسية ودلالة معنوية.

ودالة على أناس فالذكر منها مذكر، والأنثى منها مؤنث، فالعنب والخبز مذكر، فكانت دلالة على الغلامين، فمن طلب ثمرة وكانت مليحة على غرضه أو بشيء منها حصل له ممن دل عليه تلك الثمرة من جليل القدر، أو من أحد أبويه، وذلك كونها من الشجرة، أو من زوجة، أو ولد، أو معلم، أو أستاذ، أو معيشة، أو ملك، أو من دابة، أو مملوك، أو بضاعة؛ ونحو ذلك، ودليل ذلك من رؤيا السَّجين وتأويل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإن كان الرائي أعزب تزوج لا سيما إن أكلها، وتكن صفة الزوج بقدر صفة الفاكهة ونفعها ومزيتها من بين الثمار.

وتدل على الحمل؛ فإن كانت في إقبال الزمان كانت فائدة من دلت الثمرة عليه قريبة، وإن كان في أوان سقوط الورق وبطلان ثمرتها فراحة ذلك بعيدة متأخرة على قدر ما بقي لظهور ثمرتها، ولعل زمن رؤيا السَّجينين كان في زمن حصاد العنب والحنطة، فيُفهم أنه ربما زمن العنب والحنطة في مصر في آن واحد.

ريحانة الربيع:

كما كان هناك إنسان لم يُرزق بذرية منذ تزوج، وكان السبب في ذلك عدم خروج أصل الماء الحيوي للقاح عند المعاشرة، وهذا ما يسمى في زماننا بداء صفر الحيوانات المنوية، **فقال لي**: رأيت شجرة أعرفها في قريتي، وكان على جذعها سهم



يشير إلى أعلى الشجرة وكانت ثمارها كالنجوم، وقلت في المنام: الوحيد الذي سيفتح لغز هذه الرؤيا هو الربيع. انتهت الرؤيا.

فقلت له: نصنع من ثمارها مركبا لك، فانتظرنا بضعة أشهر حتى أتى موسمها، وصنعنا له ذلك، فتناوله شراباً وادهاناً ولم يبرأ، فحزنت لأجله، ثم مكثت شهرا وأكثر أتدبر في الرؤيا ووجدت أن الثمرة شبيهة بهيئة ذلك الداء حتى قُذف في روعي أن أعتبر الشجرة بالجسد، فالساق دال على الأقدام، والسّهم شبيه بهيئة الحُقنة، ويكون ولوج ذلك المركب عبر حقنة شرجية لبضع ليال، فمزجت تلك الثمرة مع أعشاب من الطب النبوي وصنعت منها مركبا له، ففعل ذلك، فبرأ، حتى أنه كان يبكي من الفرح، والعجيب أني بحثت عن هذه الثمرة فوجدتها أنها من الثمار النادرة، ولم أجد لاسمها مكان في كتب الطب إلا في كتب أرباب اللغة، وهذا من فضل الله علي، حتى أنه انتفع منه الكثير من المرضى بهذا الداء الذي انتشر كثيرا بين المسلمين.

وقال لي إنسان: رأيت فاكهة نزلت من السماء إليَّ.

قلت: لعلك تنتظر إرث والدك وسيأتي عما قريب. **فقال:** صحيح.

ودليله أن الورث نزل بيانه من الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مفصَّلًا واضحًا جليًا، والوالد باعتبار على من دل الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليه، فتفطن لذلك.

ولما كانت رؤيا السَّجين الأول عنب كان مآله على صفته، وأما الآخر كانت تعب في أول وآخر حياته وذلك شبيه بالحنطة عند إعدادها حتى صارت خبزًا فأُكل فكان آخره نكد، وإذا تأملت لحياة يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فقد كانت أولها تعب ونصب، وكان آخرها راحة، وذلك من الشمس والقمر على ما تقدم بيانه في الجزء الأول، والله أعلم.



ومن الثمار المختلفة اعتبر الشيء باختلاف طبيعته، فالفاكهة الرطبة في المنام دالة على رزق لا بقاء له؛ لأنه يفسد، واليابسة رزق كثير باقٍ.

واعتبر الشيء الواحد باختلاف رائيه، فإذا ذهبنا على أن المعنى للخمر لرؤيا السَّجين الأول هو خمر فهنا الاعتبار باختلاف الأديان والعادات، كمن يرى أنه يأكل الميتة، فهي لمن يعتقد تحريمها مال حرام أو نكد أو رخصة للضرورة على من دلت عليه، وهي رزق وفائدة عند من يعتقد حلها، كما أن أكل الباقلاء الأخضر عند الصابئة: مال حرام، ونكد؛ لأنه محرم عليهم، لكون من يعظمونه كان يقول: مبدأي من نواره، وقوتي من أخضره، ويابسه مباح لكم، وجميع أهل الأديان كلهم رسموا عادات لأتباعهم ضبطًا لهم عن التعدي عن شرعهم، فصارت قائمة مقام الدين المشروع عندهم، ونحو ذلك فاليهود يحرمون لحوم الجزور، والمجوس يحرمون لحوم البقر، وبعض اليونان يحرمون لحوم الدجاج، والإسلام يحرم الخمر، فهذا وما أشبهه: حرام عند من يرى ذلك، وأرزاق وفوائد عند من يحلها.

واعتبر ألفاظ الناس بالنسبة إلى اصطلاح حال الرائي، كما تقدم ذكره من معنى العنب، فأهل عُمَان يطلقون عليه خمرا، ونعتبر ذلك وفق ألفاظهم، كما إذا دل البطيخ على النكد من بطاط، وهذا باطل أو خائن، وهو عند البعض دال على النكد من محبة وعشرة؛ لأنه بلغتهم حب حب، كما إذا دل الجوافة على آفة وجَوف وهي عند بعض أهل اليمن دالة على البركة وعلى الزيتون أو زيته؛ لأنها بلغتهم زيتون وعلى هذا فقس.

ويختلف باختلاف الأمراض فالحلو لمرضى الحرارة طول مرض ونكد، والحامض جيد لهم وهذا الدواء بالضد كما في اليقظة.

ويختلف باختلاف الأزمان، فإن شرب البارد في الصيف؛ رِزْقٌ وفوائد وخلاص من



شدة ونحوه، وفي الشتاء دل على نكد ومرض، وللمريض طول مرض.

ويختلف باختلاف الفصول، فإن رؤيا الساقي لعل ذلك كانت في فصل العنب، وكذلك الخباز في موسم ادخار الحنطة، فالشجرة في إقبال الزمان خير وفائدة مقبلة، وكذلك ظلها في زمن الحر، وتدل على النكد في غير ذلك؛ لأن إقبال زمان كل شجرة قرب انتفاع الناس بها فيما هي مرصدة له، فافهم جميع ما يمكن النفع فيها، فذلك إقبال زمانها، فمن كان يريد الحطب عن الشجرة اليابسة: راحة مقبلة مُيَسّرة، ولمن يطلب ورقها كورق العنب وقت ظهور الورق: فائدة مقبلة، وإن دلت قرائن الرؤيا على تخصيص ذلك الزمن فافعل ذلك وإلا فلا، كمن يطلب الفائدة بعلم الطب من شجرة ورآها في زمنها فعليه أن يتحرى في ذلك الفصل، ولمن يطلب ثمرها: فائدة وقت ذلك، وقس على ما ذكرنا في باقي الأحوال للمنام الواحد كاختلاف اللغة، واختلاف الموت والحياة وغير ذلك.



المبحث الثالث عشر: عُسر أو يُسر

ومن التعبير: إن كانت الثمرة سهلة التناول كان من دل عليه سهل قريب الراحة، وإن كانت صعبة أو لها شوك أو مرّة الثمرة أو تالفة الثمر كان من دل عليه بخيلاً أو شَرِس الخلق أو خبيث المكاسب، وكلما كانت أقرب للفم أو أكله كان ذلك قريب وقوع الحكم، والعكس كذلك، وقس ذلك في جميع الأحوال.

واعتبر غاية الرائي، فإن كانت غايته من العنب عصره وكان ناضجًا، أو الحنظل للدواء وشبيهه على ما قصده بلغ مراده، وهذا من رؤيا السَّجين للخمر، فإنه لا يُعصر إلا عند استوائه؛ وإن وجد خلاف ذلك كان رديئا.

كما قال لي إنسان: رأيت أني آكل عشبة الحرمل وكان طيب المذاق؟

قلت: اختلط مالك بمال رديء، وتجرعت ذلك بسبب عدو، وستُخرج ذلك الرديء وتكون حرًا من غير أن يقيدك عدوك، وعليك بالحرمل فهو دواء لك من مرض في بدنك، فجرى ذلك.

وآخر يقول: رأيت أني آكل تينًا مجففًا.

قلت: هل تشكو من ضعف في الدم؟

قال: نعم.

قلت: عليك به فإنه من الثمار النافعة لزيادة الدم.

ومن رؤيا السَّجين دلالة على أن الثمرة إذا كانت مجتمعة كالعنب والرطب ونحوه دل على فائدة ورزق هنيء، وكلما كان مفترقًا فرزق أتعب، فافهمه.



المبحث الرابع عشر: سجين حاذق في الرائحة والمذاق

حُبب للنفوس الحلو ولكثرة استعمال الناس والدواب له كان جيدًا في المنام كما كان محبوبـًا عند ملك مصر، وكان البارد الحلو محبوبـًا لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو رديء للمريض الذي لا تصلح له الحلاوة، وإذا زادت الحلاوة أو المرارة ونحوهما في المنام أو وجد مذاق ذلك عندما استيقظ دل على نكد، أو مرض، وللمريض طول مرض؛ والحامض رديء إلا لمن تنفعه الحموضة؛ لأن النفوس تنفر منه، والمر والمالح أولى بالرداءة إلا عند الضرورة وهما دواء أو عافية للمرضى.

وإن كان الرائي ينفر من الحلو فدال على نكد، أو مرض، وقس ذلك في اليقظة إن كان ينفر من العسل واللحم فدليل على أنه عليل.

واعتبر الريحة الجيدة أو الرديئة على نحو ما تقدم ذكره.

ولما كانت الرائحة والمذاق لهما مكانة من رؤيا السَّجينين وذلك مما رواه عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من تفسيره لجواب يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للسجينين كان لهما مكانة في علم الطب وعلم التأويل، ولعل يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان له باع في هذا العلم وكذلك أبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

جاء في "الصحيحين" من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ**».

ولما كان المؤمن الصادق غريبًا صارت الأترجة غير معروفة عند أكثر الناس، وصارت هذه الفاكهة من النُّدر في بعض البلدان، والمقصود أن المذاق والرائحة لهما دلالة في التأويل والطب، كيف لا وقد أدرك يعقوب ريح يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن بُعد وهو أعمى، ومن الحديث دلالة على معانٍ عدة وفوائد ملاح منها:

دال على أن الثمرة أحيانًا تُفسر بإنسان.

ودال على المذاق وكذلك الريحة لهما فاعلية عند أخذ الفائدة منهما.

ودال على فائدة طبية نفيسة أن المؤمن إذا ابتلي بمرض شديد زمنًا يكن دوائه بالضد كالحنظلة لمرضى البلغم بعد استفراغه بالسنا والسنوت، ونظيره لما كان المسك أطيب الطيب كما في الحديث حكمنا بأن ذلك نافعًا لمن يشكو من روح خبيثة.

كما قال لي إنسان: تكرّر عليَّ رؤيا أكل الحلوى، وعندما أستيقظ أجد مذاق ذلك ولا أسيغه.

قلت: أنت مريض وتسرف من أكل الحلوى فتزيد من الطين بله، فتوقف عن ذلك، وعليك بالمُريَّات مفردًا، ومن ثم السنا والسنوت، ومن ثم الحجامة، فكان حاله كذلك، وفعل بما أرشدناه فبرأ.

فإن سأل سائل: كيف أشرتم بالريحان إلى يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيما تقدم وفي هذا الحديث ذم على الريحان؟

قلت: يختلف التشبيه باختلاف المقصد؛ فقد جاء في القرآن الكريم ذكر الريحان على المحمل المحمود، وأيضًا لما كان المريض في الغالب علاجه بالمُريّات والحوامض كانت دلالة على أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان بارعـًا في الطب، فقد كان ريحانة وشفاء مما آل به حال أبيه يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من مرض الرطوبة بسبب



الحزن فعوفي، وذلك من قميصه، وكما هو معلوم أن مزاج الريحان حار يابس فيتوافق مع الرطوبة وذلك بالضد، والله أعلم.

كما قال لي إنسان: رأيت أني في سوق حنظل؟

قلت: جرى لك نكد في تجارتك وتشعر بالتعب عند عبادتك، وذلك بسبب عدو، فكان كذلك.



المبحث الخامس عشر: جدران السجن ذات ألوان

واعتبر ألوان الثمار إن وجد ذلك، فالعنب على تفاضل أحدهما على الآخر.

فالأبيض أفضل، ويُسمّى بالرازقي، فدال في المنام على رزق، أو زواج الأعزب، أو حمل للزوجة وذلك من ظاهره ومن حمله للعنقود ونحو ذلك، وربما دل على مرض البلغم أو الصفراء.

والأسود منه دال على ما ذكرنا إن كان ممن اعتاد عليه، وربما دل على السوداء، وقس في الأحمر، وربما دل على الحمراء، أو كان علاجه من ذلك، ولا نحكم بالدواء على الإطلاق إلا إن كان يشكو من ضر محسوس، فهذه دلالة طبية، وأما الدلالة المعنوية فهي نحو ما تقدم ذكره.

مثال مليح: الموز الأصفر: يفسر الموز ولا يفسر اللون، والموز الأزرق يفسر اللون ولا يفسر الموز لماذا؟

الجواب: لأن الأصل في الموز لونه أصفر، فالموز هنا رمز أصلي، واللون رمز فرعي، لكن إن رآه في المنام أزرق اللون فهنا الموز رمز واللون رمز أيضـًا.

ونعبّر أصل اللون عندما يكن ملفتـًا في المنام مثال: رأيت موزة شديدة الصفرة، أو حليب شديد البياض، فهنا نعبّر بذلك الشيء المميز، فهنا يكون اللون خرج عن الطبيعي، ووقع وصف مدح، وقد تفسر امرأة صفراء طبيعتها ولا نعبرها بالسعادة أو بالمرض إلا إذا كانت تشكو من ضر محسوس، ولتفسير المثال السابق فقد يدل على امرأة شديدة الجمال ونحو ذلك، وأما اللون الأزرق فنفسر اللون على تلك المرأة، فالأزرق أحيانـًا يدل على أن أفعالها أفعال أهل الشر، فتفطن لذلك.



فالألوان الثابتة لا تفسر في المنام كمن رأى موزًا أصفر، أو حليبًا أبيض؛ لأنه في الغالب يكن الموز أصفر اللون، ولا يوجد حليب إلا ولونه أبيض، فالعبرة بالحليب وليس ببياضه، والعبرة بالموز وليس بصفرتها، لكن إن قال: رأيت حليبًا أحمرا أو أسود اللون، أو موزة زرقاء اللون، فهنا جاء شيء غريب ويجب أن يعتبر ولا يهمّش، وعلى العابر أن يتأمل في أحداث الرؤيا وزمنها وحال الرائي وسوف يصل إلى سر ذلك الشيء المختلف على طبيعته في اليقظة، فافهم ذلك.





المبحث السادس عشر: فاكهة بين أسوار السجن

تحدثنا أن الثمار أحياناً تدل على الرزق والفائدة فاعتبر من حال الثمرة أحكام عدّة: فالحجاب إن كان على ظاهرها فتلك صعوبة بقدر ذلك الحجاب، وقس ذلك في المذاق وغير ذلك، والثمار على أسوار مختلفة وهي:

الصنف الأول: على سور فالعنب والتفاح وأمثالهم رزق لا يصاحبه نكد في أوله حتى آخره لخلوها من حجاب على ظاهرها وخلوها من النواة وكون مذاقها حلوًا.

الصنف الثاني: على سورين فالحلو من الخوخ والبرقوق وشبههم رزق أولها سهل وآخرها تعب؛ لأنك تتوقاها خوفاً على أسنانك لئلا تؤذيها، ولمرارة لب نوائه، وتخشى أن تبتلعها أو تظل عالقة فيصعب ازدرادها، فهنا اختلاف على ما سبق ذكره وقس ذلك فيما يشبهها من الموز والفول السوداني والفستق واللوز فأرزاق أولها تعب وآخرها هنيء، وبعضها أتعب من بعض على قدر قوة حجابه، كقوة حجاب الحبحب ونحوه، فاحكم بما ذكرنا، وقد يكون للشيء وله حجابان كالجوز فحجابه: الأول: قشره والصفاق الذي في قلبه حجابه الآخر، لأنه لا يؤكل إلا بزواله.

الصنف الثالث: على ثلاثة أسوار كالرمان، يأتي أوله نكد ووسطه هنيء وآخره نكد؛ لأن أوله نكد لمرارة قشره، ووسطه هنيء لحلاوة حبه، وآخره نكد لمرارة ما هو نابت فيه، وأما البرتقال والأترج فأوله نكد لمرارة أوله، ووسطه رزق هنيء لحلاوته، وآخره نكد لحموضته؛ وقد يكون الشيء أوله هنيئًا، ووسطه نكداً، وآخره هنيئاً كالمشمش اللوزي.

وعلى ما تقدم بيانه قس ذلك على اللحم فالعظم تجده حائلاً بين ظاهره وباطنه،



فيكون أوله هنيء ووسطه نكد وآخره هنيء وليس بالقدر كما في أوله، وهكذا في باقي أعضاء لحم الحيوان.

واعتبر الصوت للثمرة عند أخذها فما كان له صوت عند أخذه أو كسره فهو مال بخصام، أو من رجل بخيل كونه لا يلين بسهولة، أو يكتم ما آتاه الله تعالى.

واعتبر مراحل حياة الرائي وسِنّه من الثمرة على ما تقدم ذكره، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نوح: ١٧]، فبما أن الله شبّه الإنسان بالنبات ومنه الثمرة فاعتبر بما تقدم ذكره من مراحل الأسوار على مراحل عمره أو رزقه من الثمرة أو الشجرة إن دلت عليه أو قصدها وحكمت بذلك، فمنهم يكن أول عمره رزق، ووسطه فقر، وآخر عمره رزق، أو أول عمره نكد، وآخره راحة، ومنهم يكن عكس ذلك أو كان أول حياته راحة، ووسطها نكد، وآخر عمره راحة، ونحو ذلك مما سبق بيانه.

واعتبر ظاهر جسد الرائي من ظاهر الثمرة، وكذلك في الباطن.

كما قال لي إنسان: رأيت نصف ثمرة.

قلت: اشتق من اسمها فلها دلالة لك، ولك من فائدتها الغذائية أو الدوائية، وهي دواء لأوجاع نصف البدن، وسنك في الثلاثينات؛ فكان كذلك، لأن أعمار هذه الأمة إلى الستين. فافهم ذلك.

واعتبر بما صار إليه كالشوك على الشجرة أو الثمرة دل على دماميل أو طلوع على من دل عليه، ودل على البخيل.

المبحث السابع عشر: سجين جنى فنجا

هناك فرق بين الثمار وبين نظيرها، من حيث الفوائد وثباته وغير ذلك، فإن أخذ أرفع مما هو عليه كانت معيشة دارة أو فوائد أو رزق أو تحول في صنعته، وإن أخذ ما هو أدنى فعكس ذلك.

وعلى العموم فمن أقدم في المنام على عمل أرفع من عمله دل على رفعة، وعز، وغنى، ومعيشة حسنة؛ ومن أقدم على عمل دون عمله دليل على النكد والفقر ومآل إلى أمر رديء، وقس ذلك في اللباس من أعلى البدن حتى أسفله.

ومن الآية المتقدم ذكرها نتعلم أن الرائي إذا جنى ثمرة من غير جنس أصلها كمن يأخذ الموز من العنب، والخيار من البصل ونحو ذلك فإنه من غير جنسه، فإن جعلته دواء فمن غير جنس ثمرته فحكمه مغشوشاً أو طول مرض، أو موت للمريض، وإن جعلته فائدة فمن بلاد من غير جنس منفعة ذلك البلد، وإن كانوا عساكر فمن غير جنسه، أو تزويج وولادة من غير النسب وذلك كونه هجين، ولكي نحكم بالخير أو بالسوء ننظر إلى القرائن فإن كانت رديئة؛ أي: كان الثمر تالفاً ونحوه دل على الحمل والولادة من الزنا، وإذا أخذ ثمرة من غير جنسها فإن كانت أكثر فائدة من ذلك فأرزاق ومعايش دَارَّة، وتدل على تحول صنعته إلى ما هو أرفع منها، كمن يرى أنه يأخذ من أصول التين زيتوناً أو تمراً أو رماناً ونحو ذلك، واحكم بالعكس لو أخذ الدون من ثمرتها أو شيئاً لا ثبات له، كمن يأخذ من أصول الزعفران وردًا طرياً ونحوه فإنه دال على عدم بقاء المعيشة في التي ينتقل إليها؛ لأن الورد كونه طرياً لا يطول في البقاء، وإن دل على الولد



كان قصير العمر، وإن دل على النكد فسرعان زواله.

كما قالت لي امرأة: رأيت ورد الجوري.

قلت: تراودين شاباً من غير بلدك بالمجيء ويجري منك جُور عليه لكونه رفض طلبك، فجرى ذلك، ودليله أن ورد الجوري هجين.

ويختلف أخذه للسائلات أو الزيوت بين الثمار وبين الحيوان، فإذا رأى أنه أخذ السائلات من الحيوان ولم يتلوث به فأرزاق، وفوائد، وخير ممن دل ذلك عليه، وإن تلوث أو تضرر به فهو نكد على من دل عليه، ولم يدل ذلك على الزنا، ولا الحمل منه، والفرق بينه وبين أخذ الثمار؛ لأن السائلات تؤخذ من الحيوانات كاللبن، والعسل من النحل، والماء، فتفطن لذلك.

وعلى هذا فقس في حال الشيء مع حال الرائي، وأعط بقدر ما يليق به.



المبحث الثامن عشر: بستان آخر

أعني بما يطلق عليها في عصرنا بالخضروات، وهي ما كان منها غذاء ودواء، كالبصل والثوم والكراث والباذنجان ونحو ذلك، فاحكم حسب أصول التأويل، وكذلك بفوائدها الصحية من غذاء أو دواء على نحو ما ذكرنا في الثمار، إلا أنها أقل رتبة منها.

ربيعية:

وهنا نكتب فائدة جليلة لأجل الغذاء والدواء، وربما كان لها صلة في تفسير الرؤيا وهي: كلما كانت الثمرة أرفع وأظهر للطبيعة كلما كانت أنفع وأطيب مما في جوف الأرض، وما كان على ظاهر التربة فهو أنفع من باطنها وبقدر ارتفاع الثمرة بقدر فائدتها، ودليله مما جرى من بني إسرائيل بتفضيل الرديء على الجيد، فالثوم والبقل والبصل من باطن الأرض كان رديئًا عليهم على لسان موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، **فإن قلت**: فما بال العدس فهو ظاهرٌ للطبيعة؟ **قلت**: لكنه في الغالب رديء على البدن كما عند أرباب الطب، ولعل جذوره له خاصية بجذب الرديء، وهو نافع لبعض دون بعض، وهكذا الحكم في أغلب الأغذية.

فإن قلت: كيف وقد سُمي بلحم الفقراء؟ **قلت**: قد جاء في السنة أن لحم البقر داء وألبانها شفاء.

ولما كان البقل والبصل والثوم وأمثالها سفلية، وعكسه العنب والرطب ونحوه علوية كان مآل الغلام الأول إلى فرج وعلو، وذلك بمجاورة الملك.

والخضروات شبيهة بالفاكهة من حيث الغذاء، فهي من جنسه، فمن ملك أو تحكم فيما يجمع شيئًا بعد شيء كالعُصْفر والمقثاة والباذنجان ونحوهم؛ فإن كان ملكًا



فجيوش، أو بلاد مترادفة النفع، وذلك للتاجر تجارة مكسبة، وللأعزب زوجة كثيرة الجهاز والنسل، ولأرباب المعايش معيشة دَارَّة، كل ذلك إذا ملكها أوان إقبالها، وهي في إدبارها أي في إدبار زمنها وموسمها عساكر مولية، أو تجارة خاسرة، أو معيشة بطالة، أو زوجة فقيرة أو لا نسل لها.

واعتبر لمن رأى حقل الفجل واللفت والخس والجزر والبصل وأمثالهم بتبديل الرديء على الجيد، ودالة على أرزاق لمن لا تضرهم لكنها غير مترادفة النفع، وذلك لأنه يؤخذ منها إلا للحاجة، وهي لمن لا تصلح له من المرضى؛ أي: لا توافق مرضه على طول مرض، وللمريض الذي تصلح له دواء.

وإن كانت دواء في الاعتبار فاحكم من ظاهرها فلها خاصيتها، وقس ذلك في ورقها، أو باطنها، أو زمنها، أو عددها، أو لبّها فله حكمه، ومكانها إن كانت على جبل أو سهل فله حكمه بأمر اختص به وغير ذلك مما يراد به في المنام حسب حال الرائي وعليك ألا تغفل عن هذا.

كما قال لي إنسان: رأيت أني في حمّام بخار، وكان يوجد جزر.

قلت: تشكو من أعصابك لا سيما الكتف، وعليك بالماء الحار مع الملح البحري فركًا، وعليك بعصير الجزر، فكان كذلك.

وآخر يقول: رأيت دكاني تبدّل إلى متجر خضروات.

قلت: تُبدّل تجارتك إلى عطارة وتتنكد من ذلك، فجرى ذلك. ودليله أن الخضروات عمرها قصير بخلاف الحبوب فعمرها طويل، فافهم ذلك.

المبحث التاسع عشر: الداء والدواء

نذكر بعض أدلة تحريم التداوي بالمحرّم قبل الحديث عن تفسير الأدوية في المنام، فقد عقد الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابـًا بعنوان: **تحريم التداوي بالخمر**. وذكر حديثًا عن علقمة بن وائل، عن أبيه وائل الحضرمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ طَارِقَ بْنَ سُوَيْدٍ الْجُعْفِيَّ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، **فَنَهَاهُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا**، فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ. فَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ**».

ومما يدل على تحريم التداوي به وإن كان لخاصية السُكر ما قد جاء في "الصحيحين" من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: سئل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن البتع، فقال: «**كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حرام)**».

وجاء في "البخاري" من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تردَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يتردَّى فِيهِ خَالِدًا مخلَّداً فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تحسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يتحسَّاه فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مخلَّداً فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خالداً مخلَّداً فيها أبداً**». والشاهد من قوله «**تحسَّى سُمًّا**» فكل ما هو حرام فهو كالسم على البدن، وإن كان المعنى له وجه آخر.

وفي الاعتبار احكم حسب معتقد الرائي في حكم ما تداوى به.

وأما شرب الأدوية في المنام للمرضى الذين يوافق مرضهم دال على العافية؛ كمن يشكو من الصفراء ورأى البنفسج أو ما كان باردًا رطبـًا ونحوه، وربما يأتي المنام نذارة كمن يتكرَّر عليه نبتة ونحوها.



وإن لم يوافق ذلك المرض دل على طول المرض، أو الموت بسبب اختلاف الدواء، وهذا يتطلب منك أن تتعلم الطب النبوي، فإن كل نبتة أو ثمرة تُقيّم على الماهية والنوع والاختيار والمزاج والقوة ومنفعته على أعضاء الجسد ظاهرًا وباطنًا.

وأما شربه للأصحاء فإنذار بمرض يحتاجون فيه إلى مثل ذلك، وقد يُخفى عليه مرضه أو يقع به في زمن قادم.

كما قالت لي امرأة عزباء: رأيت أن من يقول لي عليك بورق الفجل فهو دواء لك.

قلت: قد آتاك خُطّاب من قبل وترفضين ذلك، وتزعمين أنك لا تشتكين من علة.

فقالت: نعم.

قلت: عليك بورق الفجل وتذهب منك العلة التي خفيت عنك، لأن ورقه يُسهل.

وقال لي إنسان: رأى بيديه ريحان يصنع منه حقن.

قلت: تشكو من داء أسفل السرّة، وعليك بصناعة حقنة شرجية من الريحان، وإن كنت طبيباً تصنع دواء للمرضى ينتفعون به، لأن اليدين دالة على عمل الصنعة.

وكان هناك امرأة منذ بضع سنين لم ترزق بذرية فقالت: رأيت والدي المتوفى بيده غصن أخضر، وقال لي: اصبري.

قلت: عليك بعشبة الصبِر، وسترزقين بغلام، فجرى ذلك.



المبحث العشرون: مرارة السجن صارت حلوة

اعتبر كل شيء رديء إذا صار جيدًا، أو المر ونحوه إذا صارا حلوين، أو الريحة الرديئة إذا صارت طيبة دل على الأمن من الخوف، وعلى الأرزاق والراحات من حيث لا يحتسب؛ لأن الرديء والمر والحامض دال على الخوف والشدة بما لا يخطر على بال الرائي، فلما تبدّل ذلك تبدّل الحكم أيضًا، وهذا يسمى التأويل بالبدل، كمن يخشى من مُر عشبة الصبِر أو حموضة الليمون ووجد ذلك حلوًا كان دليلًا على الأمان، وصلح مع الأعداء، وصلاح الفاسد، وعودة الضائع؛ لأن الرديء صار بحكم المفقود، ودل على زوال الشدائد، فلم يخطر ببال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الفرج آتٍ عبر رؤيا الملك.

وأما الجيد إذا صار رديئًا، أو الحلو إذا صار حامضـًا، أو فسد بعد صلاحه، انعكس جميع ما ذكرنا.

وقس ذلك في كل الأحوال على حسب كل إشارة لها دلالتها.





المبحث الواحد والعشرون: طب مصر من السجن

إذا كان الدواء جيدًا وذلك من قرائنه؛ دل للمريض على العافية ويكون ذلك من أرض الدواء، أو مما نُسب إليه، أو وسمه؛ كمن يرى أن علاجه التمر ونحوه ورق النخل فيكون للمريض دواء إما به أو عبر إنسان ممن دل عليه النخل كأرض الحجاز ونظيرها، وإن جعلناه في مكة ربما كان الدواء بماء زمزم، أو بالسنا المكي أو على يد طبيب من أهل السُّنة ذاع صيته ونحو ذلك، وإن كان مريضًا بالحرارة ورأى خيار سنبر كان على يد طبيب من مصر لكونه اشتهرت به، وإذا رأى المريض أنه في مصر دل على الأمن والعافية، وربما دل على السفر إلى مصر للعلاج، وذلك أنها اشتهرت بالطب في زماننا.

كما قالت لي امرأة مريضة: رأيت قبل بضع سنين أن علاجي على يد الربيع العابر، ولم تكن تسمع عن هذا الاسم، ولم يكن الربيع في ذلك الوقت طبيبًا أو عابرًا للرؤيا.

قلت لها: تفسيرها على ظاهرها وأرشدتها إلى السنا والسنوت.

وقال لي إنسان: رأيت الربيع في مجلس على كرسي وكنت جواره.

قلت: أنت تشكو من مرض قد أضر بك لا سيما في القُبل، وتُشفى بإذن الله على يدي، فكان حاله كما ذكرت.

وربما يأتي الدواء بحال مغاير.

كما قالت لي امرأة: رأيت على يدي ثعبان ألعب به أمام زوجي، وكان يخاف منه.

قلت: عرضتي له دواء نافعًا لداء به ورفض تناوله.

فقالت: صحيح.

وأما إن رأى أنه يشرب دواءً وظن أنه نافع له وظهر خلاف ذلك كان عليه تركه كمن يشكو من داء السكري وتناول عُشبة الصَّبِر، ورأى في منامه أو تكررت كأنّ بشرته صفراء اللون ونحو ذلك، نقول له: توقف عن ذلك؛ لأنك تشكو من اليبوسة، ولا يصلح له ذلك، ودليله أنه حار يابس؛ وإن كان معتادًا على دواء في اليقظة، ورأى أنه يشرب دونه نقول له: تمرض في بلد وتطلب الدواء المعتاد فما تجده، والمقصود المرجعية لما اشتُهر به ذلك الشيء.

كما قال لي مريض بعد أن سافر إلى الهند لأجل الدواء: رأيت أني أتناول دواء البيت الجديد.

قلت: أدوية الهند لن تنتفع بها، وعليك أن ترجع وتتناول ذلك المركب من الطب النبوي، فكان حاله كذلك.

وكان هناك امرأة: لم ترزق بذرية وبعد أن تناولت ذلك المركب رأت أنها تناولت دواء شبيه بدواء تناوله خالها للحمل فرزق بغلام.

قلت: هذه بشارة بحمل بعد تناولك لذلك المركب، وليس المعنى أن تأخذي كدواء خالك، فافهم ذلك.



المبحث الثاني والعشرون: ريحانة يوسف

واعتبر النبات كالزهر، أو المرج الخصب، أو الريحة الطيبة ونحوه بعلوم، أو أرزاق وفوائد، أو تجارة رابحة، وراحة وأمن.

وأنسب الرائحة، كما نحكم في الزهر من رجل فكاه، أو عطار، أو من يتعاطى بيع الطِّيب وصنعته. ومن المروج دل على يد فقيه أو علم نفيس، أو طبيب، وربما دلت عصارة الثمرة من عصَّار، وربما دل الخبز على يد خباز ونحو ذلك، وإن كان من عسل النحل فمن مسافرين وأرباب البوادي ونحو ذلك، وربما دل الشيء على ما يقصد منه.

كما قال لي إنسان: رأيت أني ببستان منزل أحد المعارف، وكنت أحمل على باطن كفي زهرة النرجس وكانت ذابلة، وبجواري طبيب، وكنت أعاتبه لماذا لم يعتني بها.

قلت: تقوم برعاية ساكني ذلك المنزل، وتخلصهم من أمراض، ومنها أسحار نجاسة، وتهتم بإحدى النساء لكون مرضها شديد، وتؤتى خيرًا فيما تكتبه، وتُبتلى ويلهمك الله الصبر، وذلك لأن النرجس ينبت من بصل، وأما صديقك فيحصل له نكد، فافهم ذلك.

الفلفل الأسود: دال على فوائده الصحية غذاء أو دواء، على العافية لمرضى الأورام، وعلى رجل أسمر اللون حار الطبائع، وربما كان من بلد الهند وغير ذلك من الدلالات، وتخصيصه بشيء مرهونًا من أحداث الرؤيا وحال الرائي، وأعط بقدر ما يليق به.

إكليل الجبل: دال على فوائده الصحية، وهو دواء للمريض، شربًا، أو حقنة من زيته لمرض البواسير، أو فركًا، ومن هيئته نافع للرأس وما فيه، ويدل على رجل نافع، وثبات.

المبحث الثالث والعشرون: جَنَس في السِجن

ومن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قول أبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ ﴾ [يوسف: ٨٤]، ولما كان لفظ (داء) له اشتقاق من لفظ (دواء) كان ذلك دلالة طبية نفيسة، ولما صار العنب لدى الساقي ناضجًا في السِّجن قام بعصره، فعند أهل اللغة: جَنَس الثمر: أي نضج كله، وكأنه جِنْس واحد، وتجد في رؤيا السَّجينين ثلاثة أجناس أو أضرب.

والمقصود: نحكم اشتقاقًا ونحوه في غالب الأشياء، ونستنبط فوائد مليحة نادرة نافعة للعباد، فكما قالت العرب: (**ولكل شيء من اسمه نصيب**) وهذا يتطلب لحاذق ماهر.

ومن ذلك فإن العنب دل على العناء للساقي، وكذلك ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، واشتقاقًا: عناء أب، وهو ما جرى للأب يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما طال الغياب.

كما قالت لي امرأة: رأيت خالي يُلقم ابنتي عنقود عنب.

قلت: ابنتك تشكو من البطن، وذلك من عُقد.

فقالت: صدقت.

ربيعية مليحة:

وإذا تأملت إلى اللفظة: سجن؛ دلت على: حبس، وهذا تصحيفًا، وهو أصل من أصول التأويل، وإذا حكمنا على عُشبة الصَّبِر تجد عند أرباب الطب أنه دواء لداء البرص، والبصر، وخذ من البردقوش لداء البرد، وخذ من السدر لأعراض الحسد



على البدن، ولما أُطلق على الأعمى أكمه كان له دواء من جنس اللفظ وجاءت به السنة النبوية ألا وهي الكمأة، وخذ من نكد اللّسع علاجه بالعسل، وخذ من عشبة الصفصاف لصفاء البقع الداكنة في ظاهر البدن، وذلك من مادة الجلي عندما يكن رطبًا، وفي المنام خذ من البطاط والرطب طب ومطبوب، ومن اللوز زوال لتلك الشدة، أو مما شابه اسمه، ومن لبان الذكر لمن يشكو من ذاكرته أو من ذكره، والثوم له نصيب لداء الجرثومة، ورأس الثوم لمن يشكو من صلع رأسه، وقشره لمن يشكو من قشر رأسه، ولما أصاب البياض في بصر يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأدرك ريح يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعوفي من قميصه كان الريحان نافعًا لمن يشكو من بصره، ويجلي فساد ما خلَّفه الحزن والضيق من أخلاط فاسدة. وفي المنام لمن أكل الريحان إن كان عالمًا فدال على الرياء، وللمريض عافية، وللخائف خير. والياسمين دال على اليأس والمين أي: الكذب، وفي اليقظة لما كان نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كالقمر وسُحر وسُمِّم في ساعد الشاة سارع إلى الحجامة، وقد خصّص في بعض الأحاديث أن تكون في يوم السابع عشر، أو التاسع عشر، أو الواحد والعشرين، وذلك أن الدم والبحار تتهيج في هذه الأيام، كما ذكر بعض أهل العلم، وصلة ذلك بالقمر لحكمة أرادها الله تعالى، ومن حديث الحبة السوداء علاج للسوء والداء، وإذا مزجت بالعسل بعد دقها كانت نافعة لمن يشكو من الحساسية والسواد في بشرته، وأمعن في داء ذلك العضو أو من اسمه مما يوافقه من هيئة تلك النبتة أو من اسمها، فتفطن لذلك موفق إن شاء الله تعالى، واعمل بها فهي توافق لغة كل مكان وزمان أو كما عند أهل اللغة مما ذكرناه من فوائد وفرائد في اليقظة واعتبارًا للمنام، وهذا أصل مليح لن تجده فيمن سبق ولم يُدَون مثله في زماننا حسب علمي، وهذا من فضل الله علي، فعليك به، وأمعن قبل الخوض في ذلك، وستدرك لآلئ مختلفة طيَّاتها، والله أعلم.



المبحث الرابع والعشرون: الخبز في المنام

ومن دروس الثمار فاليابس منها دال على أرزاق وفوائد، كالزبيب والتمر، وحبوب الحنطة كالقمح والشعير والأرز، والبقوليات كالفول ونحوه والحمص، وهكذا في الدهون كدهن السمسم، والسائلات كالزيت ونحوهم، وقس ذلك في النبات، وكلما كانت الثمرة أكثر ثباتـًا كان أكثر فائدة بخلاف البصل والثوم وأشباهها، وهكذا قس في المعادن كالحلي والمجوهرات فالذهب أكثر فائدة من الفضة، والفضة أطول بقاء من الأحجار الكريمة، وأفضل من النحاس، وعلى هذا فقس.

ومن ملك أو عنده من التبن والحشيش ونحوه مما هو مطعم للدواب فأرزاق وأموال لكونها تأكله فيصير لبنـًا وسمنـًا، ولحمـًا وشحمـًا، وجلودًا وسمادًا من زبلها ينتفعون به.

وقس في جميع الثمار أو النبات إن أكله أو ملكه دل على الرزق أو النكد حسب ما تقتضيه قرائن الرؤيا، ومصير ذلك على قدر مجيء تلك الثمرة وبُعدها، فكلما كان اليابس من الثمار معدًا كان أفضل وقرب مجيئه، وكلما كان تجهيزه وتهيئته يحتاج إلى زمن كان مجيء ذلك بحسب ما يحتاج إلى ذلك من الزمن، ولما كان الخبز ناضجًا في رؤياه كان وقوع الحكم عاجلًا، فافهم ذلك.

واعتبر الخبز بالرزق الهنئ والرغد والمعيشة الحسنة، وعافية المريض، وربما دل على البيضاء، ويدل على الزوج، والولد، والأم، وعلى الجسد، وعلى الأرض ونحو ذلك، وأما الأسود منه فعكس ما ذكرنا، وإذا لم ينضج في المنام دل على نكد، ومرض، وهموم ونحوه، ويدل الخبز على العلم والإسلام؛ لأنه عمود الدين، وحياة النفس،



ويدل على الأموال وهكذا قس في شبيهه من اليابس من الثمار، ويدل على الخصومة وكلام وشغب؛ لأن صنعته على النار، وإن كان الخبز غير ما يشتهيه الرائي كان إلى نكد، وضيق في العيش وعلى هذا فقس في مختلف الأحوال وأعط بقدر ما يليق به.

كما قالت لي امرأة: رأيت أني أخبز وكان مليحـًا.

قلت: تحملين بعد ثلاث، فجرى ذلك.

وأخرى تقول: رأيت أني أخبز ولكن كان يسقط في التنور.

قلت: تصلحين زوجك ولا ينفع معه ذلك، ومصدر رزقه رديء، وتحصل خصومة منه، فجرى ذلك.

وربما دل الخبز على الخبر، وهذا يسمى تأويل بالتصحيف، فقد أتى للسجين خبر صلبه.

ومنه قوله: ﴿خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ [يوسف:٣٦] فإن الجوارح غالبـًا غذاؤها اللحم، وكما أن الإنسان كالنبات فصار حال الخبز الذي يستخلص من النبات كحال جنس الإنسان معـًا فصار الأكل عليه.

والبعض اعتبر رؤية الخبز دالة على الموت في جميع الأحوال، ولعل هؤلاء استدلوا بما جرى للسجين الآخر، وهذا ليس على العموم، فإن المتأمل في رؤياه يجد قرائن رؤياه دالة على نكد وتوافق حكم يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك من الحمل، ولكونه فوق الرأس، وأكل الطير، وقد تحدثنا أنه ما من رمز في الرؤيا إلاّ وله تأويل إما خير و إما سوء إلاّ اللواط فإنه عندما كان هذا العمل مخالفـًا للطبع والشرع ومخالفـًا عند الحيوان وعند الشجر في حال اللقاح كان هذا العمل تأويله في الغالب رديئًا، ويصب جملة إلى السوء، وقد زعم قوم بعد تجربتهم في حيوان الفأر أن جينيات الفأر تلائم مع جينيات



الفأر الآخر، وهذا من أقبح ما سمعت، وهم كاذبون فيما يدعون، وإن كان صحيحاً فهم أقبح من الفاسقة، وقد أُمرنا بقتلها.

وكما تكلمنا في الحلو والحامض قس ذلك على المطعم، وهو على وجهين:

فالأول: الحلو خير ورزق، إلا المريض فإنه مضر، وذلك لكونه لا ينفعه، فدل على طول مرض، أو إشارة له بأنه مريض إن كان لا يدرك ذلك.

والآخر: الحامض ونحوه المُر فإنه رديء إلا لمريض ينفعه المر أو تنفعه الحموضة فهو جيد له.

ومنها ما يؤكل بنار، ومنها بغير نار كالعسل والرطب وشبهها فأرزاق وفوائد على ما تقدم ذكره، وأما التي لا تؤكل إلا بالنار كالخبز واللحم وما أشبه ذلك فإن أكل قبل نضجه أو قبل استوائه دل على ما تقدم ذكره من الوجه الرديء، ويدل على الندم، والديون وبيع المتاجر قبل وقتها والخسارة ونحو ذلك، ويدل على الخصومة.

وأما تحول المأكول في المنام فاعتبر أصل المأكول وما يصير إليه.

واعتبر بما اعتاد عليه الرائي من المطعم والمشرب فإن اعتاد عليه في اليقظة وهو جيد في المنام فخير، وإلا فلا.

كما قال لي مريض: يتكرَّر عليّ رؤيا الأكل لا سيما لو تناولت دواءً فتأتي الرؤيا على إثره.

قلت: يتجدد عليك المرض في حال نومك، فإذا أتيت مضجعك وأتيت بأذكار النوم فكرّر، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام:١٢١]. الآية، فقام بذلك وذهب عنه، وهذا الدواء بالضد، وكما قلنا: إن أصل الدواء بالضد، فافهم ذلك موفقاً إن شاء الله تعالى.



المبحث الخامس والعشرون: حِمل وحِلم في السجن لأجل العلم

ومن الدروس: نجد اللفظ: (حمل) أي: حَمَل الشيءَ يَحْمِله حَمْلاً وحُمْلانـًا فهو مَحْمول وحَمِيل، واحْتَمَله.

ولما كان الحمل ثقيلا على الروح، وكذلك على البدن دل على خير أو سوء على ما دل عليه المحمول.

فإذا كان المحمول حسنًا كالعلم فإن العلماء حملوا هذا الدين وهو خير لهم، وذلك لهداية العباد، وهي خيرية محضة، ومنها الرفعة في الآخرة؛ وقد ضرب لنا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحسن الأمثلة في الحِلم والحمل، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق بيانه، وابتلي نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أشد البلاء وحُمّل ما لم يتحمله غيره حتى إنه كان يوعك وعك الرجلين، فحمل هذا الدين حتى أظهره الله، واختار له صحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وهم خيرة أهل الأرض ليبثوا هذا الخير العظيم، فهذا كان حالهم وحال بعض رُؤاهم حتى توفاهم الله تعالى لكي يكون حالهم ورُؤاهم مدرسة للأجيال.

وكان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في الحِلم والصفح أفضل الخلق بهذه الصفة، بل في كل الصفات الحميدة، وليس هنا بسط ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] فكان خلقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ القرآن الكريم.

وإذا كان الحمل في صفة رديئة كان مآل ذلك إلى نكد، كحال اليهود عندما أعرضوا عن العمل فقد شبههم الله بالحمار يحمل أسفارًا، فبئس المثل فيهم، وبئس القوم هم، ونظيرهم في العالم الذي ينسلخ من بعد الهدى، فقد شبَّهه بالكلب في حال حمله أو دون ذلك، نسأل الله السلامة والعافية.



ويقاس على ما ذكرنا في التأويل فالحمل دلالة على الخير أو السوء حسب حال رائيه وحال الرؤيا وزمنها.

ولما أقدم السَّجين الآخر على عمل رديء للملك كان مآلُ ذلك إلى صَلْبِه، وقرائن ذلك من حمله للخبز فوق رأسه والطير تأكل منه، فإن الجوارح لا تأكل إلا في مكان عاليًا وثابتًا، وهنا قاعدة الاعتبار بالجوار، كمجاورة الخبز للرأس، وكذلك الطير فوق الرأس فغالبًا طعامه من اللحم؛ لأنه من الكواسر، ونحوه اعتبر الصغير بالكبير، أو الجزئي بالكلي، أو الفرع بالأصل ونحو ذلك أو العكس، وقياسًا بالبدن اعتبار السمع أو العين بالكلى، والخد بالبطن إن كان الأيمن فالبطن الأيمن، وإن كان الأيسر فالأيسر، ودلالة الفم أو الأنف بالقُبل، ودلالة الأسنان أو الرأس بالمعدة ويقاس ذلك في الدلالة الطبية للمريض، وهذا فصل مليح نفيس عليك فهمه، ودليله من حال السَّجينين، فتفطن لذلك.

ومن رؤياه يُستدل على اعتبار موضع الحمل والمحمول وفق حال رائيه، ولنتحدث عن الحمل الباطن:

حَبل المرأة: دال على زواج العزباء، وللحائل حمل، وللحامل ولد، ويدل على المرض، وقد كثرت رؤىٰ الحمل في زماننا، وذلك من الحِمل الفاسد في الأبدان بسبب ترك الطب النبوي، ومنه عدم القيام بأصول الاستفراغ.

كما قالت لي امرأة عزباء: رأيت أني حبلى، وتكرّر عليّ ذلك؟

قلت: أتاك الخاطب تلو الخاطب ولا يتم ذلك، وتشتكين من وجع في الرحم.

فقالت: صحيح.

قلت: عليك بالتحصين واستفراغ البدن بالمسهل والقيء.



ومثل حالها يتسرع بعض المعبرين فيعبّرها بالزواج، وتظل تنتظر ذلك سنوات، ولا يقع ذلك إلا في النادر، وإن جرى الزواج فإنه لا يمكث طويلاً فينشأ من ذلك خصومة بين الزوجين، وذلك بسبب التقصير أو لأن المادة الفاسدة في البدن حائلة بينهما، وأحيانـًا تكن هذه المادة بسبب عارض.

وأخرى مثلها ولكنها متزوجة.

قلت: لم تنجبي منذ تزوجت أليس كذلك؟

قالت: بلى.

قلت: لأن هناك مادة حائلة تمنع ذلك بعد أمر الله، وعليك بالاستفراغ، ففعلت، وحبلت.

وأخرى مثلها ولم تُرزق بذرية منذ بضع سنين وتقرأ سورة البقرة كل يوم، **قلت لها:** فاقرئي سورة النور كل ليلة، ففعلت وحملت بعد شهر.

وأخرى تقول: رأيت أني حبلى في الشهر السادس.

قلت: تحملين بعد ستة أشهر، ويحصل تعب عند الولادة، وذلك لأن البدن لم يستفرغ من قبل، فجرى ذلك.

وقس ذلك في رؤيا حمل التوأم للعزباء أو المطلقة أو الحائل، فإن وجد أحد الشرطين وهما تكرار الرؤيا أو ضر محسوس بالبدن فاعتبر بدلالتين، وربما كان مصدرهما واحد.

الولادة: دالة على خلاص الشدة، وفرج هذا إن جرى الطلق في المنام من دون صراخ، وفي مكان يليق به.

كما قال لي رجل: أن أخته قالت: رأيت أمي ولدت توأم ذكر، ثم قلت لأمي: معي

ستة إخوة، وصاروا ثمانية.

قلت له: زواج لها بعد شهرين، وإذا طال الأمر ربما حتى شهر شعبان، وذلك لأنه يعد الشهر الثامن من الأشهر القمرية، وقد مضى من عمر أختك ستة وثلاثين عاماً وثمانية أشهر، فهذا أحد التوأم من همَّها وغمَّها لدى الأم، والآخر ستحمل زوجته بإذن الله تعالى، وعليهم بدواء السنا والسنوت، وهذا تمام الآخر ليكونوا توأم، لأن حمل التوأم دال على هم وغم يتعلق بأمرين، وولادتها دال على خلاص من شدة، أو عودة غائب ونحوه، فهنا سيعود ما غاب من الحمل، وقدوم الخاطب بعد غيابه، فكان نحو ما ذكرنا، فافهم ذلك.

وقد تأملت في رؤىٰ كتب القدماء التي تم تفسيرها من قِبَلِهِم فلم أطلع على رؤيا لامرأة نحو رؤىٰ الحمل المتقدم ذِكْرُها وعبَّروها بالزواج حسب علمي، وهذا إن دل فإنما يدل على ذلك الزمن بزمن العافية والسلامة خلاف ما حلّ بنا، والله المستعان، وذلك بسبب بُعدنا عن الكتاب والسنة المطهرة.

حَبلُ الرجل: يدل على نكد، وهموم وغموم، وحزن، وعدو وسط داره، أو دل على الكلام الرديء في قلبه أو في ولده، والولادة كما تقدم ذكره.

كما قال لي رجل: رأيت أني ألد غلامًا.

قلت: هل كان هناك أحد جوارك؟

قال: نعم، أناس.

قلت: مهموم بديون لأناس من أرض، ويحصل لك الفرج بعد أن قمت بإصلاح النكد بنكد آخر. فضحك، **وقال**: صحيح.

ودليله: كان بجواره أناس، فدل على دفع نكد بنكد آخر، فافهم ذلك.

المبحث السادس والعشرون: باختلاف السن يختلف الحُكم

نتعلم أن رؤيا بني آدم تحتاج إلى تأمل وعدم عجلة في التأويل؛ وذلك لما يثبت فيها من القضايا المختلفة، ودليله من أمر السَّجينين بما يتعلق من أمر الجناية ونحوها.

فالرضيع حتى سن خمس سنين أو أربع دال على النكد ممن حمله أو اتصف به أو تحول إليه، ومن باب أولى الحمل للمرأة لا سيما العزباء؛ لأن فيه من التعب والرعاية وما يحتاج إليه من التكلفة فدل على نكد، وربما دل على خير ولكن بعد زمن طويل وهذا في النادر.

ومن لفظ الصغير دل على الصغار، والسِّجن والجنون، وأما إن كان أكبر من ذلك دل على قضاء الحاجة، والخدمة.

وننتقل إلى الكَمِّ والكيف: فإن كانوا أكثر مما لا عادة عليه دل على النكد والغرامة، وإن كان يليق به دل على الغلبة والقوة.

وأما مرحلة البلوغ دل على عدو.

وأما الكهل فإن ذا شيب فدل على وقار وخير، وإن كان سواد شعره أكثر دل على ما دل الصغير من الجهل بقدر ذلك السواد.

وأما الشيخ إن كان في صفة حسنة دل على قضاء الحاجة والجاه والعلم، ونحو ذلك، وإن كان في صفة رديئة دل على عكس ذلك، فإن بعض مما ذكرنا مستنبط من حال يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكما قالوا ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص].



المبحث السابع والعشرون: الرأس وما حوى

نتقل إلى دراسة الرأس وما فيه، وما يحدث فيه، وذلك من قوله: ﴿أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ [يوسف:٣٦].

فنبدأ من:

الرأس: والمتأمل لمجريات قصة السَّجين الآخر يجد أن الرأس دال على الرئيس للإنسان، والحاكم عليه، ونحوهما الوالدين والمعلم وغير ذلك، ويدل على الأخ، والولد، والصديق، وأعلى البيت وهو السقف؛ وذلك لكون الجسد كالدار، ويدل على المعيشة؛ وذلك لكونه قوام البدن، فإن كان حسناً حسن حاله على من دل عليه، وإن نزلت به آفة كما جرى للسجين أو قُطع تنكد أو فارق بمن دل عليه، أو فقر بعد غنى؛ لأن الرأس رأس المال، وإن كان مريضاً أو في حرب دل على الموت.

كما قال لي إنسان: رأى رجل أنه يحمل فوق رأسه لحماً.

قلت: يموت.

قال: نعم، لقد توفي بعد الرؤيا بأيام.

وآخر يقول: رأيت بندقية أطلقت على رأسي.

قلت له: هل أزعجك أمر يتعلق بأمك؟

قال: نعم، خبر وفاتها.

قلت: هذا تأويلها؛ لأن الرأس دال على الأم، فافهم ذلك.

الشَّعْر: إذا كان حسن فدال على راحة وعز وفائدة من زراعات؛ لأن الشعر شبيه به،



وإن كان عكس ذلك أو سال الدهن أو الزيت وتلوث به ثيابه أو وجهه أو كان الشعر طويلًا مغايرًا لليقظة، أو حلقه وهو غير معتاد لذلك دل على النكد والمرض، والهموم.

كما قال لي إنسان: رأيت أني أمشط شعري وكان فيه دهن مليح وأنظر للمرآة.

قلت: تتزوج بامرأة أخرى، وتجني خيرًا وأرباحًا من صنعة بما دل عليه الدهن.

الجَبْهَة: فحسنها تدل على جاه الرائي وغنى، وتمام فرائضه، وإن كانت سيئة جرى عكس ذلك.

الحَاجِبَان: يدلان على اثنين: إما ولدين، أو أخوين، أو الوالدين، أو غلامين، أو زوجتين ونحو ذلك، فما جرى فيهما من خير أو سوء عاد على من ذكرنا، والميامن ذكور والمياسر إناث، وهذا عمومًا على الأعضاء للبدن الذي فيهما اثنان، والحاجب يدل للملك على حجابه وعساكره، ويدل على ما هو فوق نافذة البيت، وقس ما ذكرنا في أهداب العين.

الأنف: دال على ما دل به الرأس، والحاجبان كذلك، ويدل على الزوج، والمال، والصنعة، فما جرى فيه من حسن أو قبح عاد إلى من دل إليه، ويدل على مواضع الريح، وبيت الراحة.

السمع والبصر والذوق والشم: فكل واحد منهم دال على العز، والراحة، والمكاسب، والفوائد، والأمن، والفرح، والغنى. فإن ذهب أحدهم: خشي عليه من مرض، أو سجن، أو شدة، أو نكد، كما أنهم إذا حَسُنوا، أو أحدهم: نال صاحِبه عزًا، وجاهًا، وخلاصًا من شدة، أو عافية من مرض، وربما دلت الأذنان على أصحاب الأخبار، والعينان على الجواسيس.

وربما دل الفم أو الأسنان على المعدة، فما جرى من خير أو سوء عاد عليه.

واعتبر ما ذكرناه قياسًا على البيت، فالفم والفرج ربما دل على الباب، والأسنان بأوتاد الباب، والعين بالنافذة وكذلك السمع، وربما دل الفم على القُبل، فما جرى فيها من خير أو سوء عاد على من دل عليه.

وأما ما بقي من أعضاء البدن فليس هنا بسطه.

كما قال لي إنسان: رأيت حاكم الإمارات أتى أناس من ورائه وكان عليه الهلع وعلى أنفه خدوش.

قلت: لعل ولايته لا تطول، ويذهب بلا عودة، ويحصل له من جهة لا تخطر بباله، فإن جرى ذلك فربما كان جزاء من يحارب دين الله مما قام به من البيت الإبراهيمي، وإنما هو بيت الفسق والضلال، وحكمنا عليه بما جرى لأبرهة الحبشي، وقد فعل مالم يفعله أبرهة.

واعتبر الحمل إن كان على الرأس فدال على رأس ماله، أو في أحد أبويه أو جاهه ونحو ذلك ممن دل عليه الرأس من خير أو سوء، وإن كان على عنقه دل على شيء في ذمته كالديون ونحو ذلك، أو جاهه وولده، أو في موضع أسفل البدن، وإن كان في صدره دل على معتقده، أو أمر يخفيه ونحو ذلك، وإن كان بين يديه دل على عمل قام به، أو كان في جوفه، وقس ذلك في الأقدام وغير ذلك من مواضع البدن، فما جرى من خير أو سوء عاد على من دل عليه، وأعط بقدر ما يليق به.

كما قالت لي امرأة: رأيت بدني يكسوه ذهب. **قلت:** أنت محسودة، وعندك تقصير.

فقالت: نعم.

وآخر يقول: رأيت على يدي قفل من حديد.

قلت: تشكو من ثقل في العبادة لا سيما عند صلاة الفجر، ومعطل عن السفر

والخروج، وتشكو من ساعديك ومعدتك.

فقال: صحيح.

قلت: عليك بالحقنة الشرجية من الدواء كونها شبيهة بمفتاح القفل، وسيلهمك الله فوائد ملاح إن كنت من طلبة العلم، فجرى له ذلك.

واعتبر بمن حُمل فوق النعش على الولاية، والعز والرفعة، والسفر، وغنى للفقير وزيادة فائدة للغني، والاجتماع بالأحبة، ولكن بالشروط المليحة دون قرائن رديئة كالصراخ والبكاء، أو سواد الوجه، أو اللطم وشق الجيوب، أو كان مكشوف العورة، أو ضحكـًا مكروهـًا، أو كان منتكسـًا وما أشبه ذلك، وقس ذلك في الصلب، وأما إن جرى شيء من ذلك دل على الفضائح، والأنكاد.

وإن عاد للحياة فدال على عرقلة المسافر، وعدم قضاء حاجته التي يسعى إليها هذا إن لم يصاحبه قرائن سيئة، أما إن كان عكس ذلك فدال على توبة المذنب، وزوال نكد ونحو ذلك.

وربما دل الصُلْب على مرض يقع في العنق كالورم والخانوق ونحوهما، وجميع ما ذكرت إن كان في صفات سيئة دال على ما تقدم ذكره.



المبحث الثامن والعشرون: النزاع في المنام

نتعلم تأويل النزاع قبل ذكر الموت، فالنزاع دال على خلاص من شدة، وتوبة الفاسق، وتجهيز المسافر والزواج، وعتق العبد، أو بيعه، وإسلام الكافر، والانتقال من دار إلى دار ونحوه، ويدل على المنازعة وذلك اشتقاقاً، والاجتماع بالغياب، وبما أن فيه خوفًا فيدل على خوف الآمن، وأمن الخائف وهذا بالقلب.





المبحث التاسع والعشرون: الموت في المنام

ولما جرى موت السَّجين الآخر وذلك من صلبه كان علينا أن نتعلم درس الموت في المنام.

فهو مؤكد لما دل عليه النزاع، ودال: على الزواج، والفقر، والسِّجن لكون الجسد مقيدًا لا يقدر على الحركة، وللصحيح مرض، وحاله كحال السَّجين قد مُنع من الحركة والخروج، وللمريض: موت، وربما دل على عافيته، ويدل على مرض الصرع إن عاش بعده في ذلك المنام، وعلى رمد العينين، وعلى التجهز إلى ملاقاة الأكابر لكونه ينتقل إلى الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فدال على الأكابر ممن دل عليه الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونحو ذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت جارتي المريضة كأنها مولودة بسن الشهر الأول؟

قلت: تموت بعد يوم، فجرى ذلك، وهنا قاعدة عددية فافهمها.

ولكي نحكم على محمل الخير أو النكد ننظر إلى باقي شهود الرؤيا، فإن كان في موته متوجهاً إلى جهة يعتقد أنها تقربه إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أو كان صورته حسنة، أو طيب الرائحة، أو أن حوله أرباب صلاح، أو نور: حصلت راحة للمسافر، وللمتزوج، وحسن خاتمة للمريض، أو عافية، أو سجن، أو ملاقاة الأكابر بكل خير ونحو ذلك، وإن كان خلاف ذلك حصل له نكد من ذلك.

وموت الأنبياء عليهم السلام في المنام دال على ضعف في الدين، وذهاب السُنة في ذلك الموضع، وحياتهم عكس ذلك، وموت الملك ضعف جنده، وموت العالم دال على إبطال حجة الرائي، وعلى ظهور البدع، وعلى هذا فقس.

كما قال لي إنسان: رأيت جثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في مركز محمد الريمي.

قلت: دُفنت السنة في ذلك الدار، وبزغت وعمَّت فيهم البدع والمنكرات.

وإذا كان هناك بكاء، أو نياحة، أو لطم الخدود، أو شق الجيوب ونحو ذلك فدال على نكد، وإذا كان عكس ذلك فدال على الخير ومآله حسن.

كما قالت لي امرأة: رأيت ابنتي المريضة أنها ماتت وكنت أصرخ، وكان هيئتها صغيرة؟

قلت: اقترب أجلها، فبعد ساعات توفيت.

فَحُكْم الخير أو السوء مرتهن بتلك الشروط المتقدم بيانها إن أتت قبل الموت أو بعده وفق حال رائيه، وذلك لكي تحكم حكماً صائباً إن شاء الله تعالى.

فائدة:

ما ذكرناه من الشروط الحسنة أو السيئة ومآل ذلك في حق الميت هي دلالات أحيانًا لأهله في اليقظة، وهذا من باب الظن وليس يقيناً، وذلك لمعرفة حال الميت في الدار الآخرة لكي يطمئن الحزين على فراقه؛ لأنه ما أتى من الموتى فهو حق مالم يكن فيه مخالفة، ففي الغالب تأتي رؤىً لأقارب الميت بعد موته بأيام وفيها دلالة إما أنه في خير، أو سوء عاقبة، أو يوصي بشيء لكي يقومون به، وربما دلت حالة المتوفى في المنام على حال رائيه.

كما قال لي إنسان: رأيت أمي المتوفاة أنها مريضة، وأنا بجوارها حزين على حالها.

قلت: حصلت لك شدة وحاجة في رزقك، وسيأتيك الفرج، وجرى كلام في عرضها في حياتها، فكان حاله كما ذكرت، وفرّج الله سبحانه وتعالى عنه.

وآخر يقول: يتكرَّر عليّ رؤيا والدي الميت منذ سنين وأرى أنه مريض، وبعدها تصدقت له.

قلت له: هل أنت تشكو من مرض قد أعياك؟

قال: نعم.

قلت: هذا تفسيرها وعليك بالطب النبوي، وربما بعد الاستفراغ لن تتكرَّر مثل هذه الرؤيا، فجرى ذلك.



المبحث الثلاثون: الاغتسال في المنام

واعتبر غسل الميت إن كان بماء نظيف بارد في الصيف، أو يُسخن في الشتاء: دل على الخلاص من الشدائد، وعلى وفاء الديون، وقضاء الحوائج، والزواج، وملاقاة الأكابر بكل خير.

وأما إن اغتسل بالماء الكدر، أو بالبارد في الشتاء، أو بالحار في الصيف: دل على الأمراض، والفقر، والنكد، أو السِّجن لكونه يتنكد منه فيمرض، أو زوجة رديئة، أو سفر رديء، وذلك لو أنه أراد ملاقاة الأكابر واغتسل بماء بارد في الصيف، أو بماء حار في الشتاء ذهبت منه الأوساخ، وكان في حلة حسنة لملاقاته فحكمنا بذلك بالخيرية، وعلى هذا فقس.

واعتبر لكل ملة ودين حسب عاداتهم ومعتقدهم في تجهيز موتاهم كحال السَّجين الآخر، فقد كان من عاداتهم صلب المذنب، وهذا التأويل بالمعتقد.

واعتبر الغاسل بالقَيِّم على الحمام، أو بتوبة المذنب على يديه، أو بالمعلم، فما حصل من خير أو سوء دل على ما ذكرنا.







المبحث الواحد والثلاثون: الكفن في المنام

وأما الكفن في المنام؛ فمن تَكَفَّن بكفن حسن دل على زواج الأعزب، أو غنى للفقير وذلك لكونه ارتاح من كدر الدنيا، أو اشترى دارًا لكونه سكن إليه، أو دل على الكسوة لكونه يستره، ويدل على تبييض جدران الدار، ويدل على عزل المنصب، ويدل على السِّجن، وأما إن كان الكفن رديئًا أو صدر منه رائحة كريهة، أو كان ممزقًا كان عكس ذلك، وربما دل على البلغم، وهو للمريض: موت.

كما قال لي إنسان: رأيت نباش القبور ينبش كل قبر حتى اقترب مني فرآني ثم ذهب.

قلت: يسلمك الله من سوء مما اتصف به نباش القبور كالسرقة ونحوها، ويجري ذلك على جيرانك، فجرى ذلك.

وآخر يقول: رأيت أخي مع صديق له، يذهبان إلى الجنوب، وكان هناك أكفانًا يحملها في يده.

قلت: أخاك وصديقه، يعملان لدى المنظمة التي تعمل على إفساد النساء والسفر بلا محرم، فكان كذلك.



المبحث الثاني والثلاثون: الدفن في المنام

وأما الدَّفْنُ فهو نحو أحكام الموت، فدال على موت المريض، -وأعني بالمريض هنا مع ما سبق ذكره هو الذي صار مرضه مستعصيًا أو مزمنـًا-، وزواج للأعزب، وسفر، وعزل الوالي، وفقر الغني، وللصحيح مرض، أو سجن، ويدل على الصندوق لكونه شبيه بالتابوت، ويدل للمرأة أيضـًا على مهنة تجهيز العرائس، ويدل على البيض، ولكي نحكم بالخيرية على ما سبق فانظر إن كانت القرائن حسنة كما لو كان القبر واسعـًا، أو خضرة حسنة، أو رائحة طيبة، أو ثوبـًا، أو مأكولًا حسنـًا، أو صورة حسنة ونحو ذلك كان عاقبة ذلك كله إلى خير، وأما إن كان عكس كذلك كما أنه إذا كان القبر ضيقـًا، أو فيه دخان، أو حيوان مؤذٍ، أو رائحة كريهة، أو وجه قبيح، أو ضربه منكر ونكير، أو احترق بنار، وما أشبه ذلك كان رديئًا؛ فإن كان موتـًا كان حال الميت إلى العذاب، وإن كان سفرًا فليؤخر سفره أو قطع عنه ذلك، وإن كان مرضًا كان مرض مؤلم، أو موت.

كما قال لي إنسان: رأيت أني مت غرقـًا؟

قلت: جرى لك نكد من بعد زواجك وسفرك.

فقال: صحيح.

قلت: ولعلك ترزق الشهادة، والله أعلم، فافهم ذلك.





المبحث الثالث والثلاثون: الحفر في المنام

وأما حكم الحفائر إذا وقع فيها فحكم ذلك حكم القبر، إلا أنها أهون منه.

وأما إذا حفرها ليؤذي بها إنسانًا، أو في مواضع تؤذي الناس، أو في منافع الناس دل على من قام بذلك بإنسان رديء، وذلك بسبب قيامه بذلك، ودال على الخديعة والمكر يجري في حق الفاعل، فالجزاء من جنس العمل، وكما في المثل: **"من حفر حفرة لأخيه وقع فيها"**، وربما دل على من سقط فيها على مرض تعطيل الزواج، والحمل، والعبادة، والسفر، ويدل على وجع في الأقدام، والأمعاء، والضيق فإن كان كذلك توجب عليه أصول الاستفراغ، وهذه دلالة طبية حِسِّية إن كان يشكو من ذلك، ونحوه إن كان الفاعل مجهولًا.

كما قالت لي امرأة: رأيت أني في حفرة، وكنت أستغيث برجل ليمد يديه لمساعدتي، وكنت أجذبه إلى الحفرة وهو يتمسك بحافة الحفرة بقوة من أجل ألا يسقط، وما استطعت على جذبه.

قلت: جرى لك خديعة من إنسان من قبل أن تعلمي بهذا الرجل، وتظهري له طلب النجدة ظاهرًا، ولكن باطنك خلاف ذلك لكي يقع وما استطعت، فكان كذلك.

وعلى نحو ما سبق بيانه فقس في رؤية أشراط الساعة، والصراط المستقيم، والجنة، والنار، والله أعلم.





المبحث الرابع والثلاثون: الطير

تأملت في رؤيا السَّجينين وبحثت عن صلة بين الثمار والطيور فوجدت رابطًا حسنًا وله صلة أيضـًا برؤيا الملك من السبع الشداد؛ ألا وهي أن الطيور إذا اختفت من بلدة فإنها دلالة على جائحة قادمة من جفاف أو وباء ونحوه، فينتج عن ذلك فساد في الثمار والأبدان، والله أعلم.

واعلم أن للذنوب حرارة على الروح والبدن والأرض، فإذا طغت ارتفع دخانها إلى السماء، فيحصل على إثر ذلك حوادث كونية بعد أمر الله، فيتولد على ذلك تَغَيُّرَاتٍ في الطبيعة، فيتنكد من وراء ذلك الإنسان والحيوان والنبات، وذلك بأوبئة ونحوها، وهذا كله بأمر الواحد الأحد، نسأل الله السلامة والعافية.

يقول الإمام الشافعي: ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع.

نأخذ منه بما يوافق علم التأويل، فكما في حديث «**الرُّؤْيا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ**» [رواه أحمد، برقم: (١٦١٨٢)، وأبو داود، برقم: (٥٠٢٠)، وقال الألباني: صحيح]، فإننا نسعى لكي يقع الذي في قدمه، فيتطلب ذلك لعابر ماهر في الرمي، فإن لم يقع ما بقدمه فإنه لا محالة أن الطائر سينزل في مكان ما حسب ما يلائمه بعد أمر الله، ولكن قد تذهب معرفة أمور كان حري بالرائي أن يقوم بالعمل بها بعد تفسيرها الصحيح، هذا إن حكمنا بأن الرؤيا تقع سواء عُبِّرت أو لم تُعَبَّر، وشيخنا **العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول**: أن الرؤيا إذا لم تُعبَّر لا تقع إلا بإذن الله تعالى، وسيأتي الحديث عن هذا في موضع آخر وبما يتعلق عن صحة هذا الحديث.



ولما كان الدماغ مادة صلبة وهي جمجمة الرأس فكسره يحتاج إلى شيء حاد فجرى للسجين النكد عبر طير كاسر، وهذا الطائر شبيه بالظالم وقاطع الطريق لا سيما إن لم يجد طعاماً وشراباً، ولهذا فأهل مصر فيهم الخوارج، وقد اشتهرت بذلك لا سيما في عصرنا، كانت الخوارج كالطيور الكاسرة يتربصون بأعينهم عن بُعد للفتك بالحاكم إن لم يُؤتِ طعامهم، وهذا دال على ضعفهم وجبنهم؛ لأن مثل هذا الطير يخرج بغتة على الضحية، ولا يأكل إلا على شيء ثابت وبعيدًا عن الآخرين، وهذا يوافق حالهم.

والطير من الحيوان، وهو من جنس الطيور، وكل طير له صفته، وبما أختص به على ما تقدم ذكره في أصول الرؤيا، وهذا لكي تصل إلى تفسير دقيق صحيح بعون الله تعالى.

ولنتحدث عن الحيوان على وجه العموم من حيث المنفعة والمضرة، فهي على أربعة أصناف، وهي:

الصنف الأول: نافع في الغالب على الإنسان كالبقرة والخيل وأمثالهم؛ فالضرر فيه وجوده كعدمه.

الصنف الثاني: مُضِرٌّ في الغالب كالسباع والحيات وأمثالهم، فالنفع فيه وجوده كعدمه، ولما كانت النفوس تَحْذَرُ منه وكان في المكان الذي لا ينبغي لها كان دلالة على السوء.

الصنف الثالث: فيه نفع وضرر كالصقور والفهود وأمثالهم كأداة للصيد، فالمنفعة فيه هو اصطيادهم فذلك نفع، وأما الضرر فهو ما يبذله من قوت وكلفة وعناية لكي تقوم بمراد مالكها، وبقدر النفع منها يحصل ذلك، وبقدر ما يحصل من كلفة فيها يحصل

بذلك الضرر على ما ذكرنا.

الصنف الرابع: لا نفع فيه ولا ضرر كالنمل ونحوه فلا تهرب النفوس ولا تحذر منه ولا فائدة في بقائه فانتفى الخير والشر منه.

فمن رأى عنده من ذلك؛ أو مَلِك واحدًا؛ نَسَبْتَه إلى ما ذكرنا من الحُكْمِ لذلك الصنف وحسب ما سيأتي بيانه.

المقصد: واعتبر مقصد الرائي من ذلك الحيوان:

فالمسلمون مقصدهم من الجِمَال ركوبها وحَمُولها، ويأكلون لحمه ويبيعونه، بخلاف الحمير، فإنها للركوب والحمول والبيع ولا يؤكل لحمه.

واليهود والنصارى غرضهم من الحمير والجمال ركوبها وحمولها ولا يأكلون منها.

ومنهم من يأكله ولا يركب عليه، ويبيعه كالغزلان والغنم والخنازير، ونحو ذلك.

ومنهم من يأكل لحمه في وقت صحته ويمتنع منه وقت مرضه لكونه يضره.

ومنهم من يأكل لحمه ولا يأكل الناتج منه، كمن لا يأكل الألبان والجبن والسمن.

ومنهم من يأكل الناتج منه ولا يأكل الحيوان، كالنحل يأكل العسل منه وينتفع بشمعه ويبيع النحل ولا يأكله، ولذلك قلنا ما انتفع به بنو آدم حتى يشمل جميع ما ذكرنا.

الجهة: واعتبر جهة الحيوان من أربع جهات وهي: البلد، والبر، والهواء، والماء، كالبقر فهو من جهة البلدة، ونحوها الجواميس من البلدة، أو البر كبلد مصر والسودان وذلك لتواجدها في تلك البلدان، وهي أرفع مرتبة من البقر لكثرة درها ولبنها، والحيوان الهوائي والبري المعد للإقامة عندنا كالطيور التي في الأقفاص حكمها حكم الذين في البلد بخلاف من كان مهملاً في مكانه. فافهم ذلك.

ومما سبق ذكره فعليك أن تحكم على الحيوان في المنام على ركائز أساسية وهي:

(الصنف، أو صفته، الجهة، طباعه، مكانه):

فكل صنف من الحيوان له صفته وخاصيته به دون غير مكانه.

فالحيوان في المنام غالبًا يدل على إنسان، المذكر منها ذكر، والمؤنث منها أنثى، كما ذكرنا في النبات والثمار، وحيوان البر ربما دل على رجل من البادية والطرق، فما صدر منه من خير أو سوء عاد على من دل عليه وعلى هذا فقس، ويدل على المرض إن كان يشكو من ضر محسوس وخلت صفة الحيوان على أحد ما ولم يوافق حال الرائي فأعط من صفته على ذلك المرض، كمن يرى الأسد ولم تجد في حال المريض من اتصف بصفة الأسد كسيد الدار ونحوه، فيدل على الإصابة، وصفة ذلك العارض لعله سيد قومه من الجان أو حاكم عشيرته ونحوه، وإن رأى الرائي الخنفساء فدال على شيء من طبيعته، أو امرأة رديئة، أو على أحد اتصف به، أو حكمنا عليه بما اتصفت به الخنفساء، فإن لم تجد ذلك ووجدت الرائي يشكو من مرض فلعل مرضه بسبب إنسان اتصف به، أو دال على سحر مدفون لا سيما إن كان المكان معلوم، وعلى هذا فقس حسب طبائع كل حيوان، ولا تحكم بمثل هذا على كل رؤىٰ الحيوان، فلا بد من شرطين تقدم ذكرهما، فتفطن لذلك.

واعتبر المصير أو التغيير: فأعط لمن صار من حيوان على صفة ذلك الحيوان على ما يليق به؛ والتغيير: نظير ذلك إن تحول حيوان له إلى صفة حيوان آخر فأعط على ما يليق به.

وإذا دل الحيوان على الفائدة السهلة فرأى أنه تحول في صفة حيوان صعب المراس دل على التعب فيما دل عليه.

المبحث الخامس والثلاثون: المأكول من الطير

واعتبر التي يؤكل لحمها كالحمام والكراكي والقطاء وأمثالهم، فذلك لمن ملكها دال على الأولاد والأقارب والأموال والأملاك والغلمان والمعايش، ويكون ذلك على قدر كثرتها وقِلَّتِهَا، فإن جعلناهم من الأقارب، أو المعارف ربما كانوا كثيري السفر، وإن جعلناهم أموالًا فلعل المال والفائدة من الجهة التي منها الطائر، أو من دل عليه.

واعتبر الصنف الثالث لمن ملكهم ليصطاد بهم، فإن اصطاد بهم ما يؤكل لحمه، قضيت حاجته، أو ربحت تجارته، أو دَرَّت معيشته، وإن لم يصطاد بهم دل على عكس ما ذكرنا، فافهم ذلك.

الكَمّ والكَيف:

فالكَم إذا جعلت ما تقدم ذكره فائدة تقول للملك: تملك بلدًا، أو تمسك جليل القدر، وتقول للأمير البطال: خدمة وخير على قدر الطائر الممسوك، وتقول للتاجر: ألف دينار إلى ستة ألاف درهم؛ لأنها لها ستة أعضاء: رأسًا وجناحين ورجلين وذنبًا، أو مائة دينار إلى ستمائة درهم، وفي زماننا بالعملة الورقية بنحو ألف ألف من عملة بلدته وأكثر، وتقول للمتوسط مائة درهم إلى ستمائة درهم وهي بنحو ألف من عملة بلدته، وعلى هذا النحو، وأعط بقدر ما يليق به.

وهو للصعلوك المتوسط عشرة دراهم إلى ستون درهمًا بنحو مائة من العملة العصرية، وتقول لمن هو دونه وللصغير: دينار أو درهم بنحو أدنى من المائة وما أشبه ذلك من المتعامل في ذلك البلد.

وهذه القاعدة تحكم بها بعد معرفة حال الرائي وعُمْلَةُ بلدته، وإلا فالأصل هو

الدراهم والدنانير من الذهب والفضة، وأما هذه الأموال الورقية فهي من حِيَل اليهود للهيمنة في الرأسمالية ولن يدوم مكرهم وسيأتي اليوم الذي يتعامل به الناس حسب ما كان عليه القدامى، والله أعلم.

ومنها دلالة على طبقات الناس من رؤىٰ سورة يوسف، فمن رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نال الحظ الأكبر، وذلك من الطبقة الرفيعة العالية، وذلك كونه نبي، ثم رؤيا الفتيان تحكي حال الطبقة الضعيفة، وكان مآل أحدهم إلى خدمة الملك، وأما رؤيا الملك فهو من الطبقة الثانية، والذين هم بعد الأنبياء، وتعتبر بالوسطى من بعدهم، ودونهم أعني في عصرنا حيث لا نبي بعد نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يكن حال الملك من الطبقة الأولى، وهذه مراتب ثلاث قس بها وأعط بقدر ما يليق به.

وأما الكَيف فإن كانت أكثر في العدد على الفقير فدال على نكد، وإن كانت قليلة في حق الكبير كالملك أو التاجر فدال أيضاً على نكد؛ لأن ذلك لا يتوافق ولا يلائم ولا يتكيَّف مع حاله، وإن كان عكس ذلك فدال على ما تقدم ذكره من الخير.

وعلى هذه القاعدة قس في كل الأبواب.

كما قال لي إنسان: رأيت في داري أموالًا كثيرة.

قلت: جرى لك نكد من أهلك.

فقال: صحيح.



المبحث السادس والثلاثون: طائر الرائي

الطير في المنام وتأويله: فالطائرُ جَمْعُه: طَيْرٌ، كصاحب وصحب، وجمع الطير: طُيُورٌ وأَطْيارٌ مثل فرخ وفروخ وأَفراخ.

وقال قُطْرُب، وأَبو عبيدة: الطَّيْرُ أَيْضًا قَدْ يقع عَلَى الْواحد وقرأ ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران:٤٩]، وطائِرُ الإِنسان عمله الَّذِي قُلِّده، والطيْرُ أَيْضًا الاسم مِنَ التَّطَيُّرِ، ومنه قولهم: لا طير إِلا طير الله، كَمَا يُقَال: لا أَمر إِلا أَمر الله.

وقال ابن السِّكِّيت رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُقَال: طائرُ الله لا طائرك. ولا تقل: طير الله؛ وأَرض مَطَارَةٌ -بِالْفَتْحِ-؛ كثيرة الطير، وقولهم: كأَن عَلَى رؤوسهم الطَّيْرَ، إِذَا سكنوا مِنْ هيبة، وأَصْله أَن الْغُرَاب يقع عَلَى رأْس الْبعير فيلقط منه الْحلمة والحمنانة فلا يُحَرِّك الْبعير رأَسه؛ لئلا ينفر عنه الْغُرَاب، وطارَ يطير طَيْرُورةً وطَيَرَانا وأَطَارَهُ غيره وطَيَّرَهُ وطايَرَهُ بِمَعْنًى، وتَطايَرَ الشيء تفرق، وتطاير أَيْضًا طال، واسْتَطار الْفجر وغيره انتشر، واسْتُطِيرَ الشيء طُيِّر وتَطَيَّرَ مِنَ الشيء وبالشيء والاسم الطِّيَرَةُ بِوَزْنِ الْعنبة، وَهُوَ مَا يُتَشاءم بِهِ مِنَ الْفأْل الرّديء وفي الْحديث: «**أَنه كَانَ يُحِبُ الْفأْلَ ويَكْرَه الطِّيَرة**»، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ﴾ [النمل:٤٧] أَصله تطيرنا فأُدغم.

ومن التأويلات للطير في المنام دال على السفر، وطيران المريض بلا عودة دل على الموت، وهكذا لو خرج الطائر من جسد المريض أو من البيت أو مما اعتبر بالبدن لرؤيا المريض.

والطيران على شيء أو كان ممسكًا بشيء دل على فوائد وسفر وعلوم واطلاع على



أمور غريبة، وإما إن كان بدون شيء فنكد، وربما تكرار رؤيا الطيران دل على مرض الصفراء -أعني: المرارة- وهو زيادة في الحار اليابس وعليه بالاستفراغ.

كما رُئي لمريض: أنه كان في الطائرة.

قلت له: هل كان السفر إلى مكان معلوم؟

فقال: لا.

قلت: اقترب أجله، فمات.

وقالت امرأة: رأيت زوجة عمي المريض كانت في طائرة وجوارها الأهل، ولكنها كانت مكشوفة الرأس.

قلت: اقترب موت عمك، فجرى ذلك.

واحكم حسب أصول التأويل من الاشتقاق ونحوه على الطائر، وذلك من صفته وطبائعه واسمه وغير ذلك مما يلائم الحال كالهدهد هداية، ويدل على هد العامر، وطائر الكرك: ترك وتركيا، ومن طائر البجع صياد بالشباك، وعلى هذا فقس، فإذا عُرف الطائر فأعط رائيه حكم ذلك.







المبحث السابع والثلاثون: حُكم الطير

منه حلال ومنه حرام، فالحرام في المنام مثل ذو المخلب كالصقر والبازي والشاهين ونحوهم فدال على لصوص، أو قطاع طرق، من جهة الهواء والبر، وإن أكله الرائي فدال على مال حرام، أو غيبة ممن دل عليه، وربما دل على الرخصة في سفر، وخلاص من شدة.

وأما ما يأكل الجيف كالنَّسْر والرخم واللقلق ونحوهم فدال على ما تقدم ذكره، ودل على أناس معيشتهم من الحرام أو عين ترقبك أو في البدن، أو نازلة في النهار، وربما بشيء حاد ونحوه، وانظر من أين أقبل؟ وماذا جرى منه؟ ومكان ذلك؟ وربما جرح، وذلك من جوارح، أو كسر من كواسر، وعلى هذا فقس في الأحكام على باقي الطيور.

والحلال أصنافه كثيرة وسيأتي الحديث عنها.





المبحث الثامن والثلاثون: طائر مسجون

ولما كان القفص شبيه بالسِّجن كان كل حيوان هوائي أو بري في القفص تحت إقامة مالكه تحت الحكم وشبيه بالذين في البلد، ودل على الزوجة كونها تحت إقامة زوجها وبيتها شبيه بذلك، ودل على المسجون والأسير، ويدل على الجوار والأسارى ونحوهم ممن هو عاملًا مستجلبًا فهو تحت أمر سيد عمله، ويدل على الأولاد والأموال المخزونة، ومما ذكرنا لكونها تحتاج إلى كلفة وعناية، وإن ربط الطير، أو جعله في قفص كان ممن دل الطير عليه كثير الإقامة عنده، وإن طار فارق ذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت عصفورًا قد أصابه التعب وقمت برعايته في قفص حتى حسن حاله وكان جميلًا.

قلت: جرى منكم عناية على صغير كان مريضـًا ثم عوفي وصار مليحـًا وتخشون عليه من الآخرين.

فقال: صحيح.

واعتبر كل طير يُقَصُّ ريشه للنفع؛ أو لحسن منظره على الأموال، وذلك لكونه يباع ويُشترى، والناس ترغب به، وقس ذلك في ريش الأنعام المرغوب بها، ودل على النبات لكونه نابتـًا، والأولاد لكونهم من ظهره، وعلى القماش لكونه مسترًا به، وعلى الدور لكونه ساكنـًا في داخله، وعلى العُدد لكونه يدفع الألم لا سيما القنفذ لكونه يقاتل به.

وإن رأى طائر الطاووس فإذا كان ريشها عليها فهي امرأة بجهاز، أو جارية، أو بنت مليحة، أو معيشة مفيدة، أو مركب لكونها شبيهة بذلك، أو بستان مليح، وذلك من نبات

ريشها وهنا من اللفظ، فإن جعلناها امرأة كانت كثيرة التيه والدلال، وإن كانت بلا ريش انعكس ذلك كله.

كما قالت لي امرأة: رأيت طائر الطاووس في غرفتي.

قلت: زواج لكِ برجل حسن فيه نفع، ويحصل لكِ أمانٌ على يديه، والله أعلم.





المبحث التاسع والثلاثون: نَقر فجاء الخبر

ولما كان نقر الطائر شبيه بآلة الحفر، وسطح الرأس شبيه بسطح الأرض، كان نقره أحيانـًا دال على الموت.

وهذا من رؤيا السَّجين، ومن رؤيا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واعتبر أصحاب الأصوات، وأعط الرائي بما يليق به، كعصفور الدوري دال على من هو كثير الكلام، ويسرق ممن دل عليه ذلك المأكول، ولما كان صوت منقار الطائر رديئًا على الرأس كان نكدًا على رائيه.

وأما إن كان له صوت مُغرد كطائر الشحرور والبلبل وأمثالهم دلوا على الواعظ، أو الخطيب، أو أرباب قرآن، فمن كان عنده حامل رزق ولدًا، أو تملك جارية تكون ذات صوت حسن، ويدلوا على أرباب الغناء والنوح أيضـًا، فمن كان عنده مريض وصوّت وبكى على صوته بلا صراخ: تعافى مريضه، وإن كان بصراخ أو بضحك أو برقص ونحو ذلك مات مريضه، أو قدم نعي الغائب، أو تعطلت معيشته، أو فارق لمن دل عليه مما ذكرنا.

والطيران لأمثال هؤلاء دل على قضاء المديون، وعتق العبد، وخلاص من شدة، وعافية للمريض، ويدل على السفر إن كان على مركب في زمن الرياح.

وكما ذكرنا بأن من في القفص يدل على الأسير أو المسجون، فمن رأى أنه يطعم ذلك الطير أو يكلمه أو يتعامل معه على خلاصه سعى على خلاص من دل عليه، وإن كان مريضـًا قام بخدمته وإن طار بغير أمره مات مريضه، أو فارق من يعز عليه، أو هلك ممن دل عليه في القفص، فافهم ذلك.

المبحث الأربعون: بستان من الطيور

نذكر بعض الحلال من الطيور، وهي:

الدجاجة: ومزاج لحمها حار رطب في الأولى، خفيف على المعدة، سريع الهضم.

وتدل في المنام على امرأة، وهي من الصنف الأول فيها نفع، ومن جهة البلد، فمن ملكها كانت كثيرة النسل، أو معيشة دارّة في وقت دون وقت، ورزق ومنفعة إن كانت مطبوخة أو مشوية ممن دلت عليه الدجاجة، وإن كانت غير نضيج فغيبة في تلك المرأة.

ونحوها في التأويل الإوز إلا أنها تشترك في جهة الماء؛ لأنها تحب السباحة، وإن دلت على خير أو سوء ففي آخر الشهر أو السنة، وزوجها لا يفارقها عند الحمل.

ومزاجها: حار يابس، رديء الغذاء: إذا اعتيد، وليس بكثير الفضول.

وأما صراخهن في المنام فدال على هموم وأحزان ونوائح، والسوداء منهن ربما دل على سوء وداء، وعليه فقس.

وعلى قاعدة المصير فإن صارت الدجاجة ديكـًا انقطع نسل من هي عنده ممن دلت عليه، وتدل على الولد الذكر، أو بطلت الفائدة، وتدل على كثرة الكلام والنقاد إن دلت على المرأة العاقلة، بخلاف الوزة طال عمرها لكبرها وقَلَّت فائدتها، والدجاج عكس ذلك.

الديك: ومزاجه أسخن مزاجـًا، وأقل رطوبة، والعتيق منه دواء للقولنج والربو، والرياح الغليظة إذا طبخ بماء القُرْطُم.

وتأويله في المنام دال على رجل حسن غيور لا سيما على عرضه، فمن ملكه رزق



ولدًا ذكرًا، أو معيشة دارّة، أو خدمة نافعة، أو اشترى دارًا، ومن صفته دال على قدوم غائب، أو خبر عنه، ويدل على المؤذن، والمنادي، والخطيب، والواعظ، والحارس وبائع الأقمشة؛ لأن ريشه شبيه ذلك، وتجرده منه دال على الفقر أو مرض الجدري، وإن نقر إنسانـًا أو أزعجه بصوته حصل له نكد ممن ذكرنا.

كما قال لي إنسان: رأيت أني أدخلت ديكـًا إلى داري.

قلت: تستضيف رجلًا سمسارًا.

فاستضاف رجلًا وأصَر عليّ أنه ليس بسمسار ثم أدرك بعد زمن أنه سمسار.

وآخر يقول: رأيت أني أُعانق ديكًا كونه سيذهب.

قلت: ستحزن على فراق مؤذن المسجد لكونه سيسافر ثم يعود، فبعد يومين سافر المؤذن وحزن عليه الرائي، فافهم ذلك.

الحَمَام: **مزاجه**: حار رطب، وحْشِيُّه أقل رطوبة، وهي في المنام دالة على امرأة صالحة حافظة للأسرار، وعلى الزواج إن أمسك بها، أو دخلت الدار ، وعلى الرسول الأمين، وعلى رسول الأكابر؛ لكونها تحمل الكتب من مكان إلى مكان، ويدل على صديق صدوق، ولمن عنده مريض تدل على الموت، لأنها بكسر الحاء حِمام، وهو الموت، وهذا التأويل بتغيير الحركات، وهي جارية عربية، وربما دلت على السِّحْرِ، فإن السَّحَرة يعقدون السحر على أحد أعضائها فإن كان في العنق، فيمرض المقصود بضيق ووسواس، وإن كان على جناحيه كان على يديه من تعطيل الزواج وعمله، وإن كان على قدمه كان تعطيل للسعي والعبادة والسفر، وربما دُسَّ في جوف طير ميت ويضعونه جوار دار المسحور، أو في سطح داره فيمرض المقصود من ساكني الدار في جوفه أو على سائر بدنه فتجده يشكو من علل عدة، وهذا بعد أمر الله، وحينها لابد من



فك العُقد من جسد الطير، وربما استعملها السحرة للتجسس على ذلك المُصاب فترداد كثيرًا ذلك الدار، وهذا من حيل السحرة قاتلهم الله، وهذا مشاهد وملموس عند بعض المرضى، وقد أبطلنا مثل هذا السحر لبعض المرضى بعد أن تأملنا في رُؤاهم في أرض نجد وغيرها وجرى لهم الشفاء التام، والله المستعان.

العصفور: **مزاجه**: حار يابس، عاقل للطبيعة، يزيد في الباءة، ومرقه: يُلَيِّن الطبع، وينفع المفاصل، ودال في المنام على إنسان عامي لكونه من الطبقة الصغرى كالحصى دالة على العوام، وهو كثير الفرار والحذر، وكثير النكاح، ودل على الولد، وربما كان ضعيف الساقين، سائس، مدبِّر، أو صاحب لهو، ويدلون على الدراهم، وذلك لما ذكرناه سابقًا، وربما كان عدد الدراهم ستة دراهم.

الهدهد: دل على الكاتب، الناقد، وعلى الجاسوس، والعالم الكثير الجدال، ويدل على النجاة من الشدائد، وعلى العابد الكثير السجود، وذلك لاعتزاله عن الناس، ويدل على رسل الأكابر كما في قصته مع نبي الله سليمان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ودال على أصحاب العمائم والتيجان، وهذا من الشيء الذي على رأسه، ويدل على السحر؛ لأن السحرة يستخدمون ريشه للسحر، ودال على السعي بين رجل وامرأة بالزواج بعد صعوبة، وإن كان رديئًا فإنه يمشي بينهما على أمر رديء.

النحل: تدل على نيل رياسة، وإصابة منفعة، وعلى الزهاد؛ لكونهم في البراري غالبًا، وأخذهم من النباتات والمباحات، وأرباب النفع كالعلماء، والفقهاء، والأطباء، وأرباب التصنيف الذين بذلوا خيرهم لكثرة ما ينتفع الناس بعسلهم وشمعهم؛ لأن العسل شفاء، والعلم له طراوة، ومنعوا شرهم لكونهم لم يؤذوا أحدًا في مأكول أو مشروب ولا غيره، وتدل النحلة على عمل الشبك، وحفر الآبار والمدافن الملاح.



ويدلون على العساكر، وكذلك الجراد والزنابير وأمثالهم لكون عليهم أميرًا يرجعون إلى أمره.

الجراد: **ومزاجه** حار يابس، وهو قليل الغذاء، وإدامة أكله تُورث الهزال، وإذا تبخر به نفع من تقطير البول وعسره لا سيما النساء، ويُتبخر به للبواسير، والتي لا أجنحة لها: تشوى، وتؤكل للسع العقرب، وهو ضار لأصحاب الصرع رديء الخلط.

وتأويله فأما إن أتلفوا زرعـًا ونحوه أو قرصوا الناس فعساكر مؤذية، أو أمراض، أو جوائح، أو حوادث، وأما إن قطع عسلًا من النحل، أو أكل من الجراد، فأرزاق وفوائد وعلوم؛ كالزنبور شبيه برامي النشاب أو بالنبل، أو في دبره طلوع، أو مؤذي لأرباب الخير.

والكوارة من النحل: امرأة حسنة، وهي بلد، أو مَرْكَب أو مُرَكَّب، أو دابة، أو معيشة، أو دار بستان لمن ملكها.

ومن الطيور المختلفة:

الغراب: دل على المختال في مشيته، والمتبختر، والمتكبر، والبخيل، وربما دل على الفاسق الكذاب، ويدل على قتل الأخ إن كان يبحث في أرض، وربما كان أسمر البشرة، ويدل على الغُربة، وعلى التفرقة بين الناس بكلامه، وعلى افتراق المجتمع، وعلى خراب العامر، وعلى المتكلم الرديء.

كما قال لي إنسان: رأيت غرابـًا ينتظرني عند نافذة بيتي.

قلت: بينك وبين رجل فاسق خصومة ويريد أذيتك ويترصد لك.

فقال: صحيح.

الحدأة والرخم: أقوام خسيسي الأنفس، أصحاب مكاسب حرام لملازمتهم أكل

الجيف والخطف مما في الدور وأيدي الناس، وتدل على الحروب والقتال، وربما دلت الحدأة على المرأة الزانية، وتدل الرخم على الحمق والعداوة، وربما كان على بشرته بقع كالبهق ونحوه.

والخطاف: يدل على الرجل المعين، والأديب، والورع عفيف عن أموال الناس كثير الأُنس؛ لكونه يسكن عندنا في البيوت ولا يتعرض لما فيها، وهو رجل مبارك، أو امرأة مملوكة، ويدل على الغلام القارئ.

الخفاش: امرأة قليلة الكسوة؛ لأنه لا ريش عليه، فكان كثيرة الأمراض والعائلة لحمل أولاده على جسمه وهم كثيرون، ويدل على السحر واشتقاقًا من شيء خفي، وعلى المرأة الساحرة، ويدل على رجل جائر ذي حرمان، وربما كان في عينها عيب لكونها لا ترىٰ بالنهار.

وقس ذلك على طائر البوم فدال على المرأة الرديئة، والمكان الخرب، ويدل على العمل بالليل، وكثير الصمت، وتدل على العين على من دل عليه، فافهم ذلك.

الذباب: دال على رجل ضعيف، وطعَّان، دنيء، ومكسبه من حرام، وإذا وقع في مال الرائي خيف عليه من اللصوص، اشتقاقًا من ذبَّ، باب، وإن وقع على شيء فربما الخلاص يكن من قِبله أو من مثله، فافهم ذلك.

النملة: عدو ونحوه اللص، وللمريض دل على مرض الحمة أو النملة، وهو داء في الجنب، ويدل على المس الفاحش لكونه يحب الحلو، أو على السحر المذرور.

كما قالت لي امرأة: رأيت نملًا أسود اللون كان يعضني وأنا أدفعه.

قلت: اعتدى عليك أحد الأقارب أو الجيران، وربما أسود البشرة، أو جرى منه كلاما فيه غزل.



فقالت: صحيح.

وآخر يقول: رأيت أني آكل خبزًا في كيس، ودخل نمل إلى ذلك الكيس وأخذ كليتي.

قلت: فقدت أحد أولادك بسبب عدو، فكان كذلك.

الخنفساء: دال على إنسان بغيض قذر، وعلى امرأة لجوجة لا خير فيها، وعلى النفساء، وربما دل على امرأة ذات ريحة رديئة بعد المعاشرة، وإن كان الرائي مريضـًا ورآه بمكان معلوم فهو خادم للسحر إن كان مسحورًا؛ لأن من طباعها تخدم الأشرار، وربما كان مدفونـًا، وإن كان مجهولًا للمريض فربما دل على البدن، وهذا الحكم في الغالب للمجهول لرؤى المرضى لا سيما إن كانت الإشارات تدل على معنى البدن كالبيت القديم، واللباس القديم ونحو ذلك بشرط بعد اليقين أنه يشكو من ذلك المرض، والله أعلم.

العنكبوت: دال على امرأة ملعونة، وعلى المرأة التي ليس لها قرابة، وعلى بائعة الأقمشة، ويدل على الرجل العابد، وعمل النسيج، ويدل على وجع الواهنة، ويدل على المرض، وعلى ذات مال من قماش، وعلى الصياد، وعلى المكان المهجور، وعلى الكيد الضعيف.

كما قال لي إنسان: رئي لي من قبل أحد أبنائي: أن هناك إناء فيه عنكبوت زرقاء اللون فأكلتها.

قلت: أتاك رزق من امرأة تعمل في التجارة، أو أن مالها من حرام وجرى لك نكد من ذلك لأجل أولادك، وتشكو من زيادة في البرودة والرطوبة، فكان كذلك.

وقالت امرأة: رأيت عنكبوتًا فوق سريري.

قلت: اتقي الله ولا تهجري فراش زوجك.

وآخر يقول: رأيت أقدام عنكبوت كبيرة على أركان بيتي.

قلت: هناك امرأة كبيرة في السن تحوم حولك ولن تصل لمرادها لكونه أوهن البيوت بيت العنكبوت، فجرى ذلك.

حيوان البحر: وطير الماء أفضل الطير في التأويل؛ لأنهن أخصب عيشـًا، وأقلُّ غائلة، ومن أصابها أصاب مالاً، وغنيمة.

الضفدع: ومنه ضفدع الماء دال على العباد وأهل الذكر، وربما دلوا على العوام وأصحاب البكاء، وكثرتها في بلد دال على العذاب، وربما دل على مرض البلغم، ويدل على تعلم السباحة، أو السفر، أو تعري الثياب في سفر، أو وجع على القدمين والمشي على أربع، وعلى الفائدة ممن كان مكسبه من الماء، وتدل على أقوام سحرة خداعين، وتدل على المرأة الحرة الطاهرة ذات دين وخشوع لا تؤذي أحدًا، وعلى هذا فقس.

فكل ما ذكرناه من الحيوانات ومالم نذكرها احكم على ما تقدم ذكره، فما صدر من خير أو سوء عاد على من دل عليه، والله أعلم.

وسيأتي الحديث أكثر عن الصنفين الأول والثاني في رؤيا الملك إن شاء الله تعالى.

وقد اكتفيت بما سردنا من فوائد وإلا فما زال فيها فوائد ماتعة.

هذا والحمد لله تم سرد الجزء الثاني ويبقى الجزء الثالث إن شاء الله تعالى من كتابنا التحرير، فيما جاء من رؤىٰ سورة يوسف من الحِكَم والتعبير.

إيجاز مع لذة في الإدراك.

صنفه: الربيع العابر

أبو الربيع عبد الغني بن صالح بن محمد الطاهري.



دواء ربيعي لأوجاع الحلق

لمن يشكو من أوجاع في اللوز أو الحلق أو في الصدر أو الرحم لا سيما أصحاب المزاج الصفراوي والسوداوي فبعد تناوله لدواء ربيعي المتقدم ذكره:

كوب من الحليب يضعه على نار هادئة، وأثناء غليانه يضاف عليه سبع من حبة القرنفل الجيد بعد طحنها، ثم يشربه بعد أن تبرد حرارته صباحًا ومساءً.

فائدة ربيعية طبية:

جاء في السنة أن من الأدوية النافعة للمعيون الاغتسال بوضوء العائن، ولكن البعض لا يشفى، والسبب يعود لأمور منها:

ربما ليس ذلك هو العائن، وإن جزم وقطع بأنه ذلك الشخص هو العائن من خلال ما صدر منه أو حكمت عليه من رؤىٰ وغير ذلك من الأدلة المعروفة عند البعض، فإن السبب الآخر هو تأخر وضوء العائن مما أدىٰ إلى تكيّف المادة السمية في عضو البدن، فصارت من الخارج إلى الداخل متمكنة، ولهذا عندما أُصيب الصحابي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ كان سرعان ما أمر به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ التحري بمن مدحه وأمره بالوضوء، وربما يرجع لعدم الاستقامة من قِبل المصاب أمام قوة عين خبث القاتل، وغير ذلك من الأسباب، وفي هذه الحالة -أعني: عند تأخر أثر العائن ولم ينفعه ذلك-، يتوجب على المريض بالاستفراغ كالقيء والمسهل والحجامة وغير ذلك من أصول الطب النبوي للاستفراغ، والبعض يفهم أن حديث: «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**»، أن العين ليس لها دواء إلا الرقية! وهذا مفهوم خاطئ لا يستقيم، فافهم ذلك، والله أعلم.



الفهــــــــرس:







